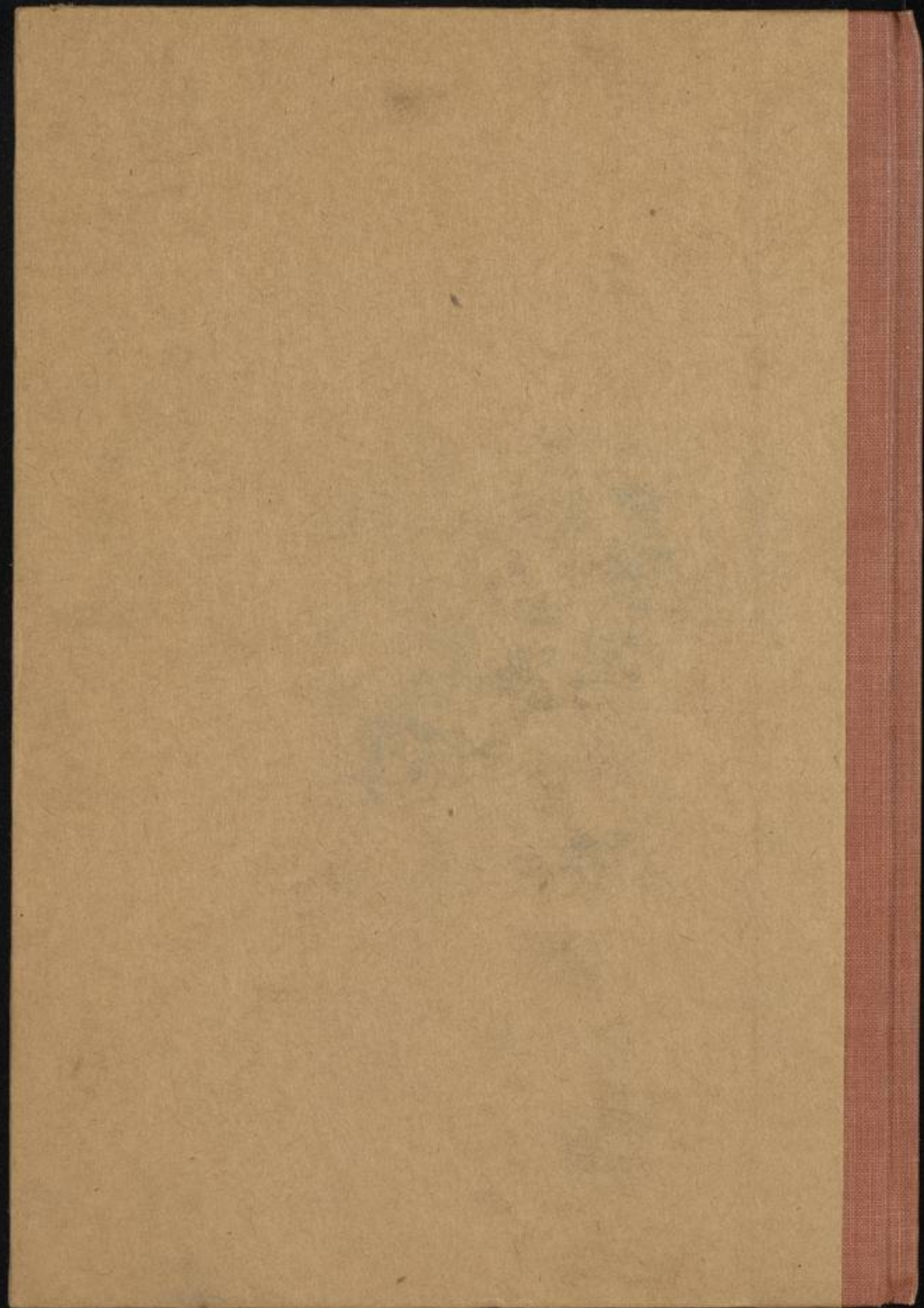
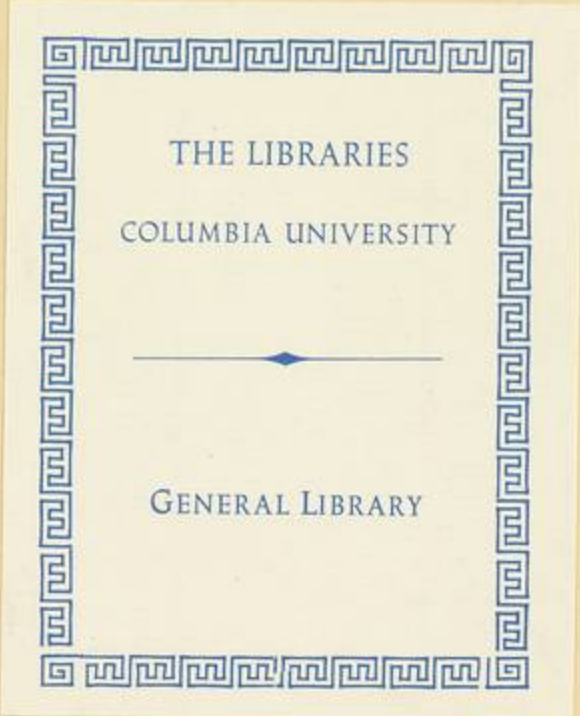
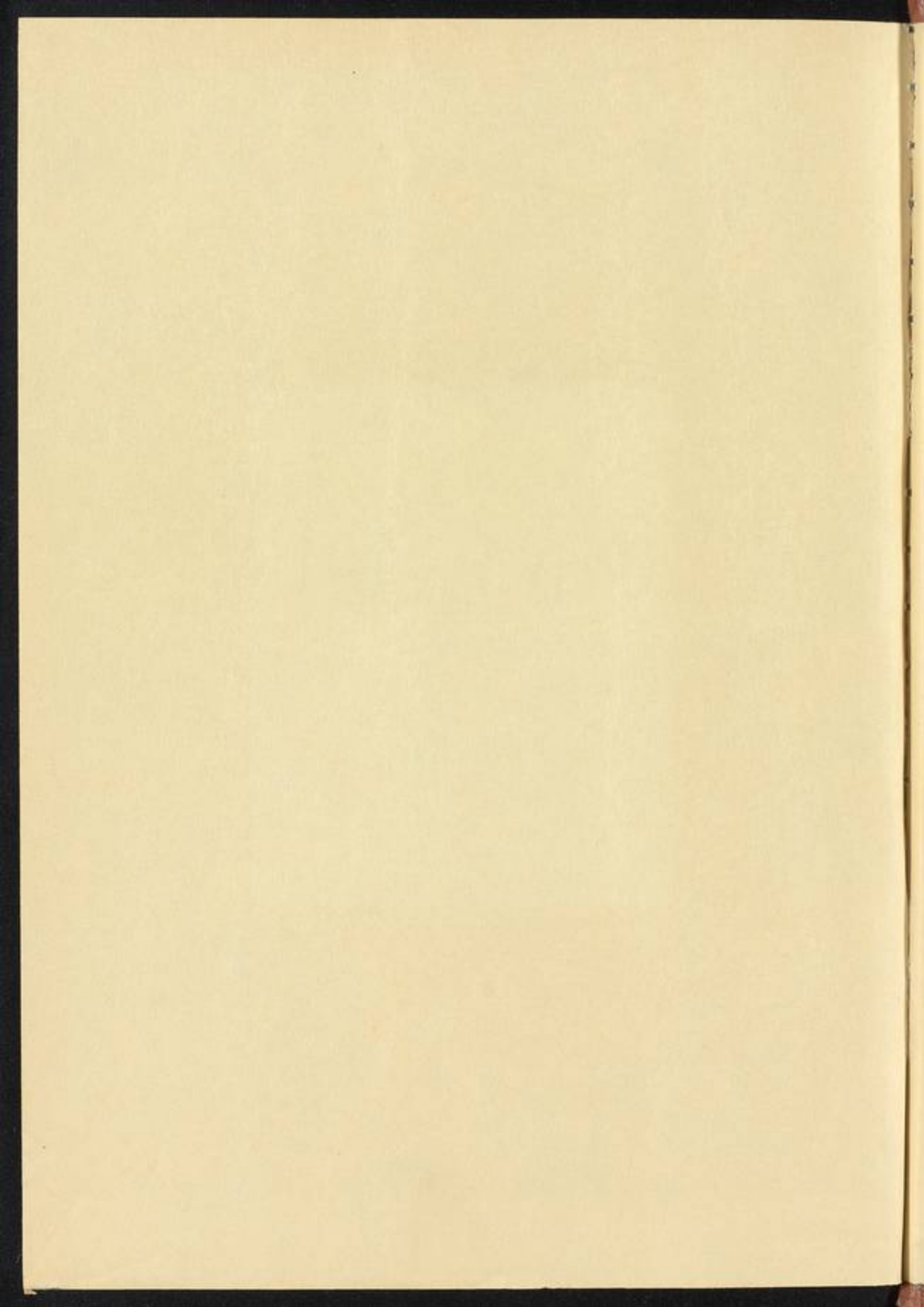


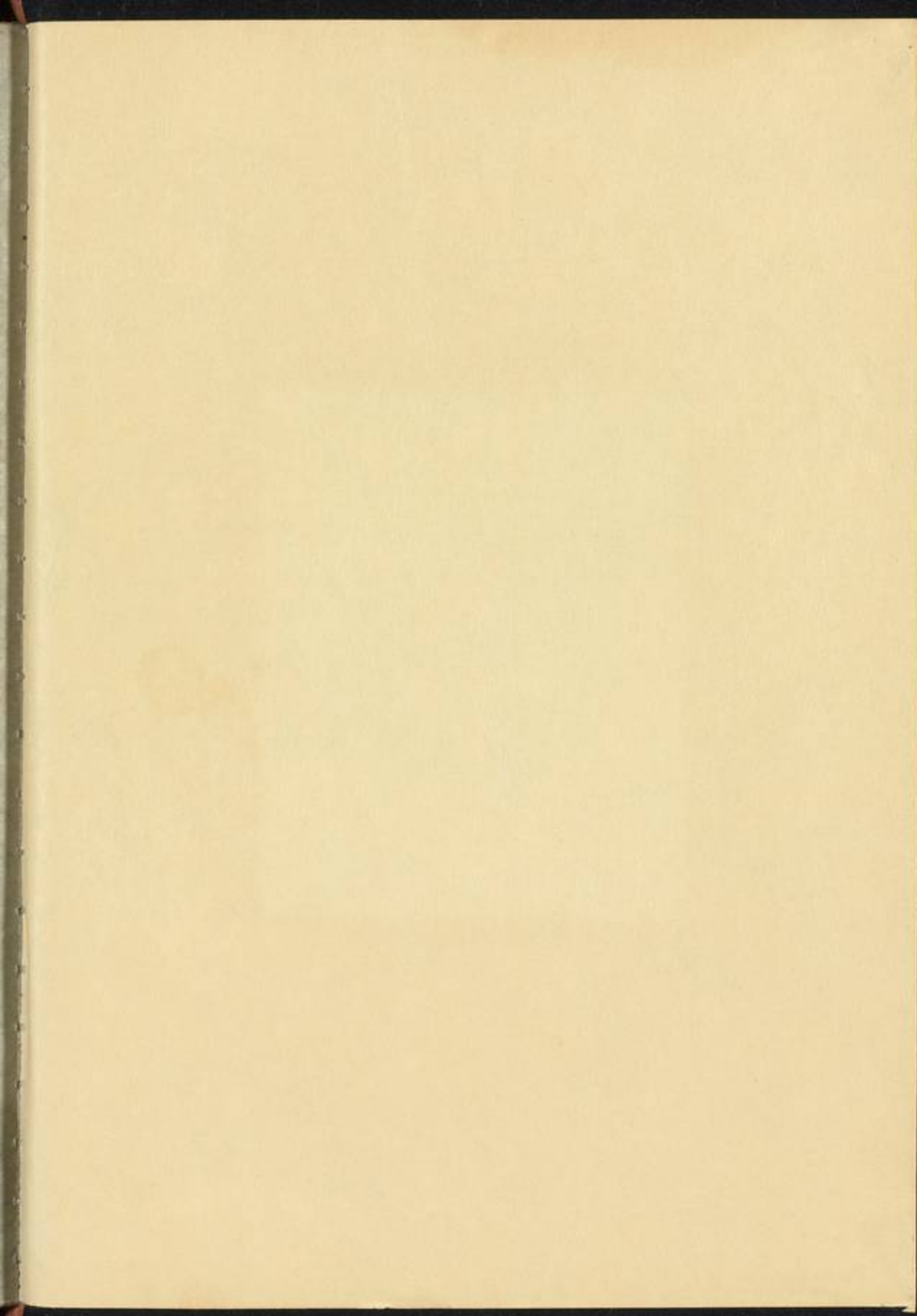




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY





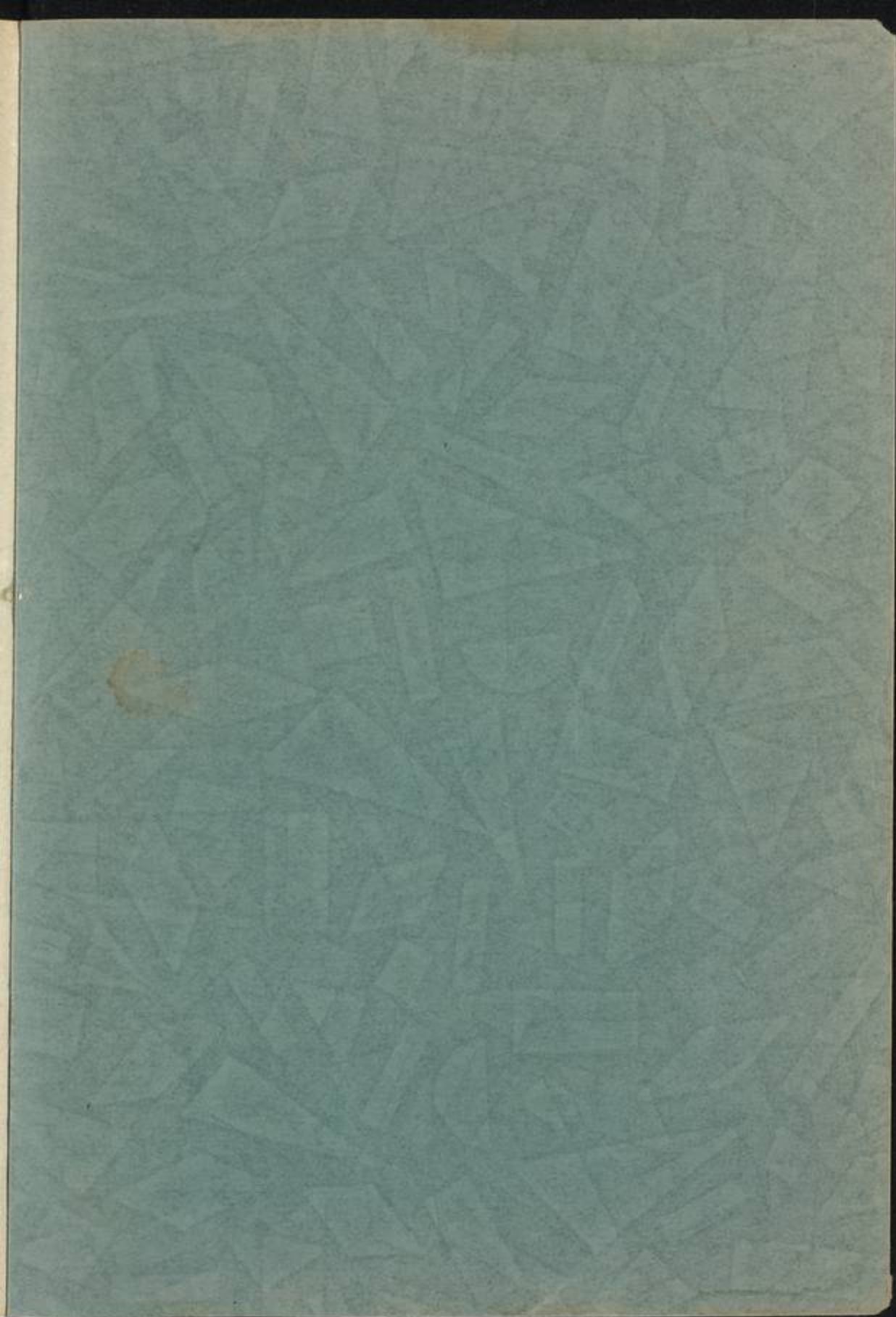
الكتاب التاريخي التذكري

عن حياة

الدكتور محمد توفيق

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٤٦



الكتاب التاريخي التذكري

عن حياة

الدكتور محمد تائب

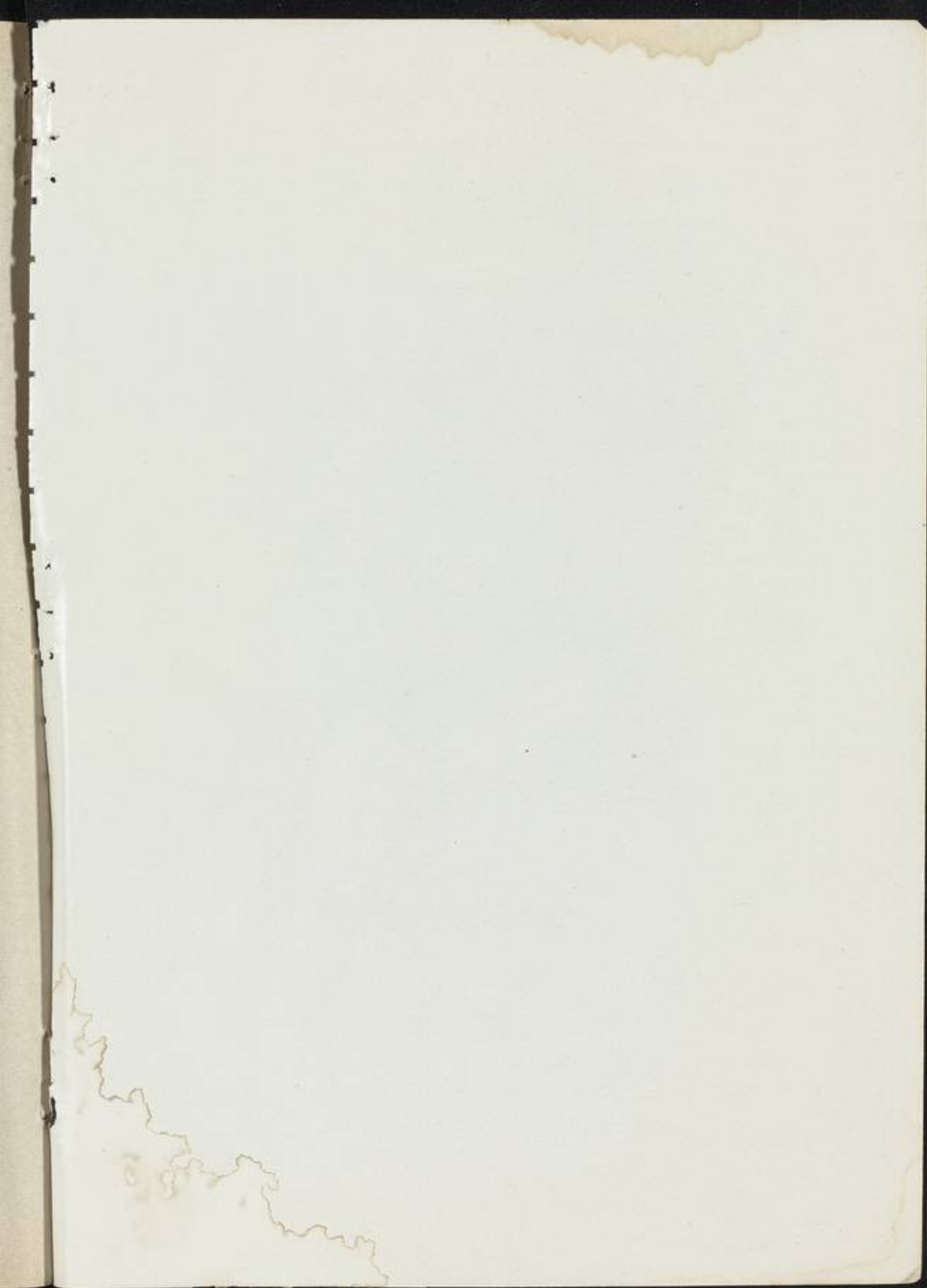
مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٤٦

DT
107.2
.T4



صورة المغفور له فقيه العلم والطب والوطن
الدكتور محبوب ثابت بك



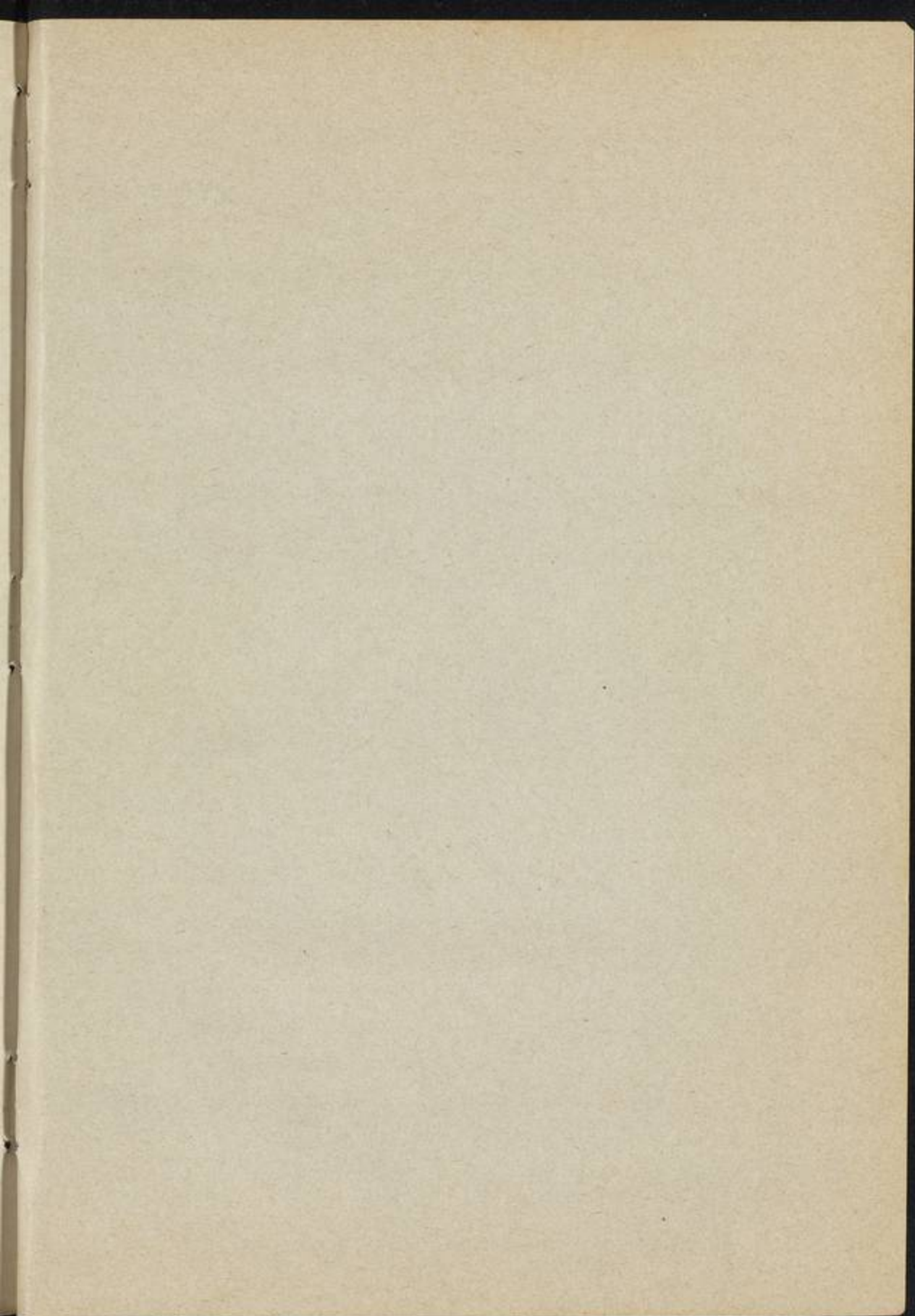
الالهءاء

إلى كل مصرى يضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار ، إلى كل وطنى
برئت وطنيته من النفعية والاتجار ، إلى كل جندى من جنود النهضة
الوطنية الأحرار ، إلى كل شاب من شباب مصر المجاهدين الأبرار .

نقدم هذا السجل المكتوب

من سيرة

المكتور محبوب



مقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا رئيس لجنة الاحفال

كان الدكتور محبوب ثابت رجلاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، غالبته الأيام فغلبها ، وقارعتة الحوادث فقرعها ، ونازلته الأزمات فلم يزل يصارعها حتى هزمها .

كان طيباً ، ناجع الوصفات .

وكان كاتباً ، تملأ مقاله من قوة الحججة آيات بينات .

وكان محدثاً ، تشيع في حديثه العذب أجمل اللفظات .

وكان سياسياً وطنياً ، صادق العزم ما وقعت الغرمان .

وكان أستاذاً في فنه ، لا تستعصى عليه منه المشكلات .

كانت تلك حاله ، وكانت هذه صفاته ، بل كان أكثر من ذلك ، كان مثلاً للصديق الوفي المخلص ، الذي يضحي في سبيل صداقته ، كما كان يبذل الجهد والفكر في سبيل سعادة الوطن وسعادة بنيه .

كذلك بيته ، كان يعمر بالناس من شتى طبقات الناس ، يتحدث اليهم فيه ، ويتحدثون إليه ، ويفيض عليهم من واسع علمه ، وسعة اطلاعه ومعرفته ، فينتقل في بحوثه ، من فن إلى فن ، بأسلوبه الفذ ، ولهجته التي اشتهر بها ، بهمة وعزيمة ، لا يعتريه ملل أو كلال .

كان محبوب ثابت رجلاً ، فصار « قصة في كلمات » أجمع جمهرة من الفضلاء والأدباء والأطباء والأصدقاء ، من عارفي فضله ، وعارفي قدره في مصر ، وفي البلدان العربية والشرقية ، الذين اشتهروا في الاحفال باحياء ذكراه ، والذين ساهموا في رثائه نثراً وشعراً . وكذلك أولئك الذين وافوا لجنة إحياء الذكرى بمرائهم ، تقديرًا منهم لهذا الفقيه الكريم ، أجمع كل أولئك على أن يصوغوا من قصة محبوب ، كتاباً يكون سجلاً تاريخياً ، يدل على ما كان عليه هذا الفقيه من ثبات على المبدأ ، واستقلال في الرأي ، وإدراك لمعنى الحياة الحرة

البريئة ، فقد كانت حياته درساً بليغاً لمن شاء أن يتعلم : يتعلم الصلابة في القومية ، والاخلاص للوطن ، والدفاع عن وادي النيل والسودان مسقط رأسه ، ويفنى في خدمة قومه ، وفي خدمة وطنه .

ويسر اللجنة ، التي شرفني برئاستها ، بهذه المناسبة ، أن تذكر بالفضل والشكر حضرات الذين تفضلوا فساهموا في إحياء ذكرى هذا الفقيه الراحل من أدياء مصر والأقطار العربية الشقيقة ، وكان من نتيجة ذلك العناية بقبره الكريم ، وإطلاق اسمه على أحد شوارع شركة أراضى الروضة الجديدة بالدقى القرية من دار جامعة فؤاد الأول ، وذلك أسوة بما اتبع في تسمية بعض الشوارع بأسماء كبار الأطباء ، كما أطلق اسمه على أحد مدرجات كلية الطب ، بصفته أول طبيب مصري مساعد في تلك الكلية ، وإطلاق اسمه على محطة « ميت الحارون » مسقط رأس أسرته ، وإعداد مكتبته الزاهرة ونقلها إلى مكتبة جامعة فؤاد الأول ، حيث يفرد لها مكان خاص يليق بمكانتها . وستواصل اللجنة عنايتها بتسجيل سائر أعمال الفقيه ، وإبرازها في أكمل مظهرها ، إرضاء لروحه الكريمة ، وتقديرًا لمسكاته وإحياء لذكراه الخالدة .

رحمه الله ، وأكرم في جواره مثواه .

على إبراهيم

لجنة إحياء ذكرى الدكتور محبوب

برئاسة حضرة صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا

تمهيد

كان فقيده مصر والشرق ، المنفور له الدكتور محبوب ثابت بك رحمه الله ، في حياته عالماً من الأعلام ، له في كل مجتمع صوت ، وفي كل ناد رأى ، وفي كل صحيفة بحث ، حتى اشتهر أمره ، وذاع ذكره في مصر وسائر الأقطار العربية الشقيقة ، وعقد له كثير من أهل الطب والعلم والقلم لواء الزعامة في عالم الأدب والفن والفكر .

من أجل ذلك تألفت لجنة كريمة برئاسة حضرة صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا مدير جامعة فؤاد الأول ، وبعضوية حضرات السادة أقطاب مصر والشرق من أصحاب السعادة والعزة : عبد المجيد بدر باشا ، وفؤاد أباطه باشا ، والدكتور إبراهيم شوقي بك ، والدكتور مصطفى فهمي سرور بك ، والسيد أحمد مراد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وحاجم ناحوم أفندي الحاخام الأكبر ، وعبد الرحمن الرافعي بك ، والدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وميرزا مهدي رفيع مشكي بك عميد الجالية الإيرانية ، و خليل مطران بك ، والوجيه على البربر رئيس النادي السوداني ، والأميرالاي الدكتور أحمد عبد النبي بك ، وبسيوني كشك بك ، والدكتور أحمد عيسى بك ، ومحمد عبد العزيز طلعت حرب بك . والأسانذة : أسعد داغر ، ومحمد الحناوي ، ومحمود العزب موسى ، وصالح البهنساوي من محرري الأهرام ، والدكتور أحمد نشأت بك ، والدكتور رشيد كرم ، والأستاذ سامي السراج ، وعبد الخالق الطقطاوي بك ، والأستاذ أحمد ربيع المصري سكرتيراً للجنة الاحتفال بالذكرى . فاشتركوا في الاحتفال بإحياء ذكرى هذا الفقيه في صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول في يوم السبت أول ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، بحضور جمهرة كبيرة من عظماء مصر وأدبائها ، وذوي الرأي فيها ، والأدباء والشعراء وزملاء الفقيه وتلامذته من أهل العلم والمعرفة في مصر وبلدان الشرق ، وقد رحب حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القراشي باشا رئيس مجلس الوزراء وقتئذ بفكرة اللجنة وأعرب عن تقديره لمكانة الفقيه العظيم ، وقبل رئاسة شرف حفلة الذكرى الكبرى .

وكان لاذاعة نبأ عزم اللجنة على القيام بهذا الواجب ، وشعورها النبيل نحو الفقيد في مصر والشرق العربي ، أن تلقت اللجنة رسائل شتى ، تم عن صادق شعور أصحابها ، وجميل تقديرهم للراحل الكريم والفقيد العزيز . وقد صاغت اللجنة ما أذيع في حفلة الذكرى الكبرى وما تلقتة بعد ذلك من صفوة عظماء مصر والشرق وأدباء العربية ، في هذا السجل التذكاري الذي أعدته اللجنة عن جهاد الفقيد العزيز ، ليكون درساً للأدباء والمتأديين ، ونوراً يهتدى به المهتدون ، وينتفع به العاملون المجدون ، في سبيل خير الوطن وبنيه .

على أن هذه الكلمات والمراثي لم تكن إلا قطرة من ذلك الفيض الذي تدفق على لجنة إحياء ذكرى الفقيد ، من صفوة كبراء مصر والبلاد العربية ، وخيرة كتابها وشعرائها ، وفاء للفقيد الكبير ، وتقويها بفضله ، وفيما يلي ما اتسع له هذا السجل من ذلك الفيض ، سائلين الله التوفيق والسداد في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك ، رمز مصر والشرق العربي الاسلامي « الملك فاروق الأول » حفظه الله وأبقاه .

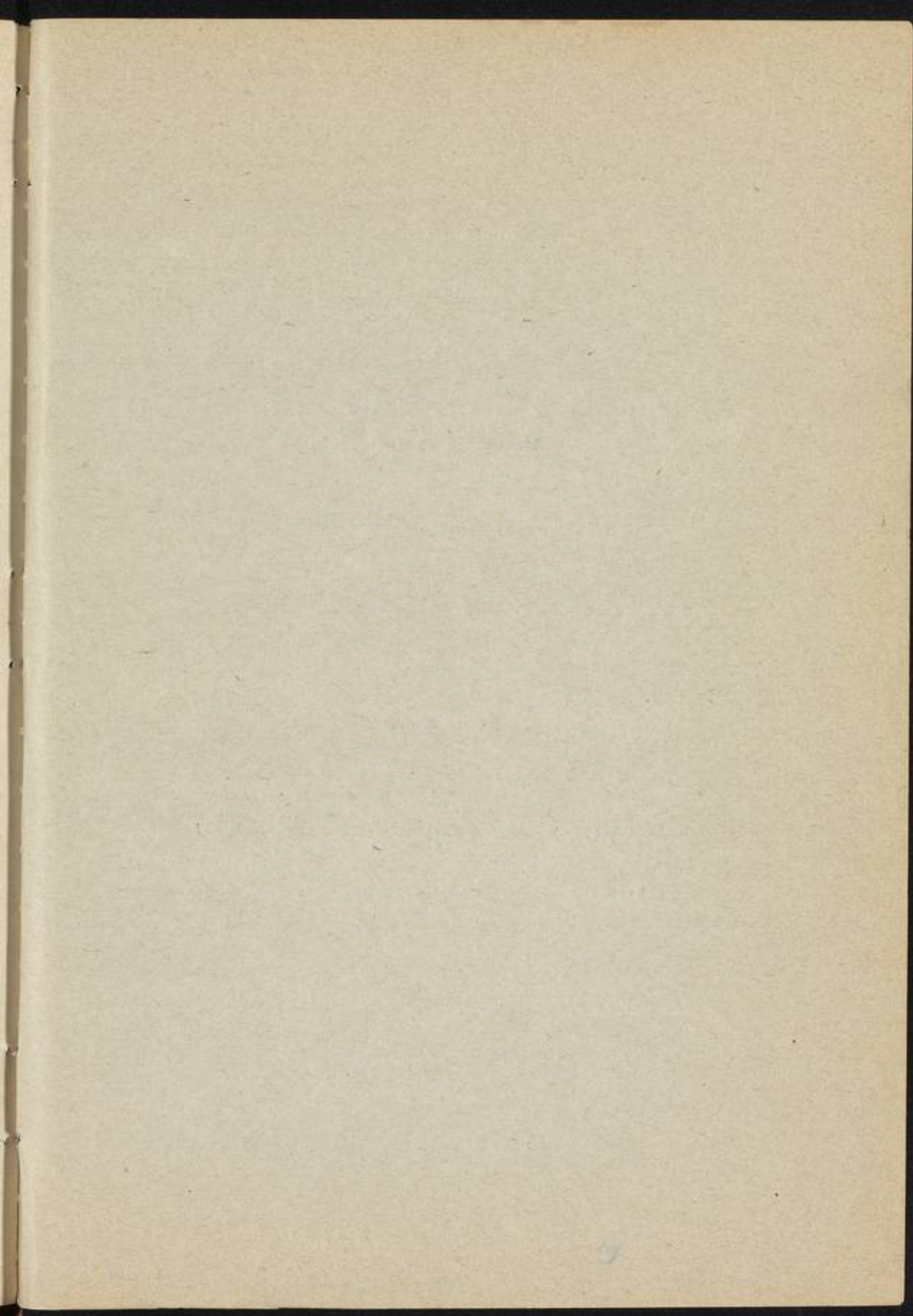
الكلمات والقصائد

التي ألقيت

في الاحتفال الكبير الذي أقيم بقاعة الاحتفالات الكبرى

بجامعة فؤاد الأول

وأذيعت باللاسلكي ، واشتركت فيه مصر وجاراتها الشقيقة



كتاب دولة رئيس الوزراء الى سعادة رئيس لجنة الاحتفال بالذكرى

وكان صاحب الدولة محمود فهمى النقراشي باشا رئيساً
للوزراء وقت اقامة حفلة الذكرى ، وقد أسندت اليه
رياسة الشرف فيها ، غير أن مهام الدولة حالت بينه وبين
شهودها فأرسل الى سعادة رئيس اللجنة الكتاب الآتي:

رياسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

حضرة صاحب السعادة الدكتور على ابراهيم باشا

رئيس لجنة الاحتفال باحياء ذكرى الدكتور محجوب ثابت بك

تلقيت كتاب سعادتكم المؤرخ ٢٤ نوفمبر الذى تفضلتم فأبلغتمونى فيه شكر
لجنة الاحتفال على قبولى رياسة الحفلة التى تقام فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٥
لاحياء ذكرى المغفور له الدكتور محجوب ثابت بك .

وقد كان بودى أن أحضر هذه الحفلة ، وأشارك فى تأييد الفقيد الكريم ،
الذى تذكر البلاد جهوده ومسايعه ، ويذكر أصدقائه الكثيرون مناقبه وسجاياه ،
كما يذكر تلاميذه العديدين فضائله ومزاياه . ولكن غيابه لا يمنع اشتراكى
فى التقدير والتكريم .

أسأل الله للفقيد الكريم الرحمة ، وللبلاد أن يعوضها خيراً فيه .

والسلام عليكم ورحمة الله

رئيس مجلس الوزراء

محمود فهمى النقراشي

فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٥

جامعة في رحل

محاضرة صاحب السعادة الدكتور علي إبراهيم باشا رئيس جامعة القاهرة بالذكري

أيها السادة الأجلاء ، أيها الأبناء الأعزاء .

ربما كنت أعرف الناس بالراحل العزيز ، الدكتور محبوب ثابت . فقد زاملني ثلاث سنوات في التعليم الثانوي ، وإن سبقت بفرقة أو فرقتين ، وعرفته طالب طب في باريس ، واتصلت به حيناً بعد حين حتى توفي مستشاراً طبياً لجامعة فؤاد .

ولا أخالك إلا شاعرين معي بأن من أشق الواجبات على المرء أن ينبري لتأيين زميل كريم من رفاق الصبا . ذلك لأن الانسان عندما يتحدث عن أترابه ، إنما يقلب ورقة من كتابه .

ومهما يكن ، فمحبوب صفحة من تاريخ مصر ، قل رجل لم يقرأها أو يتل منها فقرة أو سطرا . فهو في الوطنية من رسل الحزب الوطني أيام مصطفى كامل ومحمد فريد . وآثاره معروفة في المؤتمرين الوطنيين بجنيف وبروكسل . وهو من عترة سعد سنة ١٩ وما بعدها ، دخل برلمان سنة ٢٦ على مبادئ الثورة .

وهو في الانسانية من المضحين . كان معنا في الهلال الأحمر سنة ١٢ أيام حرب البلقان . وهو في العلم أول أستاذ مساعد مصري ، درس في مدرسة الطب بعد الاحتلال الانجليزي ، وكان إلى عهد قصير ، يدرس علم النفس التجريبي في كلية الحقوق .

وفي الرياضة البدنية من دعائم التدريب العسكري للطلاب ، اشتغل به حتى النفس الأخير . ولا تنسوا أنه من الدعاة إلى الاستمساك بوحدة مصر والسودان ، ومن أنصار العمال وخطيب شعبي ، لم تزده السنون إلا حماسا .

هذه الإماعة قصيرة أترك تفصيلها واستكمالها لحضرات الخطباء الأجلاء . وكأنه المعنى بقول حفي بك ناصف :

كنت في مصر قوة ذات بال فتصدت لها صروف الياالي

سادتي :

لقد كنت من أكثر الناس مداعبة له في حضرته ، فمن الوفاء أن أكون من أكثر الناس دفاعاً عنه في غيبته « من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها »

كان محبوب رجل خلق . محبوب الذي يصادق الوزير الخطير ، هو محبوب الذي يداعب التلميذ الصغير . ولذا كان له بين الطلاب منزلة وحساب . « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تقتضوا من حولك » .

لام الناس عليه إصراره على تصغير نفسه سناً ، ولسكنى لم آخذها عليه ، لأنه كان يحب أن يشعر بالنوب وبالفتوة إلى العمل ، فهي عنده حقيقة ومنطق ، وعند غيره مغالطة وسفسطة .

يعيون عليه أنه كان يوزع جهده في مائة ناحية وناحية ، ولسكنى كنت أراه يقطع نفسه إرباً إرباً ، ليساهم في كل خير ، ويدراً كل شر . فمن سياسة ، إلى اجتماع ، إلى علم ، إلى اقتصاد وتاريخ . إنه باق من الجهود الزكية ، إنه مكتبة واعية متحركة ، إنه سجل لكل ما يقرأ ويشاهد . إنه جامعة في رجل .

كانوا يتغامزون بأنه لا يتبع برنامجاً ، ولا يتقيد بنظام . وكنت أري فيه نزوعاً إلى الحرية لا يطبق القيد (والقيد لو كان الجمان منظم لم يحمل) . غير أنه كان لا يستغل هذه الحرية للراحة أو التسلية ، للكسب أو للسعي لنفسه ، بل كان كالتحفة لا يكل دأباً وعملاً ، والناس يلتفون حوله فيقطفون عسلاً .

ومع هذا كله ، هل كنت تراه إلا مرحاً ، يقول النكتة وينتظر جوابها من الآخرين جاباً للفن ولو على حساب نفسه . وكأن شوقياً (شوقي) يقصده يوم قال :

« طهر دنيا وطهر فرمزه هبل »

جهد الدكتور محبوب في سبيل العمال

لصاحب السعادة عبد المجيد بدر باش (١)

عرفت المغفور له الدكتور محبوب ثابت بك منذ فجر النهضة الوطنية ، وعاصرته بعد ذلك إلى أن انتقل إلى جوار ربه ، فعرفت فيه من الفضائل الوطنية والانسانية ما يعجز الحصر ، وسيتولى زملائي في تأييده كشف بعض نواحيها ، واخترت أنا بصفتي وزيراً للعمال أن أكشف لكم عن بعض جهاد الفقيد في سبيلهم ، وسعيه المتواصل في الدفاع عن قضيتهم العادلة ، ورفع الغبن الواقع عليهم ، وتحسين مستوى المعيشة بينهم .

وإذا نحن رجعنا إلى ماطوته الذاكرة من محائف الثورة ، وجدنا عيادة الدكتور محبوب ملاذ الجرحى من العمال ، وموئل المرضى منهم ، يضمد جراحهم ، ويخفف أتراحهم ، ويبدل في ذلك من ذات نفسه وذات يده ، حسبة لوجه الله والوطن . وظلت كذلك عيادته طوال أيام حياته ملجأ للمعوزين ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين بخاتم الأنبياء ، فإنه رحمة منه بخلقه لم يحرمهم من رسل الانسانية ، يحملون لواءها ، ويرددون نداءها ، ومن هؤلاء كان الفقيد عليه رضوان الله . ولقد احتضن العمال بالنصيب الأوفر من عنايته وجهاده ، وانهز فرصة إعلان الدستور ، وقيام النظام البرلماني في مصر ، فبرز أعواد المنابر في لفت الأنظار إليهم ، وعطف القلوب عليهم ، والمطالبة بسن القوانين الكفيلة بتحقيق مصالحهم ، وصيانة حقوقهم ، وتوفير الضمانات الواجبة لهم . وأذكر أنني كنت أخطب في حفل انتخابي لتأييد ترشيح المغفور له محمد بك أبي شادي في دائرة الخليفة أواخر سنة ١٩٢٣ ونهض الدكتور محبوب في ذلك اليوم بين الناس ما يرجوه في ظل النظام النيابي من انصاف العمال وتمكينهم من مواجهة تكاليف الحياة ، فكان في بيانه أول داع لوضع التشريعات العمالية في العهد الحديث بهذه البلاد ، ولم تفر همتته عن السعي المتواصل في سبيل هذه الغاية منذ افتتح البرلمان الأول في ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ سواء لدى الوزراء أو الشيوخ والنواب ، إلى أن انتخب عليه رحمة الله نائباً في سنة ١٩٢٧ وإني أسمعكم الآن مقتطفات من كلامه في مجلس النواب ، أردت تسجيلها اليوم اعترافاً بفضلها

(١) كان سعادته وقتئذ وزيراً للشئون الاجتماعية .

على العمال ، وإقراراً منى بصدق نظره ، وعمق شعوره الانساني ، وقوة عقيدته في وجوب
مناصرة الضعفاء ، وبلاغة حجته في الدفاع عن الفقراء .

ورد في مضبطة مجلس النواب ، عن جلسة يوم الثلاثاء ٢٥ يناير سنة ١٩٢٧ على
لسان الفقيه :

« إنى أرى من الخطر ، ومسألة العمال عندنا في أول نشأتها ، والمجلس مهم بها جد الاهتمام ،
أن يسمح بالتهويش عليها باختلاطها بعناصر تدن بالشيوعية ، أو ينسب إليها اعتناق هذا المبدأ ،
ولا تعجبوا من تكرار قضية العمال على لسانى ، فأنى أصرح لحضراتكم بأنى في كل مناسبة
سأطلب للعمال شيئاً ، وسنطالب بسن قانون للشركات الأجنبية ، يحتم عليها الاهتمام بشئون
العمال ، وتقديم الضمانات اللازمة لهم » .

وقال في جلسة أول يونيه سنة ١٩٢٧ :

« للعمال نقابات عدة بيورسعيد والاسماعيليه ، ومن قوانين هذه النقابات : مساعدة
المرضى ، وإعالة الأسر التى يموت رؤساؤها . وهذا عمل خيرى ، فلماذا لا يخصص لهذه النقابات
جزء من المتحصل من ضريبة المراهات » .

وقال في جلسة ١٤ يونيه سنة ١٩٢٧ :

« إنى أشكر وزارة المواصلات فى شخص معالى وزيرها ، وفى شخص سعادة مدير
السكك الحديدية ، على الاجابة القيمة التى أجيب بها عن طلب الاقتصاد فى مصاريف الصيانة ،
ويفنى بيان معالى الوزير عن إطالة الشرح فى هذا الموضوع ، وليست المسألة قاصرة على منع
البؤس والشفاء ، بل إن هناك عدداً عظيماً من العمال قد تخصصوا فى أعمالهم ، وستكون نتيجة
إخراجهم لا مجرد حرمان المصلحة من أيد عاملة مدربة من زمن طويل ، بل حرمانهم
أنفسهم من الطريق الوحيد لكسب عيشهم ، لأنهم لن يتمكنوا من الاشتغال فى الخارج
بسبب هذا التخصص الذى قضوا فيه زهرة شبابهم فى عنابر المصلحة .

لقد شرح معالى الوزير فى هذا البيان الذى ألقاه علينا حالة مصلحة السكك الحديدية
فى عهد الدستور ، وفى ظل الادارة الوطنية ، وقارنها بالحالة التى أصبحت عليها بعد الحرب ،
تلك الحالة السيئة التى تركت مخازن المصلحة فارغة ، كفؤاد أم موسى ، وصارت أحوج
ما تكون إلى التجديد .

ولذلك فإن المصلحة لا يمكنها تأدية أعمالها ، إن لم تجدد عرباتها ، وتكون خطوطها وقاطراتها قوية .

لقد كانت القطارات تتأخر عن الوصول في المواعيد ، وكانت تقف في منتصف الطريق بسبب الضعف الذي كان موجوداً في سبائك عجلاتها ودناجلها ، وبإصلاح معدات هذه المصلحة وتحسين الخطوط ، والقطارات يمكنها أن تؤدي أعمالها على الوجه الأكمل ، ونجني الثمار المرجوة منها ، وبذلك يمكنها تفادي مزاحمة السيارات ، والواجب يقضى بالموافقة على كل مبلغ يطلب لهذا السبيل .

إننا لا نريد أن نسمع دائماً أن هذه المصلحة ، مصلحة استغلال ومورد للخزينة العامة ، فلقد جاء في إجابة معالي الوزير في هذا الموضوع أفضل رد على هذه النقطة .

على أنني أريد أن ألفت النظر إلى مسألة الوقادين والاعتمادات المطلوبة لهم ، فأقول : إن لجنة المالية أنكرت على الوزارة كثرة عددهم ، وأناي أخالف اللجنة في هذا الرأي ، كما أنني أعتبر اللجنة مخطئة في طلبها عرض مسألة الوقادين والسواقين على لجنة الموظفين العليا ، ولا يسعى في هذا المقام إلا أن أشير إلى الساعات الطويلة التي يقضيها السائق في العمل ، فإنه يشتغل ثمانى عشرة ساعة ، ولدى شكاية من سائق حتم عليه السفر بعد عمل ١٨ ساعة ، فأبى قائلاً : (لا أريد أن أرتكب جنابة) وقد سلمت الشكوى لصاحب المعالي وزير المواصلات السابق للنظر فيها .

ومع ذلك فقد حوكم هذا السائق . ثم تكلمت في شأنه مع سعادة وكيل الوزارة ، فكان من رأيه أن الذى يجب محاكمته هو الشخص الذى أمر السائق بمعاودة السفر ، بعد أن اشتغل ثمانى عشرة ساعة متوالية أمام النار والدخان ، لأن استمرار العمل بعد هذه المدة يعرض النفوس والبضائع إلى أخطار كثيرة ، لذلك أرجو عدم التفكير في عدد السواقين ، وأن ينظر في حالتهم بعين الرعاية .

لقد رفعت أمر هؤلاء العمال إلى معالي الوزير الحالى ، وربما يكون قد أمر بتحسين حالهم بعض التحسين ، لأن منهم من مضى في الخدمة اثنتى عشرة سنة بدون زيادة في المرتب . وهذه حالة لا ترضى حضراتكم . لماذا لا تعامل هذه الفئة معاملة الموظفين الآخرين الذين يؤدون أعمالهم ، وهم بعيدون عن حرارة النار ، وسحاب الدخان .

وقال في الجلسة ذاتها :

« تحدث كل يوم إصابات في محطة الفرز بغيظ الغضب بالاسكندرية ، بسبب ترتيب العربات ، وقد بثت الشكوى لحضرة صاحب السعادة مدير السكك الحديدية ، من جراء توالى هذه الاصابات . ولا يفوتني أن أشير إلى مانشرته جريدة الأهرام منذ يومين من أن أحد العمال قتل لهذا السبب ، فأرجو من معالي الوزير ، ومعه سعادة مدير مصلحة السكك الحديدية أن يبحثا عن طريقة ميكانيكية ، تكفل منع هذه الحوادث ، بدلا من الطريقة المتبعة الآن » .

وقال في جلسة ١٩ يونيه سنة ١٩٢٧ :

« أود أن ألفت نظر سعادة مدير عام مصلحة السكك الحديدية ، إلى مظلمة الوقادين وسائقي القطارات ، وهم الفئة التي تعتبر بحق الروح المحركة للسكك الحديدية ، والأيدى التي بدونها لا تحصل المصلحة على إيراد ، فضلا عن أنهم يشتغلون ١٤ ساعة في اليوم معرضين للحر والبرد والنار والتراب ، وبالرغم من هذا فإن مرتبات كثير منهم أقل من مرتبات الآخرين . ولكني أريد توجيه النظر إلى الوقادين والسواقين الذين تسلم إليهم الأرواح والأموال . ومن الغريب أننا لا نجد لهم ذكراً في الدرجات الدائمة ، ولا في الدرجات الخارجة عن هيئة العمال حتى لم ندر في أي فرصة تسكلم عنهم . لهذا أرجو أن يهتم معالي وزير المواصلات بأمرهم وينظر في طلباتهم المدونة في السكاسة التي وزعت علينا ، ومن ضمن ما فيها أن المساح يتناول في أول الأمر ٩٦ مليماً وبعد أن يقضي ١٤ سنة في الخدمة يوضع في درجة مربوطها من ٣ جنيهات و ٥٠٠ مليم إلى ٥ جنيهات . وبمناسبة التكلم عن السواقين ومساعدتهم يسرني أن أذكر بمزيد الفخر والاعجاب أن الأخطار في مصر أقل منها في بعض بلاد أوروبا العريقة في العلم والصناعة . وهناك فريق آخر جدير بالعناية ، وهو فريق عمال ورش العنابر ببولاق وغيرها من ورش مصلحة السكك الحديدية ، إذ أن حالتهم تستدعي الشفقة والعناية ، أما مطالبهم ففي غاية التواضع ، إذ يطلبون أن تزداد أجورهم قرشين أو ثلاثة كل سنتين . وإذا كنا ندافع عن الموظفين الذين يجلسون على المقاعد الوثيرة ، تحيط بهم أسباب الرفاهية والراحة ، فواجبنا أن نرفع الصوت عالياً بالدفاع عن هؤلاء العمال المساكين الذين يقضون أيامهم بين الآلات القائلة والنار المحرقة ، ومع هذا لا يتناولون ما يكفي لسد رمقهم » .

وقال في جلسة ٢٣ يونه سنة ١٩٢٧ وهو يتكلم عن سياسة التعليم ، فلا ينسى حق العمال فيها :

« فمدارس رياض الأطفال يجب أن تعم لأولاد الشعب ، لا أن يختص بها أبناء الباشا والبك والدكتور ، الذين لهم من المال والكسب ما يسهل لهم تعليم أطفالهم في كل مكان حتى في المنزل . لذا أقترح أن يعم هذا النوع من المدارس لأولاد الصناع فيلحقون بهذه الرياض ، لتبنيه قواهم ومداركهم من الصغر ، لأن آباءهم صناع فقراء ، وسيكونون هم أيضاً صناعاً » .

* * *

هذه نماذج قليلة ، من التراث الضخم ، الذي خلفه الفقيد من آثاره الكريمة في الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم ، وهو على ضخامته جبل في سلسلة ، يكل الطرف عنها ، ويقصر الجهد دونها ، ومهما يكثر عدد الخطباء الذين يؤمنونه اليوم ، فلا شك عندي في أن نواحي العظمة الروحية في فقيدنا الجليل أكثر من أن يحدها الحصر ، فلتشمله إذن رحمة الله الواسعة ، جزاء ما أفنى حياته فيه من خدمة الوطن والشعب خالصة لوجه الله .

أيها الفقيد الكريم ، قر في الخلد عيناً ، راضياً مرضياً ، بما أبليت فأحسننت في جهادك ، وما فحيت وقدمت في سبيل بلادك ، وما يذكرك به أهل هذه البلاد ، وهم من علمت ، وشهد لهم صديقك شوقي :

هم بنو مصر لا الجيل لديهم بمضاع ولا الصنيع بمنسى

محبوب في البعثة المصرية السودانية صاحب السعادة فؤاد أباظة باشا

عرف الدكتور محبوب ثابت منذ بدء حياته بحب السودان ، والهيام بكل ما يمت إلى السودان بصلة . فما ذكر السودان في مناسبة من المناسبات ، إلا ارتفع صوت الدكتور محبوب ، يمجذ ، أو يطالب ، أو يدفع قالة لا تعجبه عن السودان . وما انعقد مجلس فيه الدكتور محبوب ، إلا ودار الحديث عن السودان . وقد بلغ من ذلك حداً جعله في مقدمة المشتغلين بشؤون السودان . وموحياً بحب السودان لكل من اتصل به ، منذ عرف اسمه في الحياة العامة .

وان من عرف أن الدكتور محبوب من مواليد مدينة دنقلة — إذ كان أبوه قومنداناً في سنار ، ووكيلاً لمديرية فازو غلى . وان جده لأمه ، اشترك في إخماد الثورة المهدية ، تحت إمرة عبد القادر حليمى باشا — لا يستغرب ذلك الحب من الدكتور للسودان ، وهذا الحنين لأول أرض مس جلده ترابها .

وقد ترك الدكتور السودان طفلاً . ولكن ظل حبه للسودان ثابتاً متزايداً على الزمان . معرباً عن خلة الوفاء فيه . ولم تنجح له زيارة السودان حتى كان سفر البعثة الاقتصادية المصرية ، التي هيأتها الجمعية الزراعية الملكية في سنة ١٩٣٥ للسفر إلى السودان ، تنفيذاً لاقتراح تقدمت به المغفور له الأمير عمر طوسون ، رئيس الجمعية ، ووالد السودان بحق ، فكان الدكتور من أبرز أعضائها ، وفي طليعة راغبي السفر .

وكان اغتباط حضرات أعضاء البعثة به لا يحد . فقد كان — طيب الله ثراه — رجلاً على المجالس ، وأنس المجتمعات . ولذا كان أسف الأعضاء بالناء لاحتجابه يومين في غرفته بالباخرة ، لأنهم في أول أيام السفر . وكان سرورهم بادياً عندما برح فراشه . وعندئذ أخذت رحلتنا على ظهر الباخرة تزداد جمالا وإمتاعاً ، بما كان يفيض به علينا من ظرفه وفلسفته في الحياة والناس .

وما أن وصلنا بورت سودان ، واستقبلنا إخواننا السودانيون ، حتى كان الدكتور بين أهله وعشيرته . فالكل يعرفه معرفة شخصية ، بما اشتهر به من حب لهم ، وما كانت تنشره

له الصحف من صور . حتى أن القرويين والأطفال عندما كنا نمر في السودان والقرى يشيرون إليه باسمه ، ويعرفون شخصه ، ويلقبونه (بأبي دقن ، وأبي كريمه) « ها اسمان لشخصيتين معروفتين في السودان » وهذا لعمري خير جزاء من قوم أوفياء لرجل أخلص لهم الحب .

ولقد كان الدكتور منذ حللنا بالسودان ، موضع الحفاوة والعناية من أهله . ففي كل حفل يطلبون إليه الخطابة . وفي كل ناد يلتف حوله العديد من المحفلين ، يغترفون من علمه ، ويتزودون من خبرته ، ويستمعون بما يضيفه على مجالسه ، من ظرف ومرح .

ويظهر أن ما عرف عن الدكتور في مصر من ظرف ، كان يعلمه إخواننا السودانيون ، فما حل بمجلس حتى التف حوله الكثيرون يشيرونه بالفكاهة ، وهو يفيض عليهم من روحه الصافية ، وحديثه العذب ، حتى كان ينسى نفسه ، وينسى المواعيد المحددة ، وحتى كنا نضطر أن نحمّله حملاً ، كلما تجر كنا من مكان إلى مكان ، لئلا تعطل برامجنا . وكمن مرة أخرنا القطار المخصص لنا عن مواعده ، حتى يتم الدكتور حديثاً ، أو يأتي على (نرجيلة) .

وكان رحمه الله يعرف السودان بلاداً وقرى ، وسكاناً وأسرا ، وقيلاً قبيلاً . وكان يعتز بهذه المعرفة ، حتى ليأبى أن يناقسه فيها أبناء السودان أنفسهم ، وذلك ولا ريب ، وفاء مثالي من إنسان للبلد الذي شهد أول ضياء فوق أرضه ، وتنفس أول نسيمات الدنيا في جوه .

وفي تنقلاتنا بين ربوع السودان ، أطلق الدكتور نفسه على سجيئها وطبيعتها السمحة . فما هو ذا في سوق الصنع بالأبيض ، يداعب الفتيات اللواتي يعملن في تنظيفه ، وهن فتيات صفار ، ويحدث عجزاً قابلهما في أحد الدروب ، ويربت على طفلة ألفاها تبكي في الطريق .

وها هو ذا يتجول في الأحياء والدروب المختلفة . يجلس في القهوة البلدية ، ويتصل بكل من يلقاه من المواطنين . وها هو ذا يستمع إلى الأغاني السودانية من أحد المطربين ، فيهتز ويتأيل . ويحفزه ذلك إلى أن يلتقي علينا محاضرة في المقارنة بين الأغاني السودانية والاندلسية .

وكم كان الدكتور يود أن يزور مسقط رأسه (دنقلة) ولكنها لم تكن وضعت في البرنامج لصعوبة المواصلات إليها . وكأما شاء الله أن لا يلب شوقه بزيارتها ، حتى يظل ذا كراً لها ، وحتى يظفر منه السودان بنصير من خيرة نصرائه .

وقد زرت (دنقلا) وزرت البيت الذي ولد فيه رحمه الله ، وأرسلت إليه برفقة داعيته
فيها ، كان لها وقع عظيم في نفسه .

وعندما انتهت زيارة البعثة ، وأزمعت العودة إلى القاهرة ، بلغ منه الأسف ، رحمه الله ،
مبلغاً عظيماً وكم تمنى أن يقضى بقية عمره في السودان ، الذي ظل وفيأله مدة عمره ، والذي بلغ
من اهتمامه به (برا بمسقط رأسه خاصة — ووادي النيل عامة) مبلغاً جعله في مصاف
كبار الوطنيين البررة . طيب الله ثراه ، وجزاه خير الجزاء .

بروحى صديق حميم نوى

لشاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل مطران بك

تولوا . وقدر لى أن أريما وفى كلهم كان خطي جسيما
رفاق صحتهم فى الحياة وأين هم اليوم ؟ باتوا رميا
لأبصرتهم سطعوا كالنجوم وما أجد الآن ، إلا سديما
بروحى صديق حميم نوى ومن يك يك الصديق الحميا

شينا معا ولعبنا معا وطاب لنا اللهو ، إلا ذميا
وكان الجنى من دعاياتنا فكاهة من ذاق ذوقاً سليما
تحلم وهو نضير الصبي فجل ذاك الحميا الوسيميا
يخال للحيته هية ولحيته لا تنفر ربما
فكان لنا عجبا أن يرى على مرح الطبع فيه حلما

كذلك مضى فى كفاح الحياة وخاض الغمار دؤوباً عزوما
يسام اضطرباً ويشقى اغتراباً ويأبى على الضيم أن يستيما
يمجد ويمزج مهما يحشم ولم يك فى العيش إلا غريما
ألت فما عبسته الخطوب ولم تنسه الابتسام القديم

أمحجوب خطبك راع البلاد وقد كنت فيها الطيب العليا
وكنت الأديب وكنت الخطيب وكنت السмир وكنت النديما
يكاد كلامك من طيه بسر السكول ويشقى السكيا

ظلت لمصر وسوداتها على العهد في كل حال مقبلا
أينسى بنو العرب في كل دار نصيرهم الأريحي الكريما
وينسى الغرائق زين الشباب وشيخ الشباب المهيب الرحما

حياة بلوت تصاريفها وأكثر ما كنت فيها مضيا
بلطفك والظرف فكمتها وطيت موردها والنسيا

السودان يرثي حامل مشعله

للوجبة السودانية الأستاذ علي البرير

هذه دمعة حرة ، يزرفها الوادي الأعلى فتجتمع من وديانه ووهاده ، ومن هضباته وربواته ، وتسير مع النيل في روحاته وغدواته ، فتسيل على شطائه أسي ولوعة ، فيروح يردد من آهاته وحسراته !

وكيف أتحدث عن الفقيد والسودان !؟

وهل كان الفقيد إلا السودان ؟

يوم انبثق فجر الحركة الوطنية من ثنايا ليل طويل ، حمل الفقيد مشعل السودان ، وأخذ ينتقل به من زمان إلى زمان ، ومن مكان إلى مكان ، حتى غدا علماً فوق رأسه ، أو غدا هو رأساً فوق علمه .. أو كانا كساريتين ، ما يجتمعان إلا ورغرت من فوقهما العلمان !

رحم الله الفقيد . يوم أن شاءوا لمصر أن تفصل عن سودانها ، أو شاءوا للسودان أن يفصل عن مصره ، وشبه لهم ، ولكن هيهات هيهات ، يوم أن شاءوا هذا الذي ظنوه ، كان الفقيد في مصر ، وكأنه سودانها . ظل راسخاً ، يميل الجيل قبل أن يميل . وبقي كاتباً ، ينفذ المداد قبل أن يكف . وبقي خطيباً ، يصمت الصوت دون أن يصمت . وبقي كل شيء .. رمزاً للنيل ، ونخراً للجيل ..

سادتي :

لا أستطيع أن أذكر عملاً سودانياً واحداً في مصر ، دون أن يكون الفقيد في صفه الأول . فلقد كان فقيدنا الراحل بالنسبة للسودان ، كمناصر الحياة ، لا بد منها للحياة ، فلم يكن عمل من الأعمال السودانية في مصر ، إلا وكان الفقيد الدافع له أو أساسه ، وكان الموحى به ، والملمه له ونبراسه .

سادتي :

ولد الفقيه في السودان .. وسُمي باسم «سوداني» وكان اقليم دنقلا من شمال السودان مسقط رأسه ، قد كلفه في كل شيء ، اسماً ، ورسماً ، وجسماً ، وحتى هذه الالهجة التي كان يقهقه بها ، كانت من إنتاج ذلك الاقليم ، ومن ثمراته .. وطوال أيام الفقيه في مصر ، كانت تتنازع مشاعره ، وتحيش عواطفه ، وتوق نفسه لزيارة السودان ، وطنه ومسقط رأسه ، ولقد تحقق له ذلك منذ عشرة أعوام تقريباً ، حيث سافر مع أول بعثة مصرية اقتصادية ، طافت ربوع السودان وأنحاءاته ، وهناك تمكن من أن يلمس بنفسه ، بعد أن شعر بحسه ، حب الناس له ، وذكركم لذكركه ، وتقديرهم لجهاده وقدره ، وهناك استطاع أن يطوف بمراتع الصبا ، وملاعب الآمال والأحلام . فانطلق صوته القوي ، ومنطقه الدفاق ، فجلجل في تلك الربوع والآفاق ، وازورت في عينيه عبرات فذرفها ، فكانت دموع اللقاء .. ولم يكن يعرف أنها دموع الفراق !

رحم الله الفقيه .. عندما يسجل التاريخ على صفحات النيل الأغر ، أسماء أبنائه الفر الميامين ، الذين رعوه في حرمة ، فعملوا لعزته ، وآمنوا بوحدته ، فنادوا بدولته ، سيكون اسم الفقيه في غرة القائمة ، وسيكون ذكر الفقيه عطر الذكريات .. وسيكون سجل الفقيه مفخرة السجلات ..

سادتي :

إن هذه الدفعة الحري ، وهذا الحزن الذي جلجلت به مآذن المساجد في السودان ، عندما صلوا على الفقيه صلاة الغائب ، وهذه المراثي التي ازدحمت بها أنهر الصحف هناك ، وهذا السواد الذي جلل الأنديّة والمجتمعات .. كل هذا ليعبر عن الاكبار والاجلال الذي تحمله للفقيه هناك القلوب ، وكل هذا ليعبر عن حب الفقيه وإعزازه في الجنوب .

فسلام على محجوب في أعلى عليين ، وسلام عليه في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين .

الدكتور محبوب ثابت والرابطة الشرقية محاضرة صاحب العزة ميرزا اكب محمد رفيع شكي

كان الدكتور محبوب ثابت رحمه الله ، إماماً في الأدب ، كما كان حجة في الطب . كان محبباً إلى النفوس مقرباً من القلوب ، وكان كاتباً حكماً ، وخطيباً عظيماً ، كان يحفظ الكثير من قديم المنظوم وحديثه ، فإذا خطب تخللت كلماته آيات من الشعر ، وألوان من الدعاة . كان يتبدى الكلام سهلاً ، ثم لا يلبث أن يتدفق سيلاً .

وإتانا ونحن على مدى ربع قرن من القومية الوطنية والثورة المصرية ، مازلنا كلما استعرضنا مواكب الثائرين ، ونخيلنا صفوف المجاهدين ، نسمع صوت الدكتور محبوب يرن مدوياً في الجموع ، ويوقد نار الشجاعة بين الضلوع ، حتى إذا وقعت الواقعة ، ونزلت الفاجعة ، وجدناه رسول الرحمة ، وولي الحكمة ، يشد الأزر ، ويضمد الجرح ، فهو في سبيل الوادى من مصره إلى سودانه لا يهدأ ولا يلين .

وقد كان رحمه الله ، بعيد الأغراض ، واسع الأهداف . فإذ ذكر مصر إلا وذكر السودان ، وما ذكر الوادى إلا وذكر العرب والعروبة ، وما ذكر العرب إلا وذكر الشرق . وكان يتحسس لكل ناحية من هذه النواحي ، ويجد في كل واحدة منها دعامته للأخرى وإن على هذه الدعامات المتماسكة ، يستطيع الشرق أن ينهض ، وأن يستعيد مجده القديم .

وكنا والعالم ينفذ عن كيانه أدران الحرب الأولى الماضية ، نهدف جميعاً للحرية ، وكنا نعلم أن كل قيود تفك عن بعضنا كأنما تفك عن جمعنا ، فاحترمت في رؤوسنا فكرة نبيلة هي الرابطة الشرقية .

وقد كان للدكتور محبوب ثابت ، على كثرة متاعبه ، وتعدد مشاغله ، وتقلاطه من ساحة إلى ساحة ، ومن جهاد ، إلى تطيب ، إلى جراحة ، يختلس من الليل ساعات ، ومن الراحة فترات . فكان يوزعها بين خاصة إخوانه ، وكان يخصني أحياناً بنصيب من تلك الساعات . وكانت زيارته لا تحين إلا في ساعة متأخرة من الليل مهما شاء أن ييكر ، فقد كان كثير التعاريف في طريقه . وأخيراً يحىء مع نفر من خاصته في عربة متواضعة يجرها أصيل مهزول

أطلق عليه المرحوم شوقي بك أمير الشعراء اسم « مكسوفى » وخلد ذكره في ديوانه .
كما ذكرت الثورة حينئذ أنه كان ذا أثر في إسعاف المصابين ونقل المجرّوحين .

وكنا نتحدث عن الرابطة الشرقية ، وأنا أعلم بما كان للدكتور من مجهود محمود في الهلال
الأحمر أيام حروب الدولة العثمانية في طرابلس والبلقان .

وقد آنست في نفسه إيماناً بهذه الرابطة واعتقاداً بضرورتها . وكان أن دعوت
إلى منزلى في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٤١ الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ جماعة مختارة
من أفاضل رجالات مصر وأبناء الأقطار الشرقية فيها — إلى حفلة تكريمية — أقمتها
لوداع صحفى إيرانى أديب .

وإذا أبى أجد المدعون ، وكأنا مسهم تيار كهربائى واحد ، كلهم يتجهون بقلوبهم إلى ضرورة
تأليف الرابطة الشرقية . وكان فى مقدمة المتكلمين الداعين لذلك حضرات السيد عبد الحميد
البكرى ، والشيخ محمد نجيت ، والسيد رشيد رضا ، والشيخ الزنكلونى ، والسيد التفّازانى ، واحمد
زكى باشا ، والدكتور محبوب ثابت رحمهم الله . وقد طالّت الجلسة وكثر المتكلمون ، وأخذ
كل واحد يبدى استعداداً لأن يكون عضواً فى الجماعة . وإذا بصرخة مدوية وصوت يعلو
على أصوات الجميع وقائل يقول : لن تخرجوا من هنا قبل أن تعملوا عملاً . تلك كانت
كلمة الدكتور محبوب ثابت . وقد استمع الجميع لنصيحته ونزلوا عند إرادته . ولم ينصرفوا
إلا والهيئة التحضيرية للرابطة كاملة التكوين ، فلما اجتمعت الجمعية العمومية لأول مرة
وكان ذلك فى دار ساحة السيد البكرى اختارته عضواً فى مجلس إدارة الرابطة الشرقية .
فكان من المؤسسين العاملين .

ومضينا نسأل عن الدكتور محبوب ثابت بعد جلستين أو ثلاث . وقد تغيب نخشيناً
عليه المرض . وإذا بنا نعلم أن الدكتور معتقل فى سجن المنشية . فلما أطلق سراحه استعاد
نشاطه ، واستأنف جهاده ، قوياً فتياً فى خدمة القضية المصرية .

وهالني بعد ذلك بشهور وأنا أقلب محاضر جلسات الجمعية ، أن وجدت خالية من اسمه
حتى فى قوائم المعتدّرين . وزالت دهشتى بعد ذلك عند ما وجدت اسمى فى أحد محاضر
مجلس الإدارة مع صحبة من زملاء مختارين لتقابل صاحب الدولة المرحوم يحيى إبراهيم باشا
رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، ولزجوه بلسان الجماعة أن يأمر بإطلاق سراح الدكتور
محبوب ثابت ، وقد كان معتقلاً فى « المحاريق » .

هكذا كان البطل العظيم في فترة الجهاد . يخرج من سجن إلى سجن . ومن تحقيق إلى اعتقال ، ثم قدر له أن يعيش مدة مديدة بعيداً عن بلاده على هيامه بها ، وإخلاصه لها . ولم يكن ليخفف عنه آلام الغربة إلا وجوده بين الأصدقاء الأوفياء من إخوانه المجاهدين في لبنان وسورية وفلسطين .

وكان من غيرته على الرابطة الشرقية . جهوده الحثيثة في سبيل نصرته اثيوبيا ، يوم استباح الطليان ذمارها ، وأباحوا لأطعمهم استعمارها . فسقطت فريسة تمزقها برائن أولئك السادة المتعدين !

سادتي :

إن هذه الناحية الشرقية من نواحي الدكتور محبوب ثابت . خصيبة كوطنته . عظيمة كعبقريته وبطولته . ولم نجتمع اليوم لتعدد فضائله ، ولكن اجتمعنا لنحيي ذكره . فإلى روحه الطاهرة ، نرسل إلى جانب تحية الوادي ، تحيات يرددها الشرق .

اللهم سلاماً ورحمة ، على ذلك البطل العظيم . وعزاء يا مصر في الابن الأبر الكريم .

تجاوب الذكريات الوطنية

محاضرة صاحب العزة الأستاذ فكري أباطه بك

أيها السادة :

شاعت إرادة الله أن تجمع بين ذكرى الأبرار في يوم واحد . ومساء واحد . هو اليوم !
أحباب « فريد » وأنصار « فريد » يحتفلون بذكرى الشهيد في الاسكندرية . وأحباب « محجوب » وأنصار « محجوب » يحتفلون بذكرى الشهيد في القاهرة . وأنا الوفي للبطلين ،
والشهداء ، والفقيدين ، موزع القلب بين العاطفتين ، والواجبين ، والذكريين . . .

كأن روح « محجوب » تهمس في أذني قائلة : دعني واذهب للاسكندرية . أدّ الواجب
لزعيمك وزعيمى ، وشهيدك وشهيدى ، وفقيدك وفقيدى ، فاقوله هناك ، يقال هنا . وما تقوله
عن الزعيم الذى نحمي ، يقال عن النصير الذى نحمي ! ما تقوله عن الزعيم الذى لم يترك إلا ثروة
المعنويات والروحانيات ، يقال عن النصير الذى لم يترك إلا ثروة المعنويات والروحانيات . أعطني
بعض ما أعطيت فريد . وارثي ييمض ما رثيت فريد . واذكرني ببعض ما ذكرت به فريد .
ورحمة الله على أيامنا الأولى : أيام الجهاد من أجل البلاد . لا الجهاد من أجل الأشخاص .
حقاً أيها السادة :

ماذا تطلبون إلى « نقيب الصحفيين » أن يقول . ومحجوب من يوم أن تجلى على المسرح
الفنى والسياسى كان صحفياً بقلمه ، بلسانه ، بجنانه ، بوحيه ، فهل ذكر الذاكرون من
خمسة وثلاثين عاماً أوتزبد ، يوم حاول الانكليز أن يحولوا بينه وبين منصبه الطبيعي في مدرسة
الطب كيف أشعلت جرائد الحزب الوطنى نار الاحتجاج على سياسة العدوان على كفاية
المصريين وأهلوية المصريين ، وكيف بدأ محجوب حياته العملية بطلا من أبطال الوطنية ،
ورمزاً من رموز القومية ، ونخبة من نخايا الاحتلال ، وطلعة من طلائع الحرية والاستقلال .
ألم تخلد الصحافة المصرية للفقيد الكبير رسائله ومذكراته في الحرب البلقانية ، والحرب
الطرابلسية . وكيف كان يوافيها بجهاده في معارك الطنيان وسط الحديد والنار . وكيف كان

وزملاؤه المصريون الأبرار الذين استنفرهم الدين ، والجوار ، واللفة ، والعدل ، والجهاد ،
إلى الميدان ، عنوان نثار لمصر والمصريين !

إن فقيدكم وفقيدنا محجوب كان « قاسماً مشتركاً أعظم » في كل معركة نبيلة من معارك
التاريخ المصرى الحديث والقديم . ويمتاز الفقيد عن زملائه بأنه كان لسان الحال . كان الكاتب
المدون ، المذيع ، المؤرخ ، كان جريدة سيارة مغدقة الوطنية ، غزيرة الأنباء ، مثيرة الأخبار ،
صادقة الوحي ، مؤمنة كل الايمان بما تنشر على الراى العام .

وإن كانت الصحف تمتاز بالجديد وبالتجديد ، فسجلوا للفقيد أنه أول من دفع بالصحافة
المصرية دفعاً لمعالجة مشاكل العمال ، وآلام العمال ، وأهمية العمال ، وواجب الدولة نحو العمال !
وسجلوا للفقيد أنه أول من صاح صيحة السياسى ، البعيد النظر ، الصادق الحس ، المتنبئ
أصدق النبؤات عن « السودان » . ولو أن زعامات البلد . وأحزاب البلد . وحكومات البلد .
قد تابعت في صحبته . وفي يقظته . وفي وطنيته . ماتعتقدت مشكلة « السودان » هذا التعقيد .
ولو أنهم اتبعوا نصيحته . وعملوا بسياسته . لتفادوا الأوضاع المتكدسة المتخلفة عن الاهمال
والتجاهل ، والتي توقعها الفقيد من زمن بعيد ...

أيها السادة :

كان الفقيد العزيز صحفياً بطابعه وسليقته . وكم انتعشت جرائد ومجلات بنفقات يراعه .
فإن لم تدرك منتجات قلعة أدركت منتجات روحه . فككم امتلات الصحف بأخباره ،
ونظرياته ، وأفكاره ، ونوادره ، وتحفه ، وكم نقلت عنه أروع ما ينقل عن الوطنى ،
عن الفنان ، عن المبتكر ، عن المجدد ، عن الخطيب ، عن النائب ، عن الديموقراطى الشعبى
الذى لا يتكلف ولا يتصنع ، والذى ترك الدنيا فقيراً من كل شىء إلا من الأصدقاء ،
والمقربين ، والمعجبين ، والمترحمين . .

تلك هى ثروة الأفاذاذ العابرة ، كبار النفوس ، كبار القلوب . لقد فقدت الصحافة أحب
حبيب لها . وأعز عزيز عليها . فهى تتقدم للشعب المصرى بالعزاء . داعية الله سبحانه وتعالى
أن يجزيه خير الجزاء .

محبوب والتدريب العسكري الجامعي

لصاحب العزة الأمير الای الدكتور احمد بلال بنی بک

حضرات أصحاب المعالي والسعادة والعزة :

سیداتی . سادتی :

حياة المرء ، طالت أم قصرت ، لا تقاس بالسنين والأيام ، ولكنها تقاس بما خلف وراءه من أعمال مجيدة ، وما أثر طيبة ، وآثار مخلدة ، قد لا تبدو عظيمة إبان حياته ، ولكنها لا تلبث حتى تبين وانحمة بعد مماته ، كالصباح المضيء لا يعرف قدره ، حتى ينطفئ سراجہ ، ويتوارى ضياؤه .

وفقدنا محبوب ثابت كان شعلة وهاجة ، وحركة دائمة ، ملأ علينا أسماعنا وأعيننا وأفئدتنا ، وغذى أرواحنا . فلم يترك لنا لحظة إلا شغلها ، ولا فراغاً إلا ملأه . حتى غلبه الموت ، فخلا مكانه ينينا ، فإذا الكل يئيكه . وإذا الكل يرثيه ، وإذا أنا جميعاً يعزى بعضنا بعضاً . ولكن هيهات ، فقد عز المصاب ، وجل العزاء .

سیداتی . سادتی :

كان محبوب عالماً وبجامة ، وكان أديباً ومؤرخاً ، وكان راوية ومدققاً ، وكان سياسياً وعقيداً ، وكان عرياً صميماً ، وكان جريئاً صريحاً ، لا يدهن ولا يراني ، يصدر عن عقيدة ، ويعمل في غير جلبه ، عرفه الكبير والصغير ، ولمس فضله الوزير ورجل الشارع ، وأحبه الشعب ، لأنه اندمج في الشعب ، وعاش مع الشعب ، وارتفعت صيحاته المدوية ، من أجل مصر ، ومن أجل السودان ، ومن أجل العروبة ، ففجعتنا فيه اليوم ، إن هي إلا خيعة الشرق والعروبة والناطقين بالضاد ، في مشارق الأرض ومغاربها .

سیداتی . سادتی :

للأديب أن يذكر أدب محبوب ، وللمؤرخ أن يدون فضل محبوب ، وللسياسي أن يشيد بشدة مراس محبوب ، وللعروبة أن تبكي الوفاء في محبوب ، ولغيرهم أن يرووا غلثم إذا هم تلمسوا محبوباً فلم يجدوه ، فانطلقت ألسنتهم تعدد ما أثره ، وزوى مفاخره .

أما أنا وقد عاشرت طويلاً ، وأحبته وأحبنى ، وفهمته وفهمنى ، فلم يبق لى إلا ناحية واحدة ، من نواحيه المتعددة ، وهى التدريب العسكرى الجامعى الذى دعا له ورطاه ، وتمهده ورواه ، حتى أورق وازدهر ، وأنبع وأثمر ، فاذا الازهار والثمار ، شباب الجامعة وشباب الأزهر ، قويت أجسامهم ، وعلت هاماتهم ، وأشربوا تعاليم الجندية ، وأرضعوا حب الوطن ، وحب الوطن من الايمان .

سيدانى . سادى :

لن تقوم لأمة قائمة ، حتى ينهض شبابها ، يذود عنها . ويدفع عن حياضها . ويسقى أرض الوطن بدمائه الزكية . ويقم على مر الأيام صرحاً على البنيان ، رفيع العاد ، قوامه الوطنية . ودعامته التضحية وإنكار الذات ، ولقد آمن بحجوب بهذه الفكرة ، فدعا لها ، وروج لها . وطالب الشباب باعتمادها ، وكم قامت فى سبيله العقبات ، فما وهن ولا كل ، ولا ضعف ولا مل ، ولا خارت عزيمته ولا انخزل بل ثابر وثابر ، حتى أصبحت الفكرة حقيقة قائمة . وإذا بأبواب أولى الأمر مفتوحة أمامه ، بعد أن أوصدت فى وجهه ، وإذا بحجوب ينتصر ، فلا تأخذه الخيلاء ، وإذا بنجمه يرتفع فى الأفق ، فلا يملأه الغرور ، بل يحفز به انتصر ، إلى متابعة السعى ، ومطالبة أولى الأمر بالمزيد ، وإذا به يتصدر الطليعة . رافعاً علم اليقين والايمان . وإذا بوزارة الدفاع تعمل معه جنباً إلى جنب . وإذا بشباب الجامعتين يزهو فى حلة العسكرية ، ويفخر بانخراطه فى أسلحة الجيش المختلفة من مشاة وفرسان ، ومدفعية ، ودبابات ، وإشارة ، ولاسلكى ، بل وفى المستشفيات العسكرية أيضاً ، ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل أقيمت المعسكرات للطلبة ، فلا تقع العين فيها إلا على جنود خشنين ، يفتشون الفراء ، ويلتحفون السماء ، ويطهون طعامهم ، ويسلون ثيابهم .

ولا زلنا نذكر ذلك العرض العسكرى الكبير ، الذى أقيم فى فناء هذه الجامعة منذ سنين قليلة ، ورأينا فيه الطلبة ، وقد بدوا كالأسود ، يقومون بالحركات العسكرية ، ويركبون الخيل ، ويطلقون البنادق والمدافع ، ويقىمون السكبارى ، ويقودون السيارات والدبابات ، حتى إذا انتهى العرض ساروا فى صفوف متتابعة مخترقين شوارع الحيزة والقاهرة ، إلى أن وصلوا إلى ساحة الملك المفدى وقائد الجيش الأعلى ، يحبونه ويهتفون له ، فأشرق عليهم بطلته مشجعاً ومحياً ، أبقاء الله للجامعة نصيراً ، وللشباب قائداً ومرشداً .

سيداتي . سادتي :

ندبتني وزارة الدفاع مرة للسفر إلى الاسكندرية مع الفقيه الكريم ، لنجري الكشف الطبي على ضباط الاحتياط من طلبة كليتي الآداب والحقوق ، وقد كانتا نابعتين لجامعة فؤاد الأول في ذلك العهد ، فسافرنا على بركة الله ، وكنا إذا وصلنا إلى مقر كلية من السكيتين سألنا عميدها عن عدد الطلبة المتقدمين للكشف والفحص ، فإذا به عدد ضئيل هزيل ، وهنا كنت ترى محجوباً ، وقد نارت نأثرته ، وزأركالأسد ، ودخل على الطلبة في حلبة الدرس يخاطب فيهم ويحجب إليهم الجندية ، ويطالبني بدوري أن أقوم فيهم خطيباً ، فلا نكاد ننهي من تلك المهمة ، حتى يرتفع رقم المتقدمين ، ويتضاعف عددهم ، فتفرج أسارير محجوب عن ابتسامة حلوة عريضة ، تلمس فيها نفسه الفتية ، وتقرأ فيها إيمانه القوى .

ولكم كان يلح عليّ في إعادة فحص الراسيين ، وقبول ضعيف الأجسام قائلاً : إن العسكرية ، تبني ولا تهدم ، فلا تحرم أولادنا هذا الشرف ، ولقد صحت نبوءته في كثير من الحالات ، فتبدل الضعف قوة ، وزال الهزال ، وحلت محله الصحة والهناء .

سيداتي . سادتي :

لو أردت أن أعدد شمائل محجوب ، ما وسعني المجال ، فليس لي وأنا فوق هذا المنبر ، الذي طالما اعتليته إلى جانبه ، إلا أن أناجي روحه فأقول : أي محجوب ، عشت لمصر ، وعملت لمصر ، وناضلت وكأفحت ، فما خارت عزيمتك ، ولا أقعدك المرض ، وها أنت قد أديت الرسالة ، وانهى بك السعي فاستحققت رضاء الخالق وتقدير الوطن . ولاقيت ربك راضياً مرضياً .

فسلام عليك يوم ولدت .

وسلام عليك يوم مت .

وسلام عليك يوم تبعث حياً .

أيها الراحل قد خلفت من ذكرك طيباً

لأساتذتنا الشاعر محمد المحند دوى

والجهاد الحق قد ألقى من الشعب حبياً
والتقى القسيس بالشيخ حبياً وحبياً
مرسل اللحية يبدو ثابت العزم مهياً
صاح في الناس مناد ملاً الجوى نحياً
ولدى الباب رموا بالنار شيخاً فأصياً
وإذا صوت يشق الصمت كالرعد رهياً
واحبس الدمع فقد جئت من الأمر معياً
فألدم المسفوك في الميدان لا يبدو غريباً
كان « محجوب » الذي نزيه ذياك الخطياً
كان يرى القول لهما لا يننى حتى يصياً
واصطلبنا بعدها الثورة شهباناً وشياً
يفتدى مصر وإن لم يتهب منها نصياً
فهو منها لم يكن إلا شقيقاً أو نسياً
وهو لا يرضى بأن نبني من رمل كنياً
ويناجي فيه شعباً نخذ المجد ريباً

كنت في الأزهر والثورة تزداد لهياً
ضمت الراية رمزينا هلالاً وصلياً
وعلى المنبر ألفت من القوم خطياً
قلت من هذا فكان الرد من قلبي وحبياً
الجنود الحمر قد قاموا على الدرب رقبياً
فاذا القوم وجوم وبدأ اليوم عصياً
أيها الصائح خذني إن تكن تدعو طيبياً
نحن لا ندمع إن تلق دماً سال صيباً
إنما ندمع إن خبنا .. وحاشا أن نحياً
وهو من كان من الصائح ذياك الطيبياً
وينادى القوم أن جدوا نجد فوزاً قريباً
لم أجده - مادما الواجب - إلا مستجيباً
ويرى السودان لا يمكن عنها أن يغيباً
وهو ليسلاه وكم غنى له كي يستطيعاً
بل يناجى وحدة الوادى عساها أن تحياً

ففقدنا إذ فقدناه سياسياً أدياً
وخطبنا عالماً حرّاً ومنطقاً أدياً

ذاك من دب إليه الموت بالأمس ديباً
وطيباً لم يلد من مثله الدهر طيباً

خالداً كالنيل لا يعرف عن مصر مغيباً
واسترح : ان الليالى موشكات أن تطيباً

أيها الراحل قد خلفت من ذكرك طيباً
فاقطف الآن جنى الجنة في الخلود طيباً

محجوب والثورة الكبرى لشاعر السودانى الأستاذ محمى الدين جابر

الموت — ياهوله — أسطورة كذب !
والوهم فى خطوات الريح يعزفها
والناس فى غفوات الليل تسمعها
... ان الحياة وفى احنائها ألق
صيورة فى دم الدنيا تدفعها
وغربة الميت خلد فى مآثره
يروى الخيال مآسيها وينتجب !
فتستجيش أسمى منها وتضطرب
فتستكين لدى الأشباح أو تثب
من ريشة الله مايفنى لها سبب !
لا الموت ، يدرك أفيها . ولا النصب
كالحمر ، يخلد فى نشواتها الغيب !

محجوب ! فى حجرات الغيب منسرباً
حيث عهدك بين الصادقين هوى
لسنا نبكيك — يا جندي معركة
فأنت ملهم أجيال قضيتها
وأنت كعبة فداءين شاعمة
يطوف ذكرك فى التاريخ ، فى فلك
كالحلم فى خاطر الفنان ينسرب !
إذا تلون خوانون أو كذبوا ...
ماخانه النصر لما خانه السلب !!
إذا دجت فتنة أو ساورت ريب
فما تطول إلى آفاقها الشهب ...
نعم ، فتجشوا له الأيام ... والحقب !

محجوب ! دعوة إجلال وتقديرة
فان تكن عشت للعلياء مغتربا
أو فاتك المال فى الدنيا بزخرفه
أو مال دونك جاء ماعبات به
أو ارتحلت ، ولم تعقب بها .. ولداً
فكم صنعت بكفى خالق بطلا
وان سعيك حى ليس يحتجب
فالعبرى على دنياه مغترب !
فلم يفتك به بحمد ولا حسب !
فلم يمل عنك لافن ولا أدب !
فأنت فى روحهم للتائبين أب !
أو نابغا لم يغيب عن وحيه عجب !

محجوب ! والثورة الكبرى إذا ذكرت
لا السجن نال قناة منك عاصية
ولم تهادن يد الجلاذ قاسية
والحر إن سيم ضيا في كرامته

فأنت فيها إلى القمات تنسب !
ولم بذلك سلطان ... ولا لقب !
ورحت يزأر في أعطافك النضب
فما له عن لقاء الموت مضطرب !...

النيل بعدك ، يا محجوب ، تسمعه
أسبان في حلقات القيد مطرعا
ويستغيث فلا أنباؤه فزعوا
حرية الشعب باسم الموت يأخذها

كأنه راهب في الليل مكشَّب
والسوط يأخذ جنبه فيحترب ...
لما دعاهم ، ولم يرحمه مقتصب !
وليس يمنحها الجلاذ أو يهب

محجوب ! قم في الضفاف الخضر توقظها
المعجزات على أحضانها درجت
مشى الفراعين في غاباتها أسداً
فكيف نعب في التاريخ . . . مرحلة

كمعهدها بك ان طافت بها النوب
والسحر في أفقها قامت له النصب . . .
يحمونها . . . واستاتت دونها العرب . .
تكاد تنسخ ما أجدادنا كتبوا ؟ !

يدعوك في عدوة الوادى ومطلعه
قد كنت تسعده فردا فكان له
واليوم ، قم تبصر السودان تهدمه
في خافق النيل طعنات يحيش بها
وثيقة في يد الأيام قدسها
عهد من الله باسم النيل وقعه
النيل سيف على الوادى يمنعه
شعب ، نموت ونحيا ، وحدة ويداً
النيل من عدوته نحن سادته
وإن يكن ليله قد طال أن له

صوت كصوت الضحايا فيك محتسب !
كثيرة منك ، في بأسائه ، لجب ...
يد الحوادث ، لاعمد ... ولا طنب ... !
تبكى لها يتنا الأرحام والنسب
دم لنا في رحاب الخلد ينسكب
قد ضل ما زعم الباغون أو حسبوا
من يفصل السيف ، يصير كيف يتقلب ؟ !
ويحرس التاج منا سادة نجب ...
ونحن دون حماة معقل أشب !
نجراً على شرفات الغيب يرتقب ...

دمعة صديق

للعلامة الأستاذ محمد كركم على بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق (١)

كان الدكتور محبوب ثابت ، صورة فريدة من صور الرجال ، بعلمه وبيانه وعمله ووطنيته ، فطر على صفات نادرة ، سيرته في مراحل عمره سيراً حفل معه بالطيبات ، واتجهت قواه منذ صباه لخدمة المصلحة العامة ، وعمل على هينته في تواضع خال من التمجيد والتبجح ، وما طلب العوض والمكافأة عما أجهد نفسه فيه ، ذلك انه كان متشبعاً بروح التهوض ، ويعرف كيف يرضى ضميره بإداء فرض لابد من قضائه .

كان مثال العامل الصالح في شيخوخته ، على نحو ما كان زمان كهولته وفوته . وهذا مما يندر في رجالنا ، ومن قانونهم أن ينتج أحدهم مادام في حاجة إلى الإنتاج ، وينحفت صوته وتبطل حركته بعد سن الخمسين إذا فاز بنصيب من العلم أو المال ، أو أحرز جاهاً وحظوة وشهرة ، فهم يقفون على الأغلب حيث يترأى لهم أن يقفوا ، لا حيث يجب عليهم أن ينهوا ، وبخاصة إذا وهموا أن حياتهم آمنة من العوز في الوظائف والاستخدام .

قل أن رأيت من أهل صناعة هذا الفقيد العظيم من هضم علمه مثله ، أو جمع إلى علمه معارف تمثلها ، وهي ليست بحسب الظاهر من اختصاصه ، أو شارك في مسائل كثيرة مشاركة المستقصى الحصيف ، لا مشاركة التتفة . ولو قد كتب له أن يعنى بالتدوين ، لكانت مدوناته من أجل الكتب العلمية ، يتعلم منها من يجب أن يتعلم ، ويتفكك بها من ينزع إلى أن يتفكك .

كنت تراه إذا جد الجدد ، نسي كل مصلحة خاصة ، فيتأمل لك شخصاً لا يحسن غير فنه وإذا هزل ظننته رجلاً شغل حياته في الضحك والاضحاك ، لا يحفل بمصطلحات الناس واعتباراتهم ، ولا يبالى بالوقت يصرفه في غير فائدة . وما أحلاه إذا خطب بالفتين ، وما أطرب حديثه إذا كان راضياً أو غاضباً .

كان على حظ عظيم من عزة النفس ، وعلى جانب من جمال العهد ، وفيأ إلى أقصى حدود الوفاء ، وفيأ لوطنه يسهل عليه بذل كل نفيس ليحقق له بعض سعادته ، وفيأ لعمله يزيد أبدأ في معلوماته وتجاربه ، ظل على ذلك إلى آخر أيامه ، وفيأ لمرضاه يعني بصحتهم

(١) وقد ألقى هذه الكلمة الأستاذ محمد قطب

وتخفيف آلامهم ، عنايته بكل مطلب من مطالب أمته ، وفياً لأصحابه لا يدخر جهداً في مرضاتهم ، وإدخال السرور على قلوبهم . ولو قدر له أن يبذل في خصوصياته بعض ما بذل في خدمة الجماعة لعد في المؤسرين ، ولو كان يسف إلى استثمار كل شيء لحسابه ، لكان من السمو والبسوق في الذروة العليا بين رجال الدولة . ولكنه ما خلق الا ليعلم المجموع على ما توحى إليه قريحته ، ولم يخلق ليعلم مصلحة ، ويتفانى في جلب المنافع ، فهو رجل القوم ، لا رجل في القوم ، هو لقومه حساً ومعنى .

يرد تاريخ صليبي به إلى أزيد من عشرين سنة ، وكانت علاقتنا في غضوننا أوثق من علاقة صديق بصديقه ، تمازجت روحانا وقضينا في القاهرة أياماً وليالي ، كانت حلوة لذينة ، زانها ثلة من الأصحاب ، هم حلية الزمان ، وبلا بل مجالس الإخوان ، ثم فرق الدهر بيننا وبين بعضهم (ومنهم الأحمدان العظيان أحمد زكي باشا وأحمد شوقي بك عليهما الرحمة) وصرفت مع صديقي في دمشق أشهراً أيضاً ، وكان اعتصم بها في محنة سياسية وقع فيها ، فشاهدته واحداً في نعمته ، وفي محنته ، يتجبد لا يتضع ، قوى الثقة بالله ، لا يشك بحسن عاقبة المخلص الصادق . وكان من الرعيل الذي لا يتكل على غير نفسه ، ولا يطلب معونة حتى ممن يوالونه ويعجبون به ، ويستعذب كل غناء إذا عاد ولو بفائدة ضئيلة على بلده ومواطنيه .

دعا إلى السودان وحيه إلى كل مصري ، وعرف أهل القاصية والدانية مكانة السودان من وادي النيل ، حتى كاد يظن من لا يعرف ترجمته أنه من صميم السودانيين ، مأخوذ بسودانيته ، متم بحب أرضها وساكنيها . والجميل في حياته أنه بعيد عن التصنع ، يرسل النفس على سجيتها ، وقد رزق بديهة مواتية ، فكان يملأ بها الصدور إعجاباً .

رأيت مع ناخيه من عامة مينا البصل ، يعلمهم كما يعلم الأب أولاده ، ويرشدهم إلى معاني جميلة في الحياة لو هدوا إلى تحقيقها لارتفع مستواهم . وشاهدته مع النوبيين يدرّبهم ويلقّنهم ما يفيدهم في بيتهم . وحضرته في مجالس العظماء والأدباء يفيض من حكمته ، ويلعب بالعقول في محاوراته ومسامراته .

وكان عقله أوسع من أن يحصره في حدود مصر ، فقام في ذهنه أن من المروءة أن يصرف جانباً من جهوده في أهل الاسلام ، والعرب والتّرك منهم خاصة ، ويقول أبداً من لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم .

كان أديباً بكل ما فى الأدب من منازع شريفة ، ما سمعته يطعن على أحد ، ومن آذوه غير قلائل ، أما هو فقد علمه نبل شيمته أن يصفح الصفح الجميل ، ويقم من نفسه الاعتذار لأرباب الشذوذ والنشوز ، ولا يبادر إلى مخطئة المخطئ إلا إذا قد صبره ، ورآه قد عبث بمصلحة عامة ، وكل ذلك من دون اقداع وتحامل ، يقدر الجرم بقدره ، فهو طيب شرعى حقاً وصدقاً .

وكان إلى التفاؤل أميل منه إلى التشاؤم ، يرى الدنيا بعين المغتبط الجبور ، ويصمد للحوادث فى أخرج ساعاته ، لا يتأفف ولا يسخط مهما ألت عليه الأوجاع ، ويحمد الله على ما ابتلاه وأنقذه مما تجنه الطبيعة من آلام هى أشد مما وقع فيه .

وكان نفسه كانت مؤلفة من عدة شخصيات ، ومن كثير من الاختصاصات ، تفوق فى صناعته إلى أسمى درجة ، وطبه طب العالم لا طب المتطبب ، وكذلك هو فى الأدب وكذلك هو فى الخطابة والسياسة ، وما أحصى عليه أنه أتجر بشيء مما علم وفهم ، وما اتخذ من علمه سلباً إلى الظهور ، وما جود فى طبه وغير طبه إلا لأن طبيعته تحب التوسع فى بحث الأشياء ، والوصول إلى غوامض ما عالجها كثير مثله ، وهو إلى ذلك يعلو عن المادة خلافاً لأكثر معاصريه .

وعطفه على الفقير ، وعطفه على الأعمى وأصحاب العاهات ، وعطفه على الناشئة وعنايته بمستقبلهم واستقلالهم ، وعطفه على وطنه وتصديه لتهيبته له بعض ما يحفظ عليه صحته — كل أولئك كان فيه لا يجارى ولا يجارى .

نعم هو مثال نابعة ، لا يلهيه عن تحقيق أمانيه عائق ، ولا يدهشه تعقد المشاكل ، ولا يهناه العيش إلا إذا تم له الممكن ، لانجاز ما شغل قلبه .

سار فى ناحية عينها لنفسه ، ولم يحجر فى خططها على مثال سابق ، فامتاز بلون خاص من ألوان الحكمة والأدب وحب الخير . وكان رضى النفس قوى الايمان . وإذا لم يوافق بعضهم على حركته ، فى العادة ألا يعرف الحق عن المصلحين الا يوم رحيلهم من هذه الفانية إلى غير رجعة . ولو جاء أخى محجوب فى أمة تقدر الرجال أكثر مما تقدروهم . لكان له فينا شأن غير شأنه . ولا تنفع ببعض ما أسداه من جميل إلى أمته . ولعظمت الفائدة العامة منه إلى أقصى حدود الاتقاع ، رحمه الله .

تبكى الكنانة فيه فلذة نرعت

شاعر الحجاز الكبير الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي (١)

أنهرق الدمع في — بحجوبنا — العاني
 قلب أفاضت به أعشاره شغفاً
 موكل بالجنان الغر يملؤها
 ينحو بها كل ذى نجوى مغللة
 تفرق الضوء من عينه وانجست
 أفضى إلى ربه والرأس مشعل
 قد تيمته «عروس النيل» — رانية
 كأنه — وجواها بين أضلعه —
 أو أنه — والرياح الهوج — تمصفه
 بقية من نهى «سعد» أقام بها
 حسبي إذا قلت في تأينته — وكفى
 (ما إن رأيت دفيناً قبل شيخكم)
 لم يقض من كان في أخلاقه أجلا
 عانى الحياة — فلم يعبأ بزيتها
 فراح يسمي وراء الباقيات له
 كأنما هو في «أوساطه» مثل
 دوى به القطر مأخوذاً بما اكتسبت
 وكيف نجده (الحسنى) شمائله
 تبكى (الكنانة) فيه فلذة نرعت
 فما تغب به «الذكرى» معطرة
 عن أمة بهدى «الفاروق» تحسبها
 ورمزه — ثابت — في كل جثمان
 بالحلب ينضح في شيب وشبان
 من رحمة الله تغشى كل حيوان
 يطفو ، ويرسب في يؤس وحرمان
 به (المواقف) في سحر وتبيان
 شديداً وفي خطوه إقدام فتان
 من «أم درمان» توى «شطر أسوان»
 هوى «الكنانة» في «سودانها» الحاني
 حصن تماسك من صلب ، وصوان
 مقسما بين أرواح وأبدان
 (لشاعر النيل) بيتاً منذ أزمان
 تحت التراب — وفوق النجم — في آن
 إلا ليخلد في فردوسه الهاني
 ولا تصبته في مال وولدان
 من كل عارفة تسدى ببرهان
 للناس يضرب في عطف وتحنان
 يداه في «البره» من بر وإحسان
 وقد شكت فقدته في كل وجدان
 من كبدها — وتلاشت بين كئيبان
 عن «مصر» تعبق في روضات (رضوان)
 مواكب النصر في (فسطاط) حلوان

(١) وقد ألفها الأستاذ سيد شطا عضو البعثة العربية السعودية بمصر .

تفتأت في ذراه المجد واتلقت
كأنها — وعيون الغرب — شاحصة
كأنما هي و (الأهرام) تحضنها
تلاأت بالنجوم الزهر واتسقت
وشابت (وحدة) للعرب طامحة

بها (الحضارة) من فن وعمران
شمس تشق دياحيه بفرقان
بشائر الشرق ؛ في المستقبل الباني
بها الحائل — من روح وريحان
شدا بها السكون من قاص ومن دان

يامعقل (الضاد) في الشرقيين قاطبة
ومحتلى (لغة القرآن) — تهرنا
هيات نخشى المنايا أن تلم بنا
فلن زراع وفي آفاقنا (فلك)
وفي سمواتنا (الأقار) ساطعة
من كل منطلق ينقض مرتجلاً
لا تستقر به يوماً مضاجعه
ولا تميل به الأهواء جاححة
سلائل المجد في عرينهم شمم
ينازعون عناق الطير مسبحها
بينون ما هدم الماضي بما اقترفت
ويمسكون زمام الأمر ثانية

وموطن الفتح في علم وعرفان
في كل (قس) و (سجبان) و (حسان)
وصرح أخلاقنا يعلو — بإيمان
في كوكب آفل أو راحل فاني
وفي (معاهدنا) أسراب عقبان
كأنما هو من آساد (خفان)
إلا إذا عينه قرت باخوان
ولا المقاتن من وصل وهجران
يعدون للموت في إحياء أوطان
من كل ذي لب في زى إنسان
أبدى الطواغيت من جور وطغيان
من حيث لا غيرهم يحظى بسطان

مهلا (جهيزة الفصحى) فلست أرى
لا أملك الصمت ؛ والدنيا تمور بنا
في الجب ؛ في البر ؛ فوق البحر خافقة
تحدو بهم عنفات المجد في قرن

لولا مجاهدتي ؛ من فرط أشجان
ما لم أرى العرب تبني كل بنيان
راياتهم بين (طوروس) و (غمدان)
شعبا تحدر من أصلاب (عدنان)

أجل هو اليوم غير الأمس (أعمدة)
أهدافنا في ظلال السلم (جامعة)
من الشام ؛ إلى مصر ؛ إلى يمن
آمنت بالله هذا الشمل مجتمع
بذلك الدهر — ندنى كل قاصية

مرصوة تتحدى كل عدوان
من (بطن مكة) حتى (أرز لبنان)
إلى (الرياض) و (بغداد) و (عمان)
فامشوا على ضوئه في كل ميدان
من الرغاب ونخزي كل شيطان

عَبَّرَتِ الْمَوْتَ

لشاعر العراق الأستاذ الدكتور مصطفى جواد^(١)

كر الجديدين يضيئنا ويبلينا
حاتم هذى الرزايا لا توادعنا
مأصبر القلب فالأحداث تطرقه
لكل حى هلاك غير بارثا

لولا الأسا^(*) دميت دوماً ما قينا
وفيم هذى البلايا لا تخلينا ؟
فلا يذوب ولا ينصاع موهونا ! ؟
من أصله الطين لا يستغرب الطينا

قضى الاله علينا بالردى شرعاً
أقدامنا فى ركاب الموت عالقـة
قضى الاله علينا والقضاء له
هذى الحياة زهول كلها فاذا
وكل عيش وإن طالـت نهايته
وموة المرء إن كانت مشرفة

لا يعرف الموت ذا ملك ومسكينا
لم ندر أيان حادى الموت يحدونا
بذاك فلنعتبر من حكم قاضينا
حل المات صحا الانسان مغبونا
يفضى الى الموت تحقيقاً وتعيـنا
كانت لسيرته غفراً وتزيـنا

أمضى من الموت أن نخشى مصالته
لانكره الموت إلا من نكايته
مفرق بين أحباب ومنزع
وفى ستار الردى تلقى لنا صوراً

كفى بأسلاقنا للموت تهوينا
فى الشمل أو خبطه النجب المفيدنا
من القلوب سويداواتها فينا
قد صورتها لنا الأعمال تبينا

وقفت دمعى وأشعارى لكل أسى
وإن قبراً بشرق الكرخ يذكرنى

يأتى به الموت ، تأساءً وتأيناً
كل القبور كفى بالموت تحزيناً

(*) الأسا : جمع أسوة

(١) هذه القصيدة ألقاها الأستاذ عبد الرزاق محي الدين عضو البعثة العراقية .

لقد ذكرتك يا محبوب وانبعث
وما رثائك يا محبوب غير رثا
ذكرى الكنانة تشويقاً وتحنيماً
شهم رمته صروف سوف ترمينا

فليبك الطب والآداب فهي بما
لئن أصاب الردى منه مقاتله
رماه لما رأى وهنا تكاءده
رأيه قبل عشر فاكتهت به
تحفه زمر الطلاب ملفية
أبقيت ، للحمد والتمجيد تدعونا
لطالما قده بالطب مسنوننا
شيخوخة سرت الأشياخ والدينا
انسان لطف بعلم الطب مأموننا
فيه أخاً ، وأباً يأسو المحينا

لم عزائي ؟ لأهلك الألى فقدوا
لو جاوز الموت قوما كان أجدرهم
فالطب حرب لسلم الناس ناشبة
صانوا البرية من سوء ومن وصب
عميدهم ، أم أعزى الطب محزوننا ؟
حزب الأطباء إذ ما زال مغبوننا
حرب مقدسة لم تنقطع حيننا
لم يمنعوا عنهم أسوأ وماعونا

تبارك الله أن نجى بهم أمما
معرضين لعدوى كل عادية
روت ثراك أيا محبوب غادية
ونالك الله من آلاء رحمته
فهم سهام المنايا حين يأسونا
لم يفتأوا فى الورى غراً ميامينا
وطفاء وليغش حوذاً ونسرنا
جنات خلد تضم السعد والعينا

بُسُّ اللِّيالِ أَسْلَمْتُ مَجْجُوباً لِلْأَسَاذِ الشَّاعِرِ الدُّكْتُورِ رَشِيدِ كَرَمٍ

صور الرجال روائع الأجيال قيد الحياة . أسيرة أرواحهم .
ماذا يضير الحر . جيدة . إذا
والماء أصفى ما يكون إذا جرى
حاشا رواء النفس لا تخفيه أو
فكذلك رسم فقيدها الحيل
وطوايع الأخلاق والأعمال
والموت يعتقها من الأغلال
حبست براقود من الصلصال
سيان . فى الأفتان والأجزاء
تلييه هادمة من الآجال
أسى العلم والطلاب والعامل



لا تعجبوا إن ظل أشعث أغبراً
يمشى إلى أغراضه متأنيماً
مترفقاً بسبيله متبجلاً
وإبائه العربى فى عرينه
وفصاحة سال الحديث عذوبة
بين التنايا واللسان وحلقه
وبلاغة أصدائها فى الروع
مضارها متلبد أيام سعد
فكذا الفوارس عند كل نزال
مشى النمام يحىء فى إمهال
ما كل مطلق اللحن يبحال
كالطود يسمو للعلى بجلال
منها مسيل الفز فى الأنوال
قاف لغسان وثغمة ذال
لتوقظ غفلة المتخاذل المكسال
موقر بالشرر والأهوال



ماضيه أن أردفوه مطية
فكأنهم ضمو الحسام إلى الحسام
غاب العروبة فى الشام وفى العراق
والغرب والسودان والبحرين
فى كل ركن للعروبة اجمة
للشام . وهى محط كل رحال
وقربوا الرثبال للرثبال
والشطين حتى الكنج والبنغال
مرهوبة الآساد والأشبال

بش الليالى أسلمت محجوبها والعرب في حرب للاستقلال
لم يبصر القيد الثقيل محطاً أترأه يسمع صولة الأبطال
والصيحة الكبرى تجلجل من قض اء الله في الطاغوت كالزلزال

دقوا عليه اللحد ينهض خاشعاً ومكبراً لله في إجلال
شقوا الجنادل في الجزيرة تسمعوا سعداً بهمهم داخل التمثال :

كتب العلى والمجد والسلطان للف -اروق محيي ميت الآمال
حامى العروبة وهو فى ريعانه والعز فى الريعان أحسن فال

The first thing I saw when I
came here was the sea. It was
just like a giant's hand reaching out to me.

And the sun was so bright, it was
like a giant's face looking down at me.

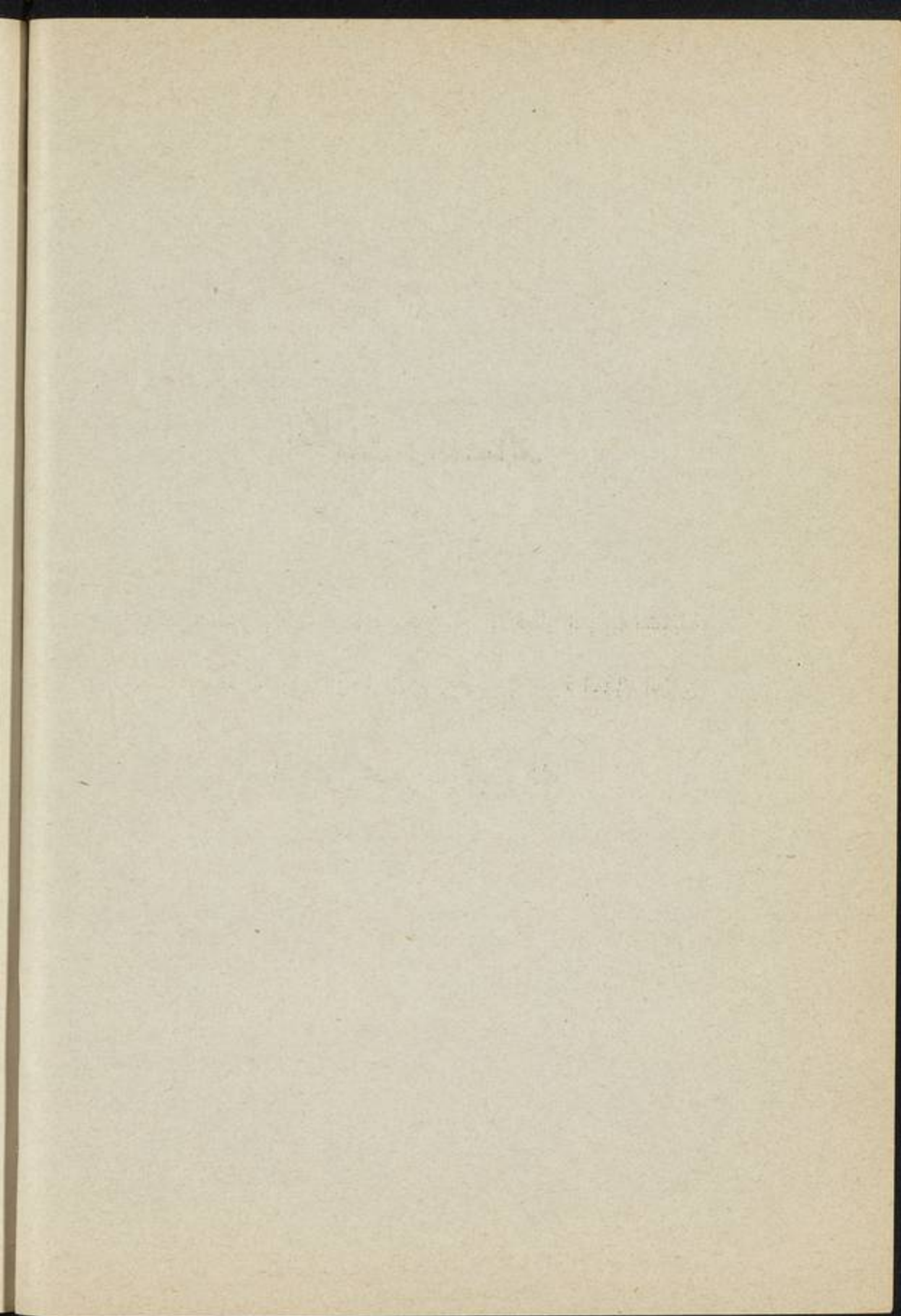
The water was so blue, it was
like a giant's eye looking up at me.

الكلمات والقصاص

التي تلقتهما اللجنة

من عظماء مصر وأدبائها ، ومن سائر الأقطار العربية الشقيقة
بمناسبة إعداد السجل التذكارى التاريخى عن حياة الفقيه العزيز

الدكتور محبوب ثابت بك



كيف عرفت الفقيد الكريم

لصاحب المقام الرفيع المغفور له أحمد محمد حسين باشا

وأرسل كذلك المغفور له صاحب المقام الرفيع أحمد محمد حسين باشا
رئيس الديوان العالي الملكي وتثنى ، قبل انتقاله الى جوار الله ، الى حضرة
صاحب السعادة الدكتور على باشا ابراهيم ، رئيس لجنة الاحتفال باحياء
ذكرى الفقيد العزيز الكتاب الآتي :

حضرة صاحب السعادة الدكتور على ابراهيم باشا

رئيس لجنة إحياء الذكرى

تحية طيبة وبعد . فقد قوبل نبأ الاحتفال باحياء ذكرى المغفور له الدكتور محبوب
ثابت ، من أولئك الفضلاء والأدباء والشعراء ، الذين يقدرّون فضل هذا العالم العلامة باعتماد
وارتياحي الشديدين ، لأنه كان عالماً من أعلام النهضة في الجيلين ، القديم والحديث ، وله مقام
كبير في المجتمعات والأندية السياسية والعلمية ، عرفت له قدره ، وشهدت بثاقب فكره
وبعد نظره ، ولا شك أن مصر وسودانها خاصة ، والشرق العربي عامة ، قد خسر بوفاته
رجلاً من الرجال العاملين ، وعالماً من العلماء الأجلاء ، وطبيباً له مكاتبه وله خبرته .

وإني لأشارك سعادتك وحضرات أعضاء لجنة إحياء الذكرى المجتمعين ، هذا الوفاء
لذكراء الطيبة ، سائلاً الله أن يتعمده بواسع رحمته على ما قدمت يداه ، في سبيل نصرة
الوطن ورفع شأنه ، في ظل جلاله الفاروق أعزه الله .

كتاب أم المصريين

لسعادة رئيس اللجنة الاحتفال

كانت لجنة الاحتفال باحياء ذكرى فقيد الوطن المغفور له الدكتور
محجوب ثابت بك قد كتبت الى المغفور لها صاحبة المصمة السيدة الجليلة
أم المصريين « صفية هانم زغلول » تستأذنها في نشر ما تذكره عن هذا
الفقيد في السجل التذكارى الذى أعدته لهذا الغرض ، وقد تفضلت عصمتها
قبل انتقالها الى جوار الله فبعثت الى حضرة صاحب السعادة الدكتور على
ابراهيم باشا بصفته رئيساً للجنة الاحتفال كتاباً بهذا النص :

« أدت اللجنة التى شرفتمكم برياستها جميل الوفاء للفقيد العزيز الدكتور محجوب ثابت
وقد كان له مكانة خاصة فى مكتب المغفور له زعيم مصر العظيم سعد زغلول باشا ، علاوة
على منزلته الخاصة فى قلوب مصر وأبناء البلاد العربية والشرقية جميعاً ، خصوصاً السودان
مسقط رأسه . كان الفقيد الكريم معروفاً بدمائه الخلق ، وسعة الاطلاع ، وبعد النظر ، ووفائه
لأهله ، وإخلاصه لمبدئه ، وتقانيه فى خدمة وطنه ، ووحدة وادى النيل . وقد كان سعد
العظيم يحدثنى عن هذا الفقيد الراحل ، وعن أدبه وعلمه ، وما أداه من خدمات مشكورة
للطب والعلم والوطن العزيز ، وجهاده ودفاعه عن السودان ، فلئن سعيتم سعيكم المشكور
فى سبيل تخليد ذكره ، فأنما تخلدون حسن صنيعه فى حياته ، فى سبيل خدمة هذا الوطن
العزيز ، وتضحياته التى بذلها ، ولا شك أن أبناء مصر وسائر البلاد العربية والشرقية الشقيقة
يشاركون سعادتمكم هذا المسعى الحميد ، ويقدررون لكم ولحضرات أعضاء اللجنة خدماتكم
خير تقدير ، وما اشتمل عليه ذلك السجل التذكارى الذى تمده اللجنة تخليداً لذكراه ، ليكون
نبراساً يهتدى به فى سبيل خدمة البلاد على المنوال الذى سلكه الفقيد فى حياته . »

فلسعادتمكم ولحضرات أعضاء اللجنة الموقرة ، التى تشرفت برئاستكم ، تقديرى وشكرى
على هذا الصنيع الجليل الذى اضطلعتم به ، فى ظل رمز الوطنية وعلمها الحقائق ، جلالة الملك
« فاروق الأول » .

صفية زغلول

تخليد ذكرى الفقيد

لم تقتصر لجنة تخليد ذكرى المجاهد الفقيد الدكتور محبوب ، على إقامة حفلة يتناول فيها الخطباء والشعراء سيرته في الجهاد ، وما أداه من جليل الخدمات للبلاد ، بل أرادت أن يكون من تخليد ذكره إطلاق اسم محبوب على ما خلف وراءه من أثر في المؤسسات والمنشآت . فاقترحت على كلية الطب أن يطلق اسم الدكتور محبوب على أحد مدرجاتها . بوصف أنه كان أول مصري شغل وظيفة الأستاذ المساعد فيها ، فأجابت الكلية هذا الطلب ، وفيها يلي كتابها .

كتاب كلية الطب

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة إحياء ذكرى المغفور له
الدكتور محبوب ثابت بك

« بعد التحية — رداً على خطاب سعادتك المؤرخ ١٩ الجاري والخاص بإطلاق اسم المغفور له الدكتور محبوب ثابت بك على صالة أو مدرج من صالات أو مدرجات كلية الطب هنا ، أتشرف بالإفادة بأننا نرحب من كل جوارحنا بتخليد ذكرى فقيدنا جميعاً وقد كانت له ذكرى عاطرة لا ينساها زملاؤه وأبنائه العديدون خريجي هذه الكلية .

ولذلك فقد قررنا تخليد ذكره بإطلاق اسمه على مدرج قسم البتالوجيا » .

وتفضلوا سعادتك بقبول فائق الاحترام

عميد الكلية
ابراهيم شوقي
(امضاء)

واقترحت اللجنة كذلك على وزارة المواصلات إطلاق اسم الدكتور محبوب ، على محطة
« ميت الحارون » حيث نشأت أسرته .

وكذلك اقترحت على وزارة الأشغال أن يطلق اسم الدكتور محبوب على أحد
الشوارع فأجابت هذا الطلب .

وقد أقر مجلس التنظيم الأعلى إطلاق اسم الفقيد الكريم على أحد الشوارع الجديدة
بشركة أراضى الروضة بالدقى ضمن أسماء كبار الأطباء المشهورين .

شخصية فريدة لا تقتل

لصاحب المعالي حفي محمد رباش

كان الدكتور محبوب ثابت - رحمه الله - نسيجا وحده .

كان طرازاً فريداً من الرجال ، بل كان شخصية لا تتلد ، ولا تقلد بين الشخصيات التي عرفها الناس في الحلقات الأخيرة من عمر مصر . وكان مما يستلفت النظر إلى شخصيته أنه خلق لنفسه تقاليد عرف بها ، ولم يعرف بها غيره . ولقد ميز نفسه بهذه التقاليد ، كما ميز نفسه بطائفة خاصة به من السبات والصفات والحاصل ، وظل حياته أميناً لها ، مخلصاً لتلك الشخصية التي خلقها لنفسه . كان يكفي أن يذكر اسمه في أى مكان ، وفي أى وسط ، لكي تقفز إلى الذهن ، ليست صورة محبوب ثابت التي عرفها الناس فحسب ، بل مجموعة من آرائه وجهوده ونظراته إلى الحياة والتقدم ، استقل بها ولم تنادره طوال حياته ، كيفما كان العمل الذي يقوم به ، أو الوظيفة التي يشغلها . كان محبوب ثابت ، هو محبوب ثابت بغير نظير ، ولا مثيل ، ولا شبه ، ولا قرين .

كان ذكياً غاية الذكاء ، ولكنه كان عميق الفهم للحياة . كان يفهم الفكاهة كما لا يفهمها إلا المقبولون على الدنيا ، المحتفلون بفنونها ، وكان ممتازاً في فهمه ذاك ، فكان يقبل الفكاهة في نفسه ، بل كان ممتازاً أكثر من ذلك في فهمه إياها ، فقد كان يستزيد منها بأن يصطنع الغباء ، ولا غباء فيه . وكان ذلك ناحية من نواحي ذكائه الذي لا يتعب الفاحص في التعرف عليه . فقد كان يجعل من نفسه هدفاً للفكاهة ، وهو عالم بما يفعل ، ولكنه كان يأبى أن يفسد على المتفكرين فكاهتهم ، لو أنه أشعرهم بأدراكه لمرماها . وكان في ذلك كريم النفس مع الناس ، لا ينكر منهم أن يضحكوا ولو ضحكوا منه ، وكان البسطاء يتصورون أنه لا يدرك مرامهم ، ولا يفهم عنهم هوى نفوسهم ، بل كان الأذكياء ينخدعون في هذه الطبيعة السمحاء ، التي كانت لا ترفض الضحك مهما كان موضوعه . فكان بذلك سخيّاً مع البسطاء ، وذكياً فوق الأذكياء .

كانوا يصفونه بالبخل ، ولو بحثوا عما يسمونه بخلاً فيه ، لعرفوا أنه لم تكن فيه شيمة البخل ، لا يستطيع أحد أن يزعم أن محبوب ثابت بذل نفسه رخيصةً للمال في يوم من الأيام

أونسي مشاغله العقلية في وقت من الأوقات ، سعيًا وراء اكتنازه . كان المال عزيزاً عنده ، إذا أقفل عليه كيس نقوده ، شق على نفسه أن يفتحه له ثانية . ولكنه لم يكن يجري وراءه ، إذا عز ثمنه . كان يتلقاه إذا جاء ثم لا يدعه يذهب ، ولكنه كان لا يفعل الحيل ليحصل عليه . ولا هكذا تكون شيمة البخلاء ، فانهم يبحثون عن المال ثم لا ينفقونه ، أما هو فكان لا ينفقه دون أن يبحث عنه بحثاً حثيثاً ، أو يضع من نفسه إذا كان شرط الحصول على المال أن تضع النفوس . فإذا كان هناك من يصصر على وصفه بالبخل ، فإن الانصاف يقتضيه أن يقول إنه كان بخيلاً ، كريم النفس ، عزيز الكرامة ، وفي هذين ما يطوح بوصمة البخل خصلة البخلاء .

كان يذكرني دائماً بقول عمرو بن العاص :

« لا ملك عندي لدايتي ما حملتني ، ولا لزوجتي ما عاشرتني ، ولا لثيابي ما كستني ، إنما الملك من كواذب الأخلاق » .

كان مخلصاً شديد الاخلاص لنفسه ولمن يحبه من الناس وما يتعلق به من الأشياء . كان الوفاء في قلبه ، فما آمن برأي ثم طرحه ، ولا أحب إنساناً ثم تنكر له ، ولا علق شيئاً ثم انصرف عنه مختاراً . كان الوفاء طبعاً من طباعه ، والوفاء سيد الأخلاق ، لأنه أصلها الذي تفرع منه ، فهو الدين الذي يكيل به الكريم نفسه ، فلا يقبلها منه ، ولو أوفى دينه ابراءً ، ولأنه يعد ذلك دين المروءة الذي لا صك فيه إلا وحي النفس ، وقيد القلب . ولقد جعله وفاؤه صاحب رسالة بين أصحاب الرسالات ، فما أعلن رأياً إلا وقد آمن به قبل أن يعلنه للناس . بل كان من أميز ما ميز حياته ، بل جهاده ، إيمانه الشديد بما يقول أو يفعل وكان ينسى نفسه في سبيل ما يؤمن به ، وإن خدع الأغرار في ظاهر الأمور . شغل نفسه بالسودان ، فكافح من أجله في مجلس النواب كفاحاً طويلاً ، فلم يكن يدع مناسبة تمر دون أن يتحدث عن السودان ، فلما ترك البرلمان لم يكن يدع مناسبة تمر دون أن يتحدث عن جهوده فيه من أجل السودان . فكان من لا يعرفون طبيعته يتصورون أنه يتحدث عن نفسه لا عن السودان ، وكان العكس هو وضع الأمور وضعها الصواب . فقد كان محبوب يتحدث عن السودان خلال نفسه وجهوده ، لا عن نفسه خلال السودان وربوعه . كان لا بد أن يتحدث عن نفسه من أجل غايته ، لأن آراءه — منذ بدأ جهاده حتى نهاية حياته — كانت موصلة للأسباب ، متلاحقة الحلقات تلاحق حلقات عمره . فكان لا بد وهو يتحدث عن السودان أن يتحدث عن تاريخه مع السودان ، لينبه المحذنين الى عرافة

صلة السودان بكفاحه ، وإلى استحقاق قضية السودان ، وهي قضية بعيدة الجذور قديمة الأسباب ، إلى وصل الماضي بالحاضر من أجل الدفاع عنه .

وكان قبل ذلك من خطباء الثورة المصرية ، بل كان بطلام من أبطالها . ألقى نفسه في أتونها ، مكافئاً عن حق الوطن الأقدس في الحياة الكريمة والحرية والاستقلال . جاهد مع المجاهدين ، وساهم في النضال الوطني ، فأوذي مع المجاهدين والمناضلين ، وتلقى الأذى كما كان يتلقى الفسكاهة من الناس ، تلقاه بنفس السباحة التي كان يتلقى بها مباهاج الحياة . كان أكبر من الأذى ، لأنه يصيبه في بدنه ، وفي رزقه ، وفي حريته ، ولكنه لا يصيبه في شرفه ، وكرامته ، وكبريائه ، فكان وطنياً من خيار الوطنيين .

وكما صاحبه وفاءه لرأيه وإيمانه به ، وطنيا بين الوطنيين ، فإنه لم يزاوله صاحب رأى في الإصلاح الاجتماعي بين المصلحين . آمن بحق العامل في الحياة الكريمة ، فكان وفياً بذلك الايمان ، لم يبارحه وفاؤه طيلة السنوات التي كان يكافح فيها عن كرامة العمل وحقوق العمال . وربما كانت شدة وفائه لآرائه وإيمانه بها ، هاما يعكس على تغييره عنها ، وتحمسه لها ، ظلالاً ينضج بالفسكاهة أحياناً ، فلقد كان في صدره قلب شاب ، يلتهب حماساً لما آمن به ، وكانت على وجهه لحية تهتز في مهاب ذلك الحماس ، ولكنه كان دائماً المؤمن الذي لا يتحول عن إيمانه بما يفعل أو يقول .

لما اشتغل طبيباً للجامعة ، كان لا ينفك ينصح الشباب بالاقبال على بواغث الصحة والقوة . وكان حماسه في ذلك يدفعه إلى التحدث به إلى كل شاب . فكان يعتبر نفسه مسئولاً عن صحة الجيل الناشئ من الشباب ، فكان يفحص عن صحة كل من يقابله منهم ، ويزوده بنصائح في عباراته الحماسية ، فلما كان كبير أطباء الجامعة ، ولما تسلسل التدريب العسكري مستحياً إلى ملاعب معاهدها ، كان أعظم المتحمسين له . كان يؤمن بمزايا الرياضة البدنية ، ويؤمن بمزايا التدريب العسكري والنظام والطاعة ، في خلق جيل من الشباب يعتمد عليه ، فلم يدخر وسعاً في سبيل نشر الرياضة أولاً ، ثم الأخذ بأسباب التدريب العسكري على أوسع نطاق . ولا يزال يذكر الشباب الطيب الشيخ ، برأسه البيضاء ، ولحيته المرتعشة في الهواء ، وسيجاره القصير الذي لا يفادر منه أو غليونه القديم الذي يزم عليه شفتيه ، وعصاه في يده أو ذراعه ، وجيوبه المنتفخة بأوراقه ، يقبل أول المقبلين إلى ميدان التدريب في بكور الصباح الشديد البرد ، يتقدم الشباب ليسير معه في موكب التدريب ممتلئ الصدر بهواء

الصباح ، مزهواً بفتوة الشباب ، لانهن عزيمته مهما تكن الصعاب ، ولا يتخلف أو يرجع أو ينكص على عقبيه . فقد كان باعته في كل ذلك إيمانه بما يفعل ، ووقاؤه لذلك الايمان .

وكان رجل علم ، يؤمن بالحقائق التجريبية ، ولا يقدم الرأي إلا أن يسوق عليه الدليل الملموس . فلما كان أستاذاً لعلم النفس الجنائي في المعهد الجنائي كان لا يكفيه أن يسرد لتلاميذه النظريات والآراء ، في ألفاظ ميتة ، أو في ألفاظ تموت في بطون الكتب ، أو على شفاه القائلين . بل كان يزودهم بخلاصة الآراء ، فلا يغادر منها شيئاً ، ثم يأخذ إلى حيث يلاحظون صحتها في وجوه المجرمين والشواذ في السجون والمستشفيات .

كان محبوب ثابت طرازاً فريداً من شخصيات هذا العصر ، لاسابق ولا لاحق له ، كان دنيا قائمة بذاتها ، وضع لها قوانينها ، وأقام لها أشكالها ، وجعل لها أعلامها ، فلم يسقط من يده علم من هذه الأعلام حتى وافاه أجله المحتوم . رحم الله محبوباً ، وأجزل لمصر الغزاء عن فقدته ، ففي مثله يرتجى الغزاء ، وعوضها عن شخصيته الفذة ، فليس ذلك على الله بعزير .

رجل الوطنية الصافية

صاحب المعالي ابراهيم دسوقي أباطه باشا

حضرة صاحب السعادة الدكتور على ابراهيم باشا
نحياني القلبية ، وبعد ، فتلبية لخطابكم الخاص بكتابة كلمة عما أعرفه عن
المغفور له الدكتور محبوب ثابت ، أقدم هذه السطور القلائل ، راجياً
أن تكون نحية مني لجهود رجل وطني ، ألقى ربه راضياً مرضياً . ولم كان يودى
أن يسمح وقتي بأكثر من هذا . وتقبلوا فائق نحياني
ابراهيم دسوقي أباطه

كان الدكتور محبوب وطنياً مخلصاً فذاً ، يجمع صفات عالية ، لا تراها تجتمع في أحد
سواه . فهو محب لوطنه ، مغرم به إلى حد الفناء فيه ، والتضحية بالنفس في سبيله ، يتفنى بتأريخه ،
وينضج عن استقلاله ، ويخطب الناس في الاحتفالات والاجتماعات ، والطرق والسيارات
والدور والمتنديات ، ويصرخ في وجوههم ، ليهز فيهم عواطفهم ، وبناحي ضمائرهم . ويكفي
أن تبدو من أحدهم كلمة اعتراض ، أو إشارة عن عقيدة ، أو تظاهر ، ليثب واقفاً يهيب
به مذكراً ، أو يتوعده منذراً مهدداً .

عرفته منذ نيف وثلاثين عاماً ، وكنت طالباً بالحقوق ، فلا والله ما رأيته إلا مدرها
يجول ويصول ، ليدفع فرية عن وطنه ، أو مهاجماً لخصوم بلاده ، هائجاً يغلي دمه ويفور
حتى أثناء الهدوء العام ، وخلال المهادنة وفترات السلام .

وكنا نتمتع ، إذا هزنا الشوق لخطاباته ومحاضراته ، أن تتظاهر أمامه مثلاً بانقاص
السودان أو نعلن عدم اهتمامنا به ، فينفجر كالبركان ليقذفنا بصواعق حملاته ، ويرجنا
بقذائف قافاته ، يتدفق كالسيل في فصاحة تأخذ بالألباب ، وجزالة تعجز أبلغ الكتاب ،
وإيمان يدعو إلى الدهشة والاعجاب .

ويخيل لمن لا يعرف الدكتور أو يسمع عن تدر عارفيه ، يبعث شذوذ فيه . انه كان
سطحياً ، لا أثر للعمق في آرائه ومعلوماته ، والصحيح أنه كان عميقاً في بحوثه ، وبحراً خضياً

يرجع له في الطب واللغة ، وتاريخ مصر ، ولا سيما السودان . ولو رجعت للمقالات التي كان ينشرها له الأهرام ، لو جئتم فيها الرجل العظيم الذي فقدناه ، والذي يأبى علينا الوطن والوطنية أن ننساه .

رشح نفسه مرة في الاسكندرية ورشح الوفد سواء ، وكان الوفد لا يقالب ، فكان محبوب المدينة ليل نهار يخطب أهلها ويغشى أنديتها ودورها ، ويسحر كبارها وصغارها حتى التف به النخبون يؤيدونه وينصرونه ، وفاز في المعركة ، فالتقيت به مهنتاً على أثر نجاحه فإذا به مهلهل الثياب ، أجش الصوت ، عقب الكفاح والجهاد العنيف ، ثم أخذت كعادتي أطرق المواضيع التي يتحمس لها دائماً ، وذكرت له السودان ، فإذا به يزار ويهدر ، ووثب واقفاً وفي عينيه بريق غريب ، وقد رفع يديه إلى السماء يقسم بالله على العمل له بكل قواه ، ثم استرسل يدافع عن حقوقنا فيه . فقلت في نفسي يجب أن أتقى الله في الرجل ، فقد يقضى عليه الغضب بعد كل هذا التعب وأسرت بالانصراف .

وهكذا كان دمه يحترق كل يوم ، غيرة على قومه ، وتلهفا على استقلال بلده .
فإذا ذكرنا محجوباً ، ذكرنا الوطنية والاخلاص والتضحية والثبات . طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه .

بعض نواحي الفتيدي

لصاحب السعادة الدكتور عبد الرزاق السنهوري^(١)

تتألم في نفس الذكريات ، عندما يمر بخاطري ، ذلك الرجل الذي فقدته مصر فيمن
فقدت من رجالها ، وهو الدكتور محبوب ثابت ، رحمه الله .

فقد كان عاملاً في كل ناحية من نواحي الحياة ، مجاهداً في كل ميدان ، له أثر ملموس
في التيارات الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، التي طرأت على مصر في الفترة الأخيرة
من تاريخها .

ولا يمكن لأحد أن ينسى ما قام به الفقيه أيام الثورة ، في تضديد جراح المصايين
من رجالها . وكم عرفته المتأثر خطيباً مفوهاً ، يهز الجماهير ، ويدفعها دفعاً في طريق الوطنية
والتضحية . نعم ، لي نداء مصر ، فكان نعم المحب . ومصر البارة بأبنائها لن تنسى له هذه
الصفحات التي سطرها في تاريخها .

وأذكر له أيضاً قيامه من قضية العمال مقام محاميها الأول ، فقد رفع صوته عالياً ينادي
بالاهتمام بهم ، والدفاع عنهم ، وإنشاء نقابات لهم . وظل يدوي وحده ، حتى تردد صدى
صوته ، بعد أن كان يسخر منه الكثيرون . وعرفت الحكومات له هذه اليد ، فكانت
النقابات وكانت قوانينها ، وكانت المستشفيات التي تداوى مرضاهم ، والمنازل التي انتشرت
في طول البلاد وعرضها ، فرفعت من مستوى معيشتهم . وأصبح عمالنا يمثلون في المؤتمرات
العالمية ، وأضحت لهم المسكنة التي نراها اليوم .

كما أذكر له تغنيته بالسودان والسودانيين ، وحديثه الدائم عن أواصر الدم واللغة
والدين التي تربط شطري الوادي ، ودفاعه المتواصل عن مصالح مصر في النيل ، وحث
المصريين على زيارة السودان ، ودفعهم إلى الذود عن ذوي قرباهم ، وقد كان رحمه الله
من الداعين إلى الهجرة إلى السودان ، واندماج المصريين والسودانيين ، بالتصاهر
والتجاور والمعاشرة .

(١) كان معاليه وقتئذ وزيراً للمعارف العمومية .

وقد عرفه البرلمان عضواً من أعضائه النابيين ، له في مضابطه كلمات خالديات ، سجلت له بمداد الفخر . وما زال الكثيرون يذكرون له جولاته الموفقة ، وخطابته المؤثرة ، وحججه المقنعة .

ورأيته في الجامعة يتحدث إلى الطلاب ، ويدفعهم إلى العناية بالرياضة البدنية ، صوناً لصحتهم ، وقيمة لأجسادهم ، وصفاء لأذهانهم ، ويختار بنفسه لكل منهم نوع الرياضة التي تلائم جسمه . ثم قاد حركة التجنيد والتطوع للجيش ، فأخرج فوجاً كبيراً من الضباط الاحتياطيين ، خدموا البلاد في حفظ مؤسساتها ، وصون مرافقها الحيوية من العبث ، وقت اشتداد الأزمات أثناء الحرب الأخيرة .

وفوق كل ذلك ، كان حلو الحديث ، خفيف الروح ، حاضر البديهة ، يستهوى المستمع إليه ، ويملك عليه نفسه ومشاعره ووقته . رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

بعض ما أعرفه عن الفقيه لصاحب المعالي الدكتور سليمان عزمي باشا

محجوب ثابت ، يعرفه الجميع . والفلائل من أخصائه ، يلمون بحالته النفسية ، ويعرفون عنه أكثر من غيرهم .

فهو المصرى المعتز بمصريته ، العامل على تحقيق أمانى وطنه ، والسودانى مولداً ، والمحب للسودان وأهله ، والفيور على ارتباط مصر بالسودان ، وعلى وحدة وادى النيل ، لأنه يرى فى ذلك الخير لسكان هذا الوادى السعيد . والعربى النزعة ، ومن أهم الدعاة المتحمسين للذود عن كرامة العروبة والسعى للوحدة العربية ، واتحاد الأقطار الشقيقة .

وهو المؤمن أشد الايمان ، بما تسديه الخدمة العسكرية للشبان فى رفع مستواهم الاخلاقى ، وتعويدهم روح النظام ، وتحمل المسؤولية ، ولذا كان من أكبر من دعوا إلى تعميم التدريب العسكرى بين طلبة الجامعة ، وكان مقدراً للروح الرياضية ، لا يدخر وسعاً فى تشجيع الطلبة على ممارستها ، تراه بينهم حاثاً مشجعاً فى كل الظروف والمناسبات .

جمع بين الثقافة العربية والفرنسية ، وكان خطيباً مفوهاً ، قادراً على الارتجال بأسلوب شيق متين ، وقد سمعته فى أحد اجتماعات المؤتمر الطبى العربى يخطب ارتجالاً ، بعد أن ألح عليه مريدوه ، فأفاض وأجاد ، وقوبلت كلماته من الجميع بالاعجاب والاستحسان ، كان يتكلم الفرنسية كأحد أبنائها ، مشبعاً بروح الأدب والثقافة الفرنسية ، وكان غزير المادة ، واسع الاطلاع ، ملماً بدقائق المسائل العلمية ، حتى ما كان منها خارجاً عن العلوم الطبية ، قوى الذاكرة . وأما خبرته الطبية فواسعة غزيرة ، إذ كان متيناً فى نفسه ، ولا يزال طلبته يتذاكرون محاضراته ، ويذكرون إقباسهم وشغفهم بسماعها ، وقد ترك فى نفوسهم أثراً لا يمحي لأسلوبه الجذاب فى إلقائها .

كان رحمه الله كثير الأصدقاء ، لحفة روحه ، ورجاحة تفكيره ، وسلامة طويته ، وصدق وفائه ، مقدراً للصداقة والاخاء . سيدى محجوب ، كما كنت أداعبه ، شخصية فريدة فى صفاتها وأخلاقها ونبيلها ، محبوباً من أقرانه وزملائه والطلبة جميعاً .

لم أر نفساً هادئة مطمئنة مستسلمة إلى مصيرها أثناء المرض مثله ، عدته من بضع سنوات قبل وفاته ، فوجدته في شبه غيبوبة من مضاعفة من مضاعفات السكر ، فلم يضطرب ، وهو الطبيب الخبير بالأمراض ، عندما أعلمته بأهمية حالته ، وقابل كلامي وتحذيري بكل سكون واستسلام ، وفقد تلمياني وإرشاداني العلاجية جميعها ، وشفى من حالته ، وكأنه لم يمرض . وعدته في مرضه الأخير الذي توفي على أثره ، فكان رابط الجأش شجاعاً ، وأخذ هو يطمئني عن نفسه ، ويطلب مني أن أطمئن العائلة ، حتى لا يجزعوا ، لكيما تمر الليلة بسلام . وعدته ليلة وفاته ، وأذكر الآن كلماته الأخيرة لي ، فقد أخبرني أن حالته تتنافى مع الحياة ، وأن هذه آخر ليلة من حياته ، وطلب مني أن أخبر العائلة عند انصرافي أنه في حالة جيدة ، حتى لا ينزعجوا وألح على بالذهاب لأستريح وودعني الوداع الأخير ، وكأنه يتكلم كلاماً عادياً ، وفعلاً توفي بعد انصرافي بساعة واحدة .

كانت نفسه عالية جداً ونبيلة ، في صحته ، وفي مرضه ، وفي كل شؤون حياته ، كان رجل علم ومبادئ وأخلاق سامية ، يريد أن يرفع المجتمع والبيئة التي يعيش فيها والوطن إلى أسمى المراكز .

والآن وقد قضى حياته ، وأخذ الموت منا ، فلا حول لنا ولا قوة ، ولا نستطيع إلا أن نطلب من الله جل وعلا أن يتقدمه برحمته ورضوانه .

محجوب خادم الوطن والشبيبة لسعادة الشيخ المحترم الأستاذ الكبير خليل ثابت كتب

كان محجوب ثابت عالماً من أعلام عصره .

وما كان الطبيب محجوب ثابت في مقدمة أطباء مصر .

ولا كان الخطيب محجوب ثابت من أعظم خطباء مصر .

ولا الكاتب محجوب ثابت من فطاحل كتاب الشرق .

ومع ذلك كان لمحجوب ثابت الرجل مقام خاص في نفوس أصدقائه وعارفيه وقارئى أقواله .

وكانت المجلات والصحف تنبأرى في نقل ما يصدر عن هذا الرجل وكان الناس يتداولون أقواله هذه في مجالسهم .

كان محجوب ثابت خفيف الروح فكاه الحديث حسن الطوية حميد السريرة طيب القلب . وهذه الجواهر نادرة في أيامنا هذه ، فلا غرو إذا أقبل عليها الشارون ، وتنافس في اقتنائها المتنافسون .

وكان إلى جنب عباراته الرقيقة ونكاته البديعة وطلاقة لسانه مثال الجد في ما يؤمن بصحته وما يعتقد به .

فقد كان من أشد المصريين عناية بأمر السودان فما جرى حديث السودان في مجلس هو شاهده إلا ارتفع صوته بما ينم على شعوره الشديد من هذه الناحية .

وما كان كل هذا الحب لأن دنقلة مسقط رأسه ، بل لأنه كان عظيم الاقتناع بما بين مصر والسودان ، وحاجة كل منهما إلى الآخر وشديد الشعور بالعدل ووجوب تقديسه والدفاع عنه بما يملك الانسان .

وانته في الشطر الأخير من حياته إلى خدمة الشبيبة المثقفة فأنشأ في جامعة فؤاد الأول ميداناً فسيحاً لجهود هذه فسات كانت هذه الجهود خير دليل على شغفه بالعمل النافع والتوجيه الصالح .

وكان محبوب ثابت وحيداً في بيته ولكن كانت له أسرة كبيرة في محيط مصر والسودان وفي سورية ولبنان حيث أقام رديحاً من الزمان عرف أهلها فيه فضله ، ونعموا بطيب عشرته وجميل مودته وخلقه وله فيها أصدقاء وخلان عرفوه واحترموه بعد ما كشفوا تحت ستار النكات والملح قلباً يفيض غيرة في صدد كل ما فيه نفع ورفق وإصلاح .

وكان محبوب ثابت واحداً من عصبة من الأدباء المتصفين بسلامة الطبع وحدة الذهن وصفاء القلب وسرعة البديهة كحافظ والبشرى ذهبوا جميعاً إلى رحمة الله وبقيت ذكراهم عامرة في قلوب الذين عاشروهم والذين أحبوهم .

وفي جميع العصور تتم الجماعات والشعوب بهذه الأبطال تمر أمامها على ستار الحياة فتضيء ما حولها وتختلف وراءها شذا من جيد القول ونافع الفعل ولطيف العشرة ومواجهة الدهر بسمو الخلق ، والدفاع عن الحق والصبر على المسكاره والاعتصام بالكرامة في جميع الأحوال .

وسيطل محبوب ثابت مذكوراً من معاصريه ، وتبقى ذكراه حلوة كذكرى الأوقات السعيدة والمناظر الجميلة وأريج الزهر العطر .

كما استحضره سعادة الأستاذ الجليل أنطون بك الجميل

لمع اسمه بين أترابه ، وبه صيته منذ مطلع شبابه ، إثر حصوله على شهادة الطب ونزوله إلى ميدان الحياة والجهاد ، تحذوه نفس وثابة ، ومطامح بعيدة المرمى .

ثم أخذ نطاق شهرته يتسع بين الناس ، بعد رحيله إلى فرنسا وسويسرا ، للاستزادة من العلم ، وانضمامه إلى بعثة الحلال الأحمر في حربي البلقان وطرابلس ، واشتغاله في غضون ذلك بالشؤون العامة .

ولما اندلعت الثورة في مصر بعد حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ كان من خائضى غمارها ، والمصطلين بناها ، فعرف فيه المواطنون الطيب المواسي ، والخطيب المفوه ، والكاتب المناضل . كان علاجه يستأصل الداء من الجذور ، وكانت خطبه المرتجلة في الأندية العامة والخاصة ، تذكى الحماسة في الصدور ، كما كانت كلماته على صفحات « الأهرام » توقظ كامن الشعور .

وهكذا برز اسم « الدكتور محبوب ثابت » في طليعة صفوف المجاهدين .

عرفته منذ ذلك العهد ، فتوثقت بيننا عرى صداقة دامت ربع قرن ، ولم يفصمها إلا الموت . عرفت فيه الصلابة في العقيدة ، والمضاء في العزيمة ، والثوب في الهمة ، والوفاء في الصداقة ، والتعمق في الثقافة ، والظرف في المجاسة ، والفكاهة في المحادثة ، والحلاوة في الدعاية .

خلال وسجايا ، قربته من رجال مصر ، وحببته إليهم : من سعد زغلول ، إلى محمد محمود ، إلى أحمد شوقي ، وغيرهم من أقطاب السياسة والأدب .

كان المصري الصميم ، يفخر بمصريته . وكان الوطني الملتب ، لا يتطرق الفتور إلى وطنيته ، ومع ذلك كانت قوميته واسعة النطاق ، تشمل هذا الشرق بجملته . وكانت وطنيته بعيدة الآفاق ، لا تنقف عند التخوم التي رسمتها السياسة للناس ، بل تتجاوزها إلى الإنسانية جمعاء .

كان طابعه الخاص شرقياً ، لا دخل فيه ولا زغل . ومع ذلك ضرب في ثقافة الغرب بأوفر نصيب ، فكان وافر الاطلاع في آداب الفرنسيين والانجليز ، وعلومهم ، وقنونهم ، ومختلف شؤونهم .

كان مصري القلب ، انساني الفكر ، غيرى النزعة . لذلك لم يكن يستوحش في غربة ، بل كان حيثما نزل ينزل أهلا ، وأينما حل يحل سهلا . فالدكتور محجوب في القاهرة ويبروت ودمشق وحلب واستنبول ، هو الدكتور محجوب في باريس وجنيف وبرلين وبروكسل .

جاءت مصر كاتبة امريكية كبيرة ، فزارت متاحفها ومعالمها التاريخية والأثرية ، وعكفت على درس شؤونها السياسية والاقتصادية . فلما عرفت الدكتور محجوب ، قالت فيه كلمتها المشهورة : « من زار مصر ، ولم يعرف محجوبا ، لا يستطيع أن يقول إنه عرف مصر .. »

وكان إلى جانب ذلك ، فصيح اللسان ، حزل التعبير ، حماسي اللهجة ، قديراً على الارتجال في مختلف المواقف الخطابية ، لا يقبل جدلاً في صحة تركيب يجري على لسانه ، ولا في فصاحة عبارة تسيل على قلمه ، لأنه كان يقول مفاخرأ :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليق يقول فيعرب

ولما تخطى عهد الشباب ، انصرف إلى معالجة الشؤون الاجتماعية ، في مجلس النواب ، وفي الجمعيات والنقابات ، فكان يبدى في تنظيم صفوف العمال ، ورعاية صحة الطلاب وتدريبهم على النظام العسكري ، تلك الحماسة المضطربة ، التي كان يبدىها إبان الثورة .

ثم أقبلت الشيخوخة بمتاعبها ، فاذا ذلك الرجل الحر ، الذي قطع مراحل الحياة طليقا من القيود ، يجد نفسه مكبلا بقواعد « الدرجات والترقيات والعلاوات » بينما كان أثرابه ، بل تلاميذه في أعلى المناصب ، فكان يتمرد ويثور ، ولسان حاله يقول :

تقدمتني أناس كان خطوهم وراء خطوى إذا أمشي على مهل

ثم تكاثرت عليه الخطوب : فأصيب في صحته ، وأصيب في أصفائه واخوانه ورفاق جهاده ، وتنكر له بعض أصدقائه ومربديه ، خلف كل ذلك في نفسه ألما ممضا ، وحسرة مريرة ، فكان يصعد التهديدات ، ويأخذ بلحيته ذاكرأ جهاده ، في سبيل وطنه ، وأبناء وطنه ، وهو يهمهم :

وإذا تكون كربة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

رحمك الله يا محجوب ، وجزاك في الآخرة عن أصدقائك وتلاميذك ومواطنيك ، خير الجزاء .

الدكتور محبوب والروح العسكرية

لصاحب السعادة اللواء محمد صالح حرب باشا

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة إحياء ذكرى

الدكتور محبوب ثابت بك

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد . فقد دعوتوني للاشتراك بكلمة عن ناحية من نواحي الفقيه الكريم، الدكتور محبوب ثابت بك ، لتأخذ مكانها بين دفعتي الكتاب التاريخي التذكري الذي تمده اللجنة للطبع — وإني أشكر سعادتكم على هذه الدعوة التي أتاحت لي فرصة أتحدث فيها عن رجل من رجالات مصر الأبرار، ومجاهد من مجاهدي الصف الأول ، ساهم بنصيب وافر في كل ناحية من نواحي النهضة المصرية ، فكان عالماً من أعلامها ، وسهماً صائباً من سهامها .

وإنه لحبيب إلى نفسي أن أتناول ناحية من حياة الفقيه العظيم ، هي أبرز النواحي وأبقاها على صفحات البطولة والمجد ، ألا وهي الناحية العسكرية الوطنية . وعندي أنه لا وطنية بلا عسكرية ، فما من مجاهد يناضل للذود عن بلاده — إلا وكان له نصيب من العسكرية الوطنية في جهاده .

وما غاب عن ذلك العقل الجبار، والروح الملهمة الصافية ما في التدريب العسكري، من صقل وتسمية، وإذكاء للرجولة في نفوس الشباب ، وقد شاهد رحمه الله في العواصم الأوربية قبل نشوب هذه الحرب من إقبال الشباب على التدريب العسكري ، والنطوع للالتحاق في جيوش بلادهم ماراعه، وبهرناظريه، واستثار كوامن وطنيته الصادقة، وجهه لبلاده، وغيرته على كرامتها وعزتها ، فماد إلى وطنه مجاهداً منذ اللحظة الأولى التي وطئت فيها قدماه أرض الكنانة — يرفع علم الجنديّة منادياً بها رمزاً للوطنية العاملة ، والرجولة الحقة ، والمجد الخالد الأكيد . وما توليت وزارة الدفاع في سنة ١٩٣٩ وشرعت في تعميم التدريب العسكري بين شباب الجامعة ، حتى لقيت منه عضداً وأى عضد ، وشهدت فيه بطلاً مجاهداً عاملاً صابراً وأى بطل . فسكان رحمه الله شعلة وطنية ، وجذوة عسكرية تبعث الحماس في قلوب أبنائه الطلبة ، وتدفعهم

إلى التدريب العسكرى بذلك الروح القوى والاقبال المنتقطع النظير . وكان يرتدي بينهم البزة العسكرية مباحياً بها . فخوراً بارتدائها، وكانوا يلتفون حوله وهو في سميت الجندية الرائع، كما تلفت الأنجم الزهر حول البدر المنير .

ولم يكن سبيله معبداً ممهداً على الدوام، وإنما كانت تعترضه الصعاب والعقبات ، كما تعترض كل أمر عظيم ، فكان يدلها بقوة عزمته ، وصادق وطنيته ، وإيمانه بفكرته ، وثباته على جهاده، ونضاله صوب غايته .

وكان يعمل جنباً إلى جنب مع حضرات الضباط العظام المتدربين للتدريب العسكرى في الجامعة ومعاهد التعليم ، كأنما نشأ جندياً منذ نعومة أظفاره، وهذا ما يؤيد قولي بأن العسكرية والوطنية أمران متلازمان منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، فالطبيعة البشرية طبيعة كفاح ونضال بين القوى والضعيف، والغالب والمغلوب. والعسكرية هي النضال المنظم عن أرض الوطن ، وهي المعقل والملاذ للحرية القومية والكرامة الوطنية ، ييسط بها القوى على الضعيف سلطانها ، ويدفع بها الضعيف بطش القوى وعدوانه .

وللفقيد العظيم ناحية أخرى حيية إلى نفسى وعزيرة عليها ، وهي كفاحه المتواصل عن وحدة وادى النيل ، فقد كانت مسألة السودان شغله الشاغل ، كما هو معروف عنه . ولقد ولد رحمه الله في مديرية دنقلا بالشطر الجنوبي من وادى النيل ، وبهذه البقعة الكريمة من الوادى ، له أثر في النفوس يبقى مابقيت الحياة .

ولقد طويت بموته صفحة من صفحات الجهاد الصادق في تاريخ مصر الحديث ، لكي تنشر في سفر البقاء الأبدى ، موسومة بطابع الأبرار المخلصين .

رحم الله الدكتور محبوب ثابت ، وأضفى عليه من رضوانه ثوب النعيم المقيم .

الناحية العلمية الشخصية للفقيه

سعادة الدكتور علي مصطفى شرفه ناباش

أتاحت لي فرص متعددة ، للتعرف على الناحية العلمية من هذه الشخصية الفنية ، وفي كل مرة كانت العقلية العلمية ، والنظرة العلمية ، تتجلى في أجلى مظاهرها ، فقد كان الدكتور محجوب مثالا للعالم المحقق ، لا يبنى حكمه إلا على الحقائق بعد دراستها وتمحيصها ، وكان يجمع المعلومات بشغف عظيم ، فإذا كانت واقعة تحت حسه - كالحالة الصحية لطلبة الجامعة مثلا - دأب بنفسه على مشاهدتها وتصنيفها ، وإن كانت في دائرة أوسع ، عمد إلى الكتب والمراجع العلمية ، فبحث ونقب ، وكثيراً ما كان يستشهد بالكتب والمجلات الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، شأنه في ذلك شأن أكبر العلماء وأوسعهم اطلاعا ، ولم يكن علمه محدوداً في الدائرة النظرية ، بل كان علماً عاملاً ، وقد طبق آخر الآراء العلمية في التغذية والطب الوقائي على طلبة الجامعة ، ولعل اهتمامه بالتدريب العسكري نابع عن إلمامه بعلم وظائف الأعضاء وإدراكه مالمالرياضة البدنية من أثر في صحة الجسم ونشاطه . ذلك الإدراك الذي ينبني على معرفة تفصيلية للتفاعلات الكيميائية الحيوية . وما يستوقف النظر أن الدكتور محجوب على سعة اطلاعه في العلوم الطبية التي تخصص فيها ، وفيما يتصل بها من علوم الحيوان ، كان واقفاً على أحدث الآراء في غيرها من العلوم ، كعلم النبات وعلم الطبيعة ، بل والعلوم الرياضية والفلكية ، أذكر أنه شكالي مرة من أن الطلبة يخرجون من المدارس الثانوية ، ولم يسمعوا باسم « أينشتاين » صاحب مذهب النسبية في العلوم الطبيعية والرياضية ، وأشار بأن يشتمل التعليم عندنا على العناية بالعلوم الحديثة ، بحيث يقف الطلبة على آخر الآراء العلمية في صورة مبسطة ، ولا شك في أنه لولا سعة اطلاع الدكتور محجوب ، واتساع أفقه العلمي لما شعر بهذا النقص في مدارسنا ، ولما اهتم لاصلاحه . وناهيك بحماسة الدكتور محجوب لعلماء العرب ، وتقدم العلم على أيديهم ، فتاريخ العلوم في العصر الأموي ، والعصر العباسي وما بعدها ، قد كان له نصيب وافر من عنايته ، ولعل هذا هو الذي حفزه في أواخر أيامه للمناداة بإنشاء كلية للعلوم في الأزهر الشريف ، مستعيداً بذلك عهد ابن الهيثم ، وابن النفيس ، وعصر الخوارزمي ، وجابر بن حيان ، وغيرهم من الأعلام . وقد كنت أشعر دائماً إذ أتحدث

إلى الدكتور محبوب أننى أتحدث إلى فيلسوف ، صادق الحس ، عميق التفكير ، وربما تكون
هذه النزعة الفلسفية ، هى التى صرفته عن أمور الدنيا وزخرفها ، فلم يشتغل بجمع المال ، ولم
يحرص على الجاه ، ولو أنه كان أقل علماً ، لكان أكثر ثراء .

رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الأمة المصرية والشرق العربى فيه خيراً ، وجعل لنا
فى ذكراه بعد مماته حافظاً على الاستمسك بالمثل العليا ، التى كان ينشدها فى حياته ،
ومن أحب العلم ، وأحب الحق ، وأحب الخير ، كما أحبها محبوب ، فإن ذكراه لا تقنى ،
بل هى باقية ما بقى العلم ، وما بقى الحق والخير .

أكبر داعية للسودان

لصاحب السعادة محمد سعيد لطفى باتشا

كنت ولا أزال من أشد الناس إعجاباً بشاعر مصر الكبير شوقي بك ، وكنت أسكن في مطرية الزيتون على مقربة من بيت الشاعر ، وكنت معجباً ببيت صغيرة هي حفيدة الشاعر ، فكنت أركبها معي على جوادي ، وأطوف بالمنزل عدة مرات أو أبتعد عنه بالقدر الذي لا يضايقها . وذات يوم زرت الشاعر ، فوجدت رجلاً كثيف اللحية يداعب الفتاة ، فلما رأته أقبلت تسألني : أين الحصان ؟ فقال لي كثيف اللحية : أعندك حصان ؟ قلت : نعم ، قال : وأنا أيضاً عندي حصان ، قلت : إذن زكب سويًا . قال : حصاني لجر العربية وليس عندي سرج ، ولكني أحب ركوب الخيل . وبينما نحن في هذا الحديث جاء شوقي رحمه الله عليه ، فقال : هذا هو الدكتور محجوب ثابت وقدمني إليه . ثم ذكر لي عربته وحصانه ، ورأى أن يسمي الحصان (مكسوبي) لشدة نخافته تشبهاً بالزعيم الأيرلندي ، الذي كان مضرباً عن الطعام في ذلك الوقت . ثم ذكر الشاعر محجوب بك بوصفه داعية أو أكبر داعية للسودان في مصر . هكذا بدأت الصداقة وزاد متانتها ملتقانا برأس البر عدة سنين .

أما الدكتور محجوب فعالم واسع الاطلاع ، عالم في الطب وفروعه ، وعالم في الأدب والتاريخ . وهو خير ، يعالج بالحنان ، ويعلم بالحنان ، ويسعى معيماً كل قاصد . كان وطنياً يحب الوطن وأهله ، وكان معجباً بالعظماء ، وكان لهم صديقاً ، كان صديق سعد ، وصديق محمد محمود ، وصديق النقراشي ، وصديق شوقي ، وصديق مختار . وكان توافاً إلى المجد ومحباً له ، وكان يجادل طول يومه ، كأنه سقراط ، يعلم الطلبة في الطرق العامة .

ذبل الرجل ، كما يذبل كل حي ، وعراه ضعف شديد ، ثم رقد رقدة الأبد ، يذكره طارفوه بالخير ، ومحبه بالفضل ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه جنة الخلد .

محبوب الأستاذ المساعد

للدكتور مصطفى فهمي سرور ركب

كان لنا الحظ بأن نكون أول تلاميذ للدكتور محبوب ثابت ، الذي كان قد عين أستاذاً مساعداً للباثولوجيا مع المرحوم أستاذنا الدكتور فرجسون ، وذلك عام ١٩٠٨ ، فلما سمعت حديثه في أول محاضرة ، وجدته حديثاً قياً ، شارحاً مفسراً ، وقد أجمع الكل على ذلك ، فأصبحنا راغبين رغبة ملحة في ملازمة الدكتور محبوب ، والاصفاء له في قاعة الدرس ، وفي المشرحة المرضية ، خصوصاً وقد لمسنا عزيمته الصادقة لتعليمنا وتثقيفنا وتوسيع مداركنا الطبية والاجتماعية والوطنية . ومما زادنا شغفاً بالاستماع له أنه كثيراً ما كان يشرح لنا ويحاضرنا لأول مرة في حياتنا بلغة عربية علمية سهلة ، وكنا في ذلك الوقت متعطشين لمعرفة الاصطلاحات الطبية باللغة العربية ، ولاشك أيضاً ، أننا كنا نفهم ما يلقيه علينا بلغتنا فهماً تاماً ، لا يشوبه شك وبدون صعوبة . ومما جرب إلينا محاضرات الدكتور محبوب وشروحه ما كان عليه من سعة الاطلاع ، مع اختيار دقيق للألفاظ المعبرة ، خصوصاً وأنه كان يهتم كثيراً بذكر أسماء العلماء المكتشفين للحقائق التي يكون بصدها ، بل وتواريخ هذه الاكتشافات والظروف التي أحاطت بها ، مما لا يجده القارئ في كتب الطب الاعتيادية ، ومما له أثر طيب في تثبيت العلم في الذاكرة .

وكثيراً جداً ما كان يفاجأ الدكتور محبوب بطلب إلقاء محاضرة في موضوع ما ، قبل موعد المحاضرة بدقائق قليلة ، فكان يسرع إلى مدرج المحاضرات دون سابق تحضير للموضوع وكنا نعلم ذلك علم اليقين ، فنقصد ملاحظة تأثير هذه المفاجأة في قيمة المحاضرة ، فإذا هي محاضرة غنية بالحقائق التشريحية والاكليسيكية والتاريخية ، فكنا نسر نحن المتصلون به فنقصد إليه نهشته بتوفيقه المأموس في نجاح المحاضرة رغم المفاجأة ، ولكنه كان رحمه الله يتبرم من هذه المعاملة ويعتبرها إحراجاً له لا مبرر له ، إلا ما كان يتعفف عن ذكره رغم إلحاحنا عليه .

ولرغبته في إحياء العلم بيننا ، قبل رئاسة جمعية طبية للطلبة ، انتظمت اجتماعاتها ، وألقيت فيها محاضرات قيمة ، وكنت حاضرت فيها عن الوراثة ، وبجئت عن تفسير لكيفية انتقال الشبه الخلقي من الوالدين إلى النسل ، وانتهت إلى أنه لا بد أن يكون في نواة الاسبرماتوزون

وفي نواة البويضة جسيات صغيرة جداً ، يعتبر كل جسم بذرة ممثلة لجزء تشريحي في جسم الوالد أو الوالدة حسب مصدره ، وأن هذه البذور الممثلة يتكون منها أعضاء في النسل تشبه أعضاء الوالد أو الوالدة حسب مصدرها ، ولقد أثبت علم الأجنة وعلم الوراثة وجود هذه الجسيات وسميت بالجينز ، تحتويها كروموسومات النواة . وقد حصل أخيراً من سنوات قليلة أن قابلي الأستاذ محجوب في إحدى زيارته لكلية الطب مع تلاميذه من كلية الحقوق ، وذكرني بهذه المحاضرة ، وطلب أن أبحث عند زميلنا الدكتور المراهوي ، الذي كان عضواً مؤسساً لجمعية الطلبة عن مطبوعات محاضراتها فيها ، لأثبت تنبؤ وجود الجينز الناقلة لمظاهر الوراثة ، فشكرت أستاذي محجوب ، وأعبرت هذه الذاكرة الیقظة ، وهذا الاطلاع المستمر ، وقلت في نفسي وهكذا بقي هذا الرجل أميناً على إسناد كل حقيقة للناطق بها ، كما كان دائماً في محاضراته المدرسية لنا .

وكانت آخر مواقف الدكتور محجوب ثابت معي في باريس ، بل وفي قرية فل جويف بجوار باريس عام ١٩٣٧ ، وذلك أننا قصدنا هذه القرية لزيارة معهد السرطان ، ثم مستشفى ومعهد دراسة الاجرام عند المعتوهين ، فلما انتهت هذه الزيارات دعانا مدير المعهد الثاني إلى الغداء في منزله بجوار المعهد ، فقبلنا شاكرين ، وأكلنا وشربنا مما قدم إلينا بسخاء وكرم حامي ، استرعى أنظارنا ، فلما انتهينا من حديث المائدة ، انبرى الدكتور محجوب يحدثنا عن علماء فرنسا المكتشفين ، وعن مؤلفاتهم ، وآخر طبعات لكتبهم ، وأمكنة معاملهم ومساعدتهم وذلك بتفصيل مدهش ممتع ، حتى أخذ منه التعب وغلبه النعاس فنام على مقعده ، فأنهز مدير المعهد وأمينه أسرارده فرصة نومه وأكد لي أن هذا الرجل يعرف حقائق عن الحياة العلمية في باريس في الماضي والحاضر أكثر مما يعرف الباريسيون .

وكان إعجابهما بعظمة هذه الذاكرة ، وسعة هذا الاطلاع ، مما زاد تقديري وإجلالي لفضل الدكتور محجوب ، والفضل ما شهد به أصحاب الفضل ، وقد شهدوا به فعلاً في حضرتي وكان يوماً مشرفاً للمصريين ، اكتسبه لهم الدكتور محجوب ثابت في باريس .

وأما ما كان يبتكره الدكتور محجوب ، لاصلاح حال الطلبة صحياً واجتماعياً ، فحدث في ذاكرتنا ، وقد لمسنا فوائده ما نقذ منه ، وأرجو أن يعمل الحلف على تنفيذ الباقي من مشروعاته النافعة ، رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا بما ورثناه من علمه ونشاطه وأعماله .

محجوب ثابت في جبهه ولطوه محاضرة صاحب العزة الأستاذ زكي المهندس

لعله ليس بين أبناء مصر جميعها ، شخصية كانت أحب إلى النفوس ، وأدنى إلى القلوب ، من شخصية محجوب ثابت — طيب الله ثراه . ولعل مصر على اختلاف طبقاتها وهيئاتها لم تجزع على فقيد جزعها على محجوب ثابت ، فقد كان من أعز رجالها عليها ، وأبر أبنائها بها ، وما كاد يذاع نفيه في البلاد ، حتى عم الأسى عليه ، واستشعر كل مصري خيعة فيه .

لقد اقترنت شخصية الفقيد الكريم في أذهان السواد الأعظم من أهل مصر والشرق العربي بتلك الدعابات الحلوة ، والملح المستطرفة ، حتى ما يكاد اسمه يذكر في صحيفة أو مجلة ، حتى تبدو على وجوه القارئ والسامعين بسمة تبت على مراح ومجبة واستئناس ، وما يكاد الفقيد يحل بمجلس إلا وسرى فيه النشاط الفكاهي ، وسادته روح الدعابة ، وصيغت فيه النكتة الباردة ، والنادرة المستملحة ، والواقع أن الصحف والمجلات والاندية وأحاديث السمر قد استطاعت أن تنسج حول شخصية محجوب ثابت نوعا من الأدب الفكاهي ، يبقى على الزمن . ولم أعرف فيما عرفت أن لحية من اللحي في العالم قد نالت من رائع الدعابة ، وبالغ الوصف ، مثل الذي خلعه الكتاب والظرفاء على لحية محجوب ثابت .

حقا — لقد كان كل شيء في فقيدنا العظيم يغرى بالدعابة ، ويبحث في الوقت نفسه على المحبة والاحترام ، ففي سمته وحركاته وإشاراته ، وفي أسلوب كلامه ومنطقه ، وخارج حروفه ، ثم في ثوراته الغضبية العنيفة ، وما يبدو على وجهه في أثائها من تغير ، في كل هذا ما يبعث على المرح والسرور ، ولكن لا يسعك وأنت تتحدث إليه — إلا أن تشعر بأن هذه الشخصية العجيبة تتطوى على قلب كبير رحيم ، وخلق سام نبيل ، وعلم واسع غزير . أرايت كيف كانت الصحف والمجلات تتخذ من رحابة صدره ، وسماحة خلقه ، ميدانا فسيحا لتفكهة قرائها ، والترفيه عنهم ؟ فهل سمعت أنه خاصم صحفيا أو نشر تكذيبا ، أو أذاع احتجاجا ، أو قدم للنياحة بلاغا ، أو رفع قضية تعويض ؟ بل لقد بلغ من سعة صدره وكرم خلقه أنه كان يجالس في أمسه هؤلاء الذين يكتبون عنه في غده ، فما كان يضيق بأحد ، وما كان يعتب على أحد ، فكلمهم أصدقاؤه ومحبيه ، ولعل هذا هو السر الذي جعل من محجوب ثابت شخصية تهفو إليها القلوب وتمتلئ بها النفوس ، بل كان هذا هو سر العظمة والرجولة في محجوب ثابت رحمه الله .

ولقد سعدت بصداقة محبوب ثابت حينا ، فكان يضيئنا مجلس واحد ، كان الفقيد واسطة عقده ، حيث نلهو أحيانا ، ونجد أحيانا أخرى ، وأكثر ما يكون اللهو إذا حضر مجلسنا المرحوم شوقي بك أمير الشعراء ، ولقد كانت عيادته بحج السيدة تعج بالناس من مختلف الطبقات شيوخ وفتيان وشيب وولدان ونساء ورجال ، وأشهد أنه في كثير من الحالات لم يكن يكتفى بالكشف على مرضاه بالجان ، بل كان يفتح الفقراء منهم بضمن العلاج من ماله الخاص .

حضرت مجلسه يوم تقق جواده المشهور (مكسويني) ، ولعلك تذكر أن مكسويني هذا كان بطلا من أبطال استقلال أركلده ، ثم اعتقله الإنجليز وزجوا به في غياهب السجون فأضرب عن الطعام حتى قضى نحبه ، وكانت تروى عن هزاله وضعفه وصبره قصص ونوادر تنشرها الصحف في ذلك الحين ، ولقد أبى الظرفاء من أصدقاء الفقيد إلا أن يطلقوا اسم (مكسويني) على هذا الجواد المسكين لما لحق به من هزال وضعف ولما يظهره من صبر وجلد في جر مركبة الدكتور .

نعم . لن أنسى ما حيت تلك الليلة التي قدم الاخوان فيها عزاءهم إلى الفقيد عن فقد مكسويني . لن أنسى كيف انتهت القرائح ، وتساقت البدائث ، وابتدعت الأخيلة ، ولعب الذكاء المصري في انزعاع المعجب المطرب من دعابات وفكاهات حتى اجتمع من هذا كله أدب خليق أن يخلد ذكرى (مكسويني) إلى الأبد . ومن يستطيع أن ينسى كذلك ما قيل بعد ذلك في سيارة محبوب ثابت من كل طريف وطريف ؟ ألم يخلدها أمير الشعراء بتلك الدعابة الشعرية التي ارتجلها وهو يشرب فنجانا من القهوة ، والتي يقول فيها :

لكن في الخط سيارة	حديث الجار والجاره
ترى الأطفال قد ذعروا	إذا لاحت من الحاره
وفي مقدمها بوق	وفي المؤخر زماره
قضى الله على السوا	ق أن يجعلها داره
يقضى يومه فيها	ويبقى الليل زواره

أجل . إن السواد الأعظم من أهل مصر والأقطار الشقيقة يقرنون اسم الفقيد العظيم بتلك الصفحة المشرقة المرحمة التي يجدون فيها لذة ومتعة ، ولكن قليلا منا هم الذين يعرفون ناحية المجد في الفقيد ، فقد كنت تراه كالحمل وداعة وسماحة في مواطن الدعابة ، ولكنه أسد هصور قاس إذا جد الجد وحزب الأمر العظيم ، هنا تتجلى ثقافته وعلمه وسداد رأيه ، كما تتجلى غيرته على مصر وإخلاصه واستعداده للتضحية في سبيل مصر . وهل أنا في حاجة إلى تذكير القراء بمواقفه الغر في مسألة السودان ؟

لقد كتب وكتب كثيراً ، فكان لآرائه وبحوثه الفضل الأول في فتح عيون المصريين وبث روح اليقظة في نفوسهم ، إلى ذلك الفطر الشقيق وتفرغهم بأحواله السياسية والاجتماعية . وأحسب أنه لم يعد سرا خافيا ما كان هناك من علاقات وصلات بين الفقيه الكريم وبين المغفور له الأمير الجليل عمر طوسون ، وكيف كان فقيدنا يقضى الشطر الأكبر من صيف كل عام في مكتبة الأمير يستمد منها معلوماته ووثائقه ومصورات ، ثم ينشر كل ذلك علي الناس . على أن الشطر الأخير من حياة الفقيه قد انقضى في عمل جليل الخطر ، بعيد الأثر في حياة الأمة . لقد كان — رحمه الله — يؤمن إيمانا صادقا بأن شباب الأمة هو معقد آمالها ، ومبعث رجائها ، وأنه المادة الحيوية للمجتمع في حاضره ، والنبوءة الصادقة لمستقبله ، فإذا استقام أمره وصلحت حاله فقد ازدهرت حياة الأمة وقويت مطامعها إلى مستقبل باسم سعيد ، ولا سبيل إلى إصلاح الشباب سوى العناية برفع مستواه الصحي ، حتى يصبح في حياة الأمة مناعة يقبها شر الذبول والانحطاط والتدهور . أما ذلك الشباب الناعم المترف الرخو الذي يقول فيه الشاعر :

خطرات النسيم تخرج خدي — ولمس الحرير يدعى بنانه

فقد كان الفقيه العظيم يعنى عليه ويرى أنه آفة مصر ومبعث الضعف فيها ، فإنه ما تبليت أمة من الأمم في حياتها بشر من شباب ضعيف ، تتسع آماله وتزداد مطامعه ، ثم يقعد به الضعف الجسمي عن تحقيق شيء منها . ان النشاط وقوة الجلد ، والقدرة على الكفاح ، ومقاومة الزوات السيئة ، والشهوات الوضعية ، كل هذا يستمد قوته من طاقة عصبية ومعين حيوى لا يمكن أن يتوافر في جسم معتل وبنية سقيمة .

تلك هي الفكرة الرئيسية التي كان يدن بها فقيدنا العظيم ، ومن ثم انصرف جهوده إلى (تخشين الشباب) وتقويمه ، وغنى عن البيان أنه كان موفقا في هذا إلى أبعد غاية ، فاليه يرجع الفضل في تنظيم الوحدات الصحية في الجامعة ، وفي تلك الاحصاءات الدقيقة النافعة التي كان يخرجها كل عام عن الأمراض المنتشرة بين شبابنا المثقف . وليس نظام الضباط الاحتياطى في الجامعة والمعاهد العليا الا ثمرة من ثمرات تلك الجهود الموفقة التي بذلها الدكتور محبوب ثابت في سبيل تقويم الشباب ، أما غيرته في تعميم التدريب العسكرى في جميع معاهدنا الوسطى والعليا ، فكانت موطن الفخر ومضرب المثل .

هذا قليل من كثير مما يجب أن يسجل لفقيدنا العظيم بالفخر والاعجاب ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاءه عن أمته بخير ما يحزى به العاملين المخلصين .

الدكتور محبوب كما عرفت

لصاحب العزة الدكتور عبد الرحمن كساب

من ذا الذي لا يعرف الدكتور محبوب ثابت ، أو يشكر ما انطوت عليه شخصيته من جاذبية أدته إلى القلوب ، وأفاضت على مجالسه روح الأنا والفرح ، ومع أنه طروب بفطرته إلا أنه كان في مواقف الجد صريحاً إلى أبعد حد ، سباقاً إلى الخير ، ونصيراً للضعفاء كان يعتقد في قرارة نفسه أنه خلق لمساعدة الغير . وقد مات إلى رحمة الله ولم يترك من حطام الدنيا بعد حياة طويلة إلا مجموعة من الكتب وبضع آلات طبية .

ألم يكن محبوب ثابت في مقدمة من نادوا بوحدة وادي النيل ، ودافعوا عن حقوق السودانيين باعتبارهم منا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ؟

ومن أبرز صفاته أنه ما اغتاب أحداً قط . وكثيراً ما حاول بعضهم استدراجه في الحديث إلى النيل من شخص غائب ، ولكنه رحمه الله كان دائماً يغير مجرى الحديث إلى موضوع آخر نحاشياً من الوقوع في الفية .

وربما كان الدكتور محبوب ثابت الشخص الوحيد الذي نال ثقة طلابه إلى أقصى حد ، فقد كانوا يستصحونه في شؤونهم الخاصة ، ويفضون إليه بمتاعهم وأسرارهم ، فليقون منه كل عطف وحسن توجيه . ولم يكن يختص فريقاً منهم بهذه العاطفة النبيلة دون فريق آخر ، بل كان يعتبرهم جميعاً أبناءه ، ويحرص على راحتهم ، والعمل على تذليل ما يصادفهم من عقبات في حياتهم الدراسية .

وبالرغم من كبر سنه كان يشاركهم في كثير من النواحي الرياضية والاجتماعية ، حتى ما كان منها يتطلب مجهوداً جسمانياً . وعلى سبيل المثال أذكر أنه كان أول القائمين بحركة التدريب العسكري ، كما أنه كان على اتصال مستمر بوزارة الدفاع الوطني في كل ماله ارتباط بالهندسة العسكرية ، وهندسة الطيران ، صوناً لمستقبل خريجي كلية الهندسة .

هذه صفحة لم يطوها الموت ، بل ستبقى خالدة بذكره ، رحمه الله .

الرجل المنقش

للاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بك

في الناس أفاضل ، كل منهم نسيج وحده ، قد اجتمع فيه من الأخلاق والطباع ما يميزه في جماعته ، وأفرده في جيله ، إن شهد جمعاً شهد من لا يستغنى عنه ، وإن غاب عن محفل غاب من لا يخلفه غيره .

وكذلك كان الدكتور محبوب ثابت رحمه الله . كان في طباعه وأخلاقه ، وكان في علمه وصناعته ، وكان في الأدب والتاريخ والسياسة . وكان في اهتمامه الدائم بأمته ، وفي عمله الدائب لها ، وفي خصائص تميز بها ، كان في هذا كله فرداً منقطع النظير ، وفذاً لا يقوم سواه مقامه ، ولا يسد غيره مسده .

كان طبعه مبذولاً للفقير قبل الغني ، وللضعيف قبل القوى ، لا يألو جهداً في مداواة الفقراء والعطف عليهم والبر بهم ، وإن لم يسعه ماله وسمعهم خلقه ، وإن قصرت يده استنجد لهم من هو أكثر مالا وأقدر بيدا . وكان العمال خاصة موضع رعايته ، خالطهم وواساهم ، وعمل لهم وسعى من أجلهم سنين طوالاً .

وكنيت لا تراه إلا مهتماً بأمور من أمور هذه الأمة ، متحدثاً به ، أو كاتباً عنه ، أو داعياً إلى الجدي فيه . شهادته في الجامعة معنية بصحة الطلبة ، عاملاً على مداواتهم وتغذيتهم وتقوية أبدانهم وأخلاقهم . وقد دعا إلى تدريبهم على الجندية وإقامة المعسكرات لهم على شواطئ البحار في الصيف ، وكنيت تراه فرحاً بعمله معتداً به ، يادرك بالحديث عنه أول ما يلقاك ، ويبين لك عن أمله في نجاحه ، وعن أثره في تقويم أجسام الشبان وأخلاقهم ، وقد يسأرك طويلاً أو يقفك مدة ليتم حديثه عما يرجوه للأمة من هذا المسعى العظيم .

وقد شغل نفسه في سنيه الآخرة بتعليم طلبة الأزهر اللغات الأوربية ، وتيسير السبيل لهم ليدخلوا الجامعة . رأى في هذا فائدة لهم وللأمة ، فسعى فيه وجد . وكان يأتي إلى بين الحين والحين ، محدثاً عن انتشار هذا التعليم في الأزهر ، وتنظيم الدراسة الكفيلة بولوج المقصد . ثم يوصيني بأن أعمل جهدي لهذا ، ويرسل إلى طائفة من طلبة الأزهر يؤكدون

ما أوصاني به ، فانظر إلى همة الرجل ، رحمه الله ، وعنايته بصلاح هذه الأمة ، وجده وجهده في إنقاذ الرأي الذي يراه ، وتحقيق الأمل الذي يؤمله .

وأما السياسة فأمره فيها معروف ، فقد شارك بلسانه ، وقلبه ، وسعيه ، في سياسة مصر منذ وعى السياسة ، وقدر على السير فيها . فما عدت مسألة سياسية رأيا له يكتبه ، أو يخطب به ، وما خلا مجتمع سياسى منه إلا في الندرة .

وقد منح السودان فكره وقلبه ، فكان يعنى به كل العناية ، ويشغل نفسه به كل حين ، ويحدث عنه حديث الخير العليم . ولا يعنى أمر من أمور السودان ، إلا يبادر بالمشاركة فيه ، وما ذكر السودان إلا ذكر الدكتور محبوب رحمة الله عليه ، ولا يتحدث أحد عن السودان إلا رأى الدكتور محبوب أنه أولى بالحديث منه ، وأخبر وأدري ، وكان له من علمه به وخبرته ما يصدق رأيه ويحقق ظنه .

وكان الرجل أتمده الله برحمته من طيب النفس ، وسجاجة الخلق ، وكرم الطبع ، والتواضع والتفكك ، محبا إلى كل نفس ، قريبا من كل قلب . من الناس من يوافقه ومن يخالفه ، ومنهم من يجد معه ، ومنهم يهزل ، ومنهم من يعرفه عن قرب ، ومنهم من يعرفه قليلا ، أو لا يعرفه إلا سمعا . ولكن الناس جميعا يحبونه ويهشون إذا رأوه أو ذكروه ، ولا يكون محضره إلا أنسا للنفوس المستوحشة ، وصلحا بين المتخاصمين ، أو تخفيفا من حدة المتجادلين . وما عرفته ، ولا حسبت أن أحدا اضطغن على هذا الرجل الذي يرى قلبه من الضغن ، وتزهت نفسه عن البغضاء .

مات الدكتور محبوب ، فافتقده اخوانه ومعارفه ، بل افتقدته الأمة كلها ، وعرفت خلو مكانه من نظير يخلق في هذه الصفات مجتمعات ، وحت إلى مقالاته وخطبه ومجالسه ، واشتاتت إلى جده وهزله ، وصرامته ولينه ، وحدته ودعابته .

وستذكره ما ذكر الرجل ، العالم الطيب ، المخلص البار ، الذي يعمل جهد فكره ويده لخير أمته متواضعا صادقا .

سلم دواعى الصدر لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هجراً

الرجل الاجتماعي

محاضرة صاحب الغزة الأستاذ محمد عبد العزيز طلعت حريكي

كلما طرأ على الشعوب طاريء يهز كيانه ، وبأخذ بمجامع قلوب أبنائها ، رأيت من بينهم نجماً يسطع ، ونوراً يهدى .

وكلما كانت الأمة قد قطعت شوطاً في طريق التكوين ، والوصول إلى الهدف الأسمى للكيان العالمى ، كلما كثرت تلك النجوم وسطعت تلك الأنوار .

ولقد جرف التيار الفكرى العالمى مصر عقب الحرب الكبرى الأولى ، وقامت نهضتها متشعبة بتلك المبادئ السامية التى سادت كل شعب يزنى إلى حريته ، ولم يكن لتلك النهضة وجه واحد ، بل تعددت الوجوه . كانت فى ظاهرها سياسية ، ولكنها فى الصميم اجتماعية بحتة .

وكان من تلك النجوم التى سطعت فى ذلك الحين — وان كان نورها قد سبق ظهورها — محبوب ثابت

فان أنا تعرضت للناحية الاجتماعية ، فى حياة الراحل الكريم ، فلأنما أتعرض للناحية الانسانية التى تهدف إلى تكوين جيل ، يعمل على رفع شأن بلاده ، وعلو كعبها .

ولا يمكن أن تدفع شعباً إلى المحافظة على كيان بلده ، ما لم يكن قد حفظ لنفسه مكانتها ، ولم يواجباته فأداها ، وبحقوقه فطالب بها .

فالفقيد الراحل ، هو صاحب الفكرة الأولى ، فى تنظيم العمال وأحوالهم . وهو الذى نادى بضرورة تكوين مجلس أعلى لهم ، يعمل على تنظيم العلاقات بينهم وبين أصحاب الأعمال من جهة ، وبين طوائفهم من جهة أخرى ، يرشدهم إلى واجباتهم قبل أن يقفوا على حقوقهم ، ولطالما سعى إلى وضع القوانين التى تضمن للعمال مستقبلهم ، وتحفظ لهم ماء وجوههم بعد اعتزالهم عملهم ، وخلودهم إلى السكينة بعد طول تعب ونصب فى تحصيل الرزق وقوت عيالهم .

ولطالما سعى حثيثاً لدى وزارة الحقانية (العدل) عام ١٩٣٠ لوضع تلك القوانين وإخراجها إلى حيز التنفيذ ، وقد أثمرت تلك البذرة ثمارها ، وهامم العمال يرفلون فى تلك القوانين التى أوضح فكرتها ، وأخرجتها وزارة الشؤون الاجتماعية عقب انشائها عام ١٩٣٩ .

هذا من ناحية العمال ، أما من ناحية مجهوداته في خلق جيل رياضي جديد من طلبة المدارس والمعاهد ، فقد هال الفقيد ما هم عليه من ضعف ووهن . فعمل على تعميم التدريب العسكري في المدارس ، والجندية في أساسها — الشهامة والمروءة والرجولة والترفيع والنظام والتفاني — فإذا ما غرست تلك الفضائل في نفوس النشء وشب عليها ، استقامت رجولته بمنأى عما يصيبها في فترة الشباب من هواجس وعواصف ، قد تمصف به إلى الحضيض ، ما لم يكن له من تلك النشأة أكبر عازف ، وأمن حصن .

ولقد كان رحمه الله ضابط الاتصال بين الجامعة وإدارة التدريب العسكري يسعى هنا وهناك ، لتحقيق حاجات الطلاب من هذه الناحية ، ويعمل على أن يمهّد لهم السبل إلى تحقيق غايتهم وقيام التدريب على أسس فنية صحيحة ، وقد أتت حركته أكلها في جميع نواحيها ، فأقيمت المعسكرات الصيفية بالسكينة الحربية الملكية لطلبة الجامعة وأنشئت قوة ضباط الاحتياط من خيرة شباب مصر ، وكون منها جيشاً منظماً مسلحاً مدرباً خير تدريب ، كان لمصر خير عون في وقت عز فيه نقاء السريرة ، والتفاني في التضحية .

ولا أخالني مبالغاً إذا قررت أن الفقيد ، هو أول من عمل على تنمية العلاقات والصلات الوثيقة بين الأساتذة والطلاب في الجامعة ، وبث الروح الجامعية على أساسها الصحيح ، وجعلها تقوم على أحسن ما تقوم عليه العلاقات « الحب والاحترام » .

وكذلك هو أول من فكر في مشروع التغذية بين الطلاب ، وعلى أساس فكرته نشأت المطاعم الجامعية في الوقت الحالي ، والفقيد هو صاحب مشروع بيع طوابع لمساعدة الطلبة العاجزين عن سداد المصروفات وكان كثير ما يساعد بنفسه بعضاً من هؤلاء الطلاب ويؤدي عنهم المصروفات . فهو في شيخوخته يرنو إلى الشباب ، ففيه الأمل والرجاء ، فقد التمس رحمه الله من مولانا الملك أن يكون لأوائل ضباط الاحتياط شرف المنول بين يدي جلالته ، بين أوائل المعاهد ، تفضل عاهل مصر وراعيا باجابه هذا الملتمس ، واستمر إلى أخريات أيامه يحن إلى مجهوداته ، وقد رآها ماثلة للعيون ، ممثلة في هذا الجيل ، وكانت آخر حفلة حضرها ، تلك الحفلة التي أقامها ضباط الاحتياط ، ابتهاجا بعيد ولاية حضرة صاحب الجلالة الملك في مايو الماضي ، وأبي وهو في شيخوخته وضعفه ، إلا أن يكون في شرف استقبال (مندوب الملك) في تلك الحفلة ، ولا غرو ، ففاروق عنوان الشباب ، العزيمة منه ، والمضاء فيه .

رحم الله الفقيد ، وعوض البلاد فيه رجالا يحتذون حذوه ، ويعملون على إتمام رسالته ، يسرون في رحاب الملك ، علم الإصلاح وحاميه ، فاروق رمز البلاد ، ومعقد أمانها .

حامل رسالة الإصلاح والاستقلال

للاستاذ محمد جميل بهيم بك الرئيس السابق للجمعية العلمية اللبنانية

الناس في الحياة أشباح مبهمه ، تختلط ثم تنكسر في ظلام الأبدية بغير ضجيج ، ولكن الكائن العظيم وحده ، هو الذي يقدم للتاريخ مواده ويؤلف عناصر عظمته .

ونحن من هذا الراحل الكريم ، أمام شخصية عاشت في كفاح جاهد ، تلوح برسالة الفكر والإصلاح والاستقلال ، وقضت وهي تلوح وجاهدة بالشعلة نفسها ، شعلة الفكر والإصلاح والاستقلال .

أدرك فقيدنا الدكتور محبوب ثابت مصر ، وهي في فجر انبعاثها ، وبالأحرى أدركها ولما نزال في آصال الغسق الداكن ، فأنبرى مع قلة من أبنائها البررة ، لجلاء الدجنة ، ولا نبلاج النور . وظل طيلة جيله مجنحاً كالنسر الصاعد ، ليست تخونه الخوافي ، وأبدأ بمدبه القوادم ، حتى قضى في وجهة مطلع الشمس سعيداً .

إن يسعني أن ألم بكل جوانب شخصية هذا الرجل الكريم . وإنما أقف حيال ظاهرة أجدني منها في محراب يمور بمعنى النجاة والتقدير . وتلك هي ظاهرة الإيمان المتحدى الوائق بالحقيقة المصرية الصاعدة التي تمدّها حقيقة عربية خالقة : ظاهرة الإيمان بالحقيقة المصرية النابضة بقوى ترسم المدى البعيد ، وتفسح لنفسها المجال العريض .

هذا الإيمان بالحقيقة المصرية ، ومدى استعداداتها ، الذي ظهر في شخص الراحل الكريم ، يجعلنا نفتقده كثيراً ، وقد جد الجد في تحرير قضية وادي النيل والسودان ، وفقتده كما يفقد البدر في الليلة الظلماء . ولكننا مع ذلك لا نزال نسترسل في الاطمئنان ما زالت مصر خليفة بترديد قول الشاعر :

إذا مات منا سيد قام سيد قوّل بما قال الكرام فعول

فأنا أذكر قبل سنين خلت ، أني سعت للتشرف بمقابلة « المنفور له » الأمير عمر طوسون باشا في دأثرته بالاسكندرية ، قصد تقديم الشكر لسموه على الدعوة التي تلتطف وأقامها من أجلى في قصيره الجميل (فيلا) بأبي قير على شاطئ ذلك البحر السندسي .

وكان يرافقني في هذه الزيارة فضيلة الأستاذ محمد السرتي ، شيخ معهد الاسكندرية وقتئذ ، وقد استقبلنا سكرتير الأمير الخاص في غرفته ، وأحسن استقبالنا ، بانتظار التشرف بمقابلة سموه .. وإذا بالهااتف يضرب ، وإذا بحضرة السكرتير يتناول السماعة ، ثم يهرول مسرعا قاصدا غرفة الأمير وعلى وجهه سياء الاهتمام الشديد . وكان من الطبيعي أن تسأل عن الخبر ، وأن تعلم عنه من الأستاذ العباسي بمثل ذلك الاهتمام الذي كان يبدو عليه . قال وهو في طريقه إلى غرفة سمو الأمير ، تشاع في القاهرة وفاة جلالة الملك فؤاد .

خزّ في نفسي أسى حاطم ، كما حز في نفس سواي . فهذا حامى قضية يغيب عنها . ولكن هذه الحسارة ، على أنها فادحة ، سرعان ما كانت معوضة بجلالة « الملك فاروق » ، وكما كان قال خير حفظه الله على الشقيقة مصر ، كان قال خير على كل قطر عربي آخر .

وقد أتى على هذا الحادث بضع سنين ، فاذا بي أجدني حيال حادث آخر ، يضيء على نفسي أسى جارف . فقد لي دعوتي أحد كبار المصريين يوماً ، فنعى إلينا أحد المدعويين الدكتور محبوب ثابت ، فقابلنا هذا النبأ بذعر وقلنا : واحسرتاه عليه ، وخسارة السودان بعد فقده .

ولكننا اعتماداً على ما خلف الفقيه العزيز في مصر من أنصار كثيرين للسودان ، اعتقدنا بأن السودان لن تخسر ، وأن وادي النيل لا شيء يفصل عنه منابع حياته ، ومناهل خيراته .

ذلك كان إيمان الفقيه في حياته ، تنبأه بعد وفاته : أذكر أنه هبط رحمه الله دمشق مرة ، فرار مدرسة ابتدائية ، وانهى به المطاف إلى صف ، وكان المدرس يشرح درس جغرافية . فاستوقف الدكتور تلميذا صغيراً ، وسأله تحديد تخوم مصر . فراح التلميذ يحدد مصر مدخلا السودان في بعض حدودها . فاغرورت عينا الفقيه بالدموع وقال ما مفاده :

أبت روح الحق ، بل روح القدس ، إلا أن تنطق على لسان هذا الفتى الصغير معلنة الحقيقة الصارخة ، ومنبهة طبيعة الاستبداد إلى أحابيلها ، وإلى أنها سوف تمحى ، وقد يحوها صغير لا تأخذه العين ، فيخط أول سطر يكون من وحي الحق في جغرافية سياسية جديدة .

الا أن فقده يحزتنا ، ويحزتنا أكثر وأكثر ، كلما ذكرنا لونه العربي الصافي إبان استفحال شأن الشعوبية : فقد كان رحمه الله إذا زار بلاد الشام أو غيرها من الأقطار العربية ، فالذين يلتفون حوله بفعل جاذبيته الشعبية ، ما كانوا يروون فيه مصريا أم شاميا ، وإنما

يشعرون بأنهم إزاء أخ أليف عربي فحسب ، وإن كانت له طبيعة المصرية ، فبطاقة اللسان ،
وعذوبة البيان .

إن مصر ، وقد أصبحت الآن زعيمة النهضة العربية ، وقطب الجامعة العربية ، فلا بدع أن
تحتفي بذكرى ابن من أبنائها البررة الميامين ، في خدمة هذه النهضة ، ولا بدع أن تشاركها
في هذا الواجب سائر الأمصار العربية الشقيقة . وهي لن تنسى الدكتور محبوب ثابت ، ولن
تنسى سائر المجاهدين الأولين في مصر للعروبة ، وعلى رأسهم الشيخ على يوسف ، والامام
محمد عبده ، وأحمد زكي باشا . ولكن ذكرهم لن نجد مغناها ، إلا إذا كانت رجح النداء
وإعلاننا باطراد العمل في اتجاه الغاية ، وحدود الهدف .

الدكتور محبوب ذو الشخصية المرحّة

للدكتور على إبراهيم^(١)

طلبت الى لجنة احياء ذكرى فريد الطب والعلم والوطن المغفور له الدكتور محبوب ثابت بك أن أتناول موضوعاً عن شخصيته المرحّة ليتضمنه الكتاب التاريخي التذكري الذي أعدته اللجنة تخليداً لذكراه، فلم أجد أمامي سوى هذا العنوان الذي كان فقيداً العزيز له قسطاً وافراً فيه .

كان للدكتور محبوب ثابت مواقف متعددة لاعد لها ولا حصر ، تبرز كلها بالأدب والحكمة البالغة ، كما تبرز بالجور والمرح ، واللطف والدعة . فقلما انتظم مجتمع إلا وله فيه دعاية أو « مقلب » على حد تعبير مدرسة الجيل الحديث .

وما يذكر من دعاته اللطيفة ، أن اجتمع نفر من الأصدقاء في بساين بركات باشا ، بينما كان المغفور له سعد زغلول باشا يزورها زيارته الأخيرة ، وقد اتفق رأيهم جميعاً على أن ينظموا قصيدة « نونية » في مناقب الدكتور محبوب ثابت يضمونها ما كان يذيعه هو عن نفسه وقتئذ . وكان حاضراً هذا الاجتماع فاشترك معهم في تقييدها واختيار بعض ألفاظها ، لذلك كان له حق منع أنصار حرية النشر من نشر هذه القصيدة .

وكان الدكتور محبوب قد رأى أن فرصة ملازمته للمغفور له سعد باشا في تلك الرحلة قد لا تسح له مرة أخرى ، فتحينها فرصة برشاقة ولباقة ليرشح نفسه وزيراً لوزارة الصحة . فكان هذا الجو مساعداً لأحد الظرفاء من المجتمعين على تكبير صفو حلم الدكتور محبوب ثابت ، فأبلغه أن المرشح لوزارة الصحة ، هو الدكتور حافظ عفيفي (باشا) فهاج الدكتور محبوب وأدار « لولب » لسانه فتحرك الزميرك وانطلق يعدد ما أثر نفسه ومناقب شخصه وما كان له من اليد الطولى في الحركة الوطنية ، وفي تأليف النقابات الأهلية ، علاوة على دفاعه عن السودان ، وأهل السودان ، وعطفه على فلسطين والعراق وشرق الأردن وسوريه ولبنان . ثم أخذ يقارن بينه وبين الدكتور حافظ عفيفي (باشا) .

(١) مدرس أمراض النساء بكلية الطب .

واتمى طبعاً من هذه المقارنة إلى أن رأى نفسه يمتاز عن سعادته في كل شيء ، حتى أنه قال : وإذا كان حافظ عفيفي (باشا) يفاخر بغليونه ، فمحجوب يفاخر بشيشاه (أى شيشته) .

وبينا كان الدكتور محجوب مسترسلاً في كلامه ، ارتست ابتسامة على ثغر (دولة) النقراشي باشا ، وكان حاضراً هذه الجلسة طبعاً ، فحسبها الدكتور محجوب استهزاء به وسخرية منه ، وعدّها إهانة له . فالتفت للنقراشي باشا وقال له : إضحك الآن... ولكن غداً لو زرتني في ديوانى بالوزارة (أى بعد ما يتقلد وزارة الصحة) لجعلتك يا نقراشي تنتظر عند السكرتير الخاص بضع ثوان ، وإن أنا تكلمت وسمحت لك بالدخول على لأجلستك على كرسي من خيزران ؟ فكانت دعاية لطيفة أشاعت في الجو مرحاً ..

وقد عرف فيما بعد أن الذين اشتركوا في نظم القصيدة « النونية » هم شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم بك ، وسعادة المرحوم جعفر والى باشا ، وسعادة الأستاذ نجيب الغرابي باشا ، وسعادة الأستاذ صبرى أبو علم باشا ، وعبد الله أباطه بك ، وفضيلة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي بك . ونقح بعض ألفاظها المغفور له سعد زغلول باشا ، كما وضع الكلمات العويصة فيها الدكتور محجوب ثابت نفسه ، وقد قبل الاشتراك في تنظيم ما قاله نثراً ، ووافق على صوغه شعراً ، ولكنه أبى أن يوافق على نشره .

ودمايته وشخصيته المرححة أنقذته من مواقف شتى ، بل أنقذته يوماً من الأيام من استفحال شقاق وقع بينه وبين شخصية عظيمة معروفة ..

وكان معروفًا بصداقته للناس جميعاً في مصر والشرق ، ورأيت في موقفين اثنين في حالة غضب أولاهما عند ما قالوا له إن الدكتور على إبراهيم باشا أحق منه بتقلد منصب وزارة الصحة بينما كان يعتبر أن وزارة الصحة لم تنشأ إلا له ، وله وحده .

والموقف الثانى حين كنا عائدین من المؤتمر الطبى من فلسطين وكان عمال إدارة جوازات السفر يشتغلون بعملهم ، فاشتبه أحد العمال في أمر الدكتور محجوب ، وظن أنه هارب وأنه متسكّر وأن ذقنه اصطناعية ، ولذلك عمد أحدهم إلى جذبها يشده آملاً أن ينزعها من مكانها ولكنها كانت « ثابتة » فلم تطاوعه ... فكان موقفاً مثيراً للضحك حقاً .

وكان رحمه الله مدعوّاً ذات مساء للعشاء في مكان ما ، وكان بين الحاضرين الدكتور إبراهيم ناجى ، فقامت بينه وبين الدكتور محجوب ثابت مشادة ترتبت على اختلاف وجهة نظرها في تفسير آى الذكر الحكيم ، ولم يقبل الدكتور محجوب أن يقال عنه إنه ليس

أستاذاً في علوم الدين وبلغ البحث حتى وصل إلى خلقه حواء من ضلع آدم وكان رأى الدكتور محجوب أنه لم يكن هناك رجلاً أو امرأة في العصر الأنافكي ، ثم انفصل الرجل عن المرأة ، وهذا هو خلقه حواء من ضلع آدم ، فأصبح كل منهما نصف إنسان فقط ، ووجب عليه البحث عن نصفه الأنافكي ، فقال الدكتور ناجي وما شأن الرجل الذي يتزوج أربعة هل يعتبر خمس ($\frac{1}{5}$) أنافكي يبحث عن الأربعة أخماس الباقية له ؟ فصعد الدكتور محجوب ثابت على منضدة واندفع في الخطابة في موضوع المناقشة حتى الثانية صباحاً ولم يتم كلامه إلا بعد ما أُنقذ الدكتور ناجي الموقف وطلب إليه أن يذهب ويبحث للمجتمعين بنصفه الآخر الأنافكي .

هذا قليل من كثير من مواقف ذلك الطبيب الكبير والبطل العزيز فقيدنا الدكتور محجوب ثابت بك الذي أفنى حياته خادماً لوطنه ومليكه المعظم مجاهداً كريماً في عالم الطب والأدب والسياسة . رحم الله الدكتور محجوب رحمة واسعة ، وألهم فيه مصر والقطار العربية الشقيقة الصبر والسلوان على فقده ، مغموراً بواسع رحمته ورضوانه .

رجل ذو طابع خاص صاحب العزة الأستاذ أحمد عاصم بك

أسائل نفسي ماذا عسى أن أكتب عن المرحوم الدكتور محبوب ثابت ، وماذا أقول عن شخصية كرس حياتها كلها أو جلها للخدمات العامة والمشروعات الخيرية . فلم تعش لنفسها ، بل عاشت للمصريين جميعاً ، ولم تكن بشئونها الخاصة عنايتها بشئون وادى النيل . كان كل ما يقوم به الفقيد صادراً عن عقيدة ، وإن خالفت تلك العقيدة ما تراه كثرة الناس ، فقد كان له طابعه الخاص في التفكير واستقلاله في الرأي .

ولقد شغلت مشكلة السودان من تفكيره جزءاً كبيراً ، وكأنما كان يعتقد أن المصريين غير جادين في المطالبة بالسودان ، لذلك وجه كل عنايته نحو اقناعهم بضرورة المطالبة به مذكراً بإيامهم بما بذلوا في سبيل السودان من جهود وتضحيات .

وإن أنس لا أنس للفقيد الكريم مده يد المعونة للأسر التي تنكر لها الدهر ، ونباها الزمن ، فكثيراً ما شهدته بطرق باب الوزارات والمصالح ، كاداً في جمع المال ، حتى يخفف عن المرضى والمعوزين آلام المرض والفاقة .

وللفقيد الكريم في تعيم التدريب العسكري ، والعناية بصحة الطلاب في جامعة فؤاد الأول ، نصيب وافر ، فبينا تكفلت الجامعة بتثقيف الطلاب وتنمية عقولهم ، صرف الفقيد جهوده إلى العناية بجسومهم ، والعقل السليم في الجسم السليم .

وكان رحمه الله — فوق ما تقدم ، طيب القلب ، عف اليد واللسان ، عذب الروح ، حلو الحديث ، مارأيت انساناً أحب الفقراء وأجبه الفقراء مثله ، وكانت له في نفوس العطاء منزلة ، سمى به فوق منازل العطاء والمصلحين .

شخصية متعددة نواحي العظمة لأستاذ عبد الحميد نافع المحامى

عرفت الفقيد العظيم في فجر النهضة الاستقلالية ، إذ كنا وبعض أعضاء الوفد المصرى جلوساً في مكتب سعد زغلول ، وكان الزعيم وصحبه في المنفى ، فما راعنى إلا أن أرى محبوباً روح المجلس وريحاته .

استرعى نظري وفكرى أنه يمزح ، ولا يقول إلا حقاً .

لحقت في ثانيا حديثه العذب الفياض ، الخطيب المفوه المنطيق ، يجمع بين سمو المعنى ، وبلاغة العبارة ، وفيض المعلومات . له صوت جهورى ، وإيماءة حلوة ، ولهجة عربية فصيحة ، ومنطق متماسك سديد ، وكل أولئك يجعله في مصاف كبار الخطباء الخالدين في التاريخ ، الذين إذا نهضوا للكلام هزوا أعواد المنابر ، فاشترأت الأغواق ، وأرهفت الأسماع ، وسرت الكهرباء من الخطباء إلى سامعيهم ، فدانوا لأرواحهم وسلطانهم ، وآمنوا بدعوتهم ورسالتهم .

وشعرت إذ ذاك أنى حيال وطنى كبير ، أشرب قلبه حب وطنه ، وقويت نفسه في مجد بلاده ، فما يكبر تضحية في سبيل حريتها ، ولا يستعلى بذلاً لتحقيق استقلالها ، ويسترخص كل جهد وعناء لا بلاغها مكائنها اللاتقة بمجدها الطارف والتلبد .

وأثيرت مسألة السودان ، فأنبرى محبوب يتدفق عن وحدة وادى النيل ، فأحسست أنى بازاء زعيم سياسى بعيد النظر ، يلقى بالنظرة العميقة الفاحصة إلى خمسين سنة قادمة ، فيلقى الضوء على مصير شعب النيل ، في المستقبل القريب أو البعيد .

وخاض الجالسون في حديث الإصلاح ، فتكشف محبوب ثابت عن مصلح اجتماعى من الطراز الأول ، يبتنى إصلاح القواعد التى يقوم عليها بناء كل مجتمع إنسانى ، فيمحو فروق الطبقات ، ويوفق بين العمل ورأس المال ، ويضمن لكل مواطن فى الدولة حقه فى العمل ، ونصيبه من الرخاء المادى ، وقسطه من الغذاء الروحى .

واتقل المجلس إلى الأدب والشعر ، فأنعقد لواء الزعامة الفكرية والأدبية إلى الزعيم الفكرى ، والأديب الكبير .

وكان محبوب علماً بكل ما في كلمة العلم من معنى ، بل لكأنما كان الرجل مكتبة متنقلة ،
تفيض بألوان العلوم ، وضروب المعارف ، فمن الطب الشرعى ، إلى علم النفس ، إلى الفلسفة ،
إلى التاريخ ، إلى الجغرافيا ، إلى الأدب ، فهو المثل الأعلى للثقافة ، أو هو دائرة معارف إنسانية .

وما إن أحست الجماهير المتدفقة على بيت سعد بوجود محبوب حتى اندفعت تشق أجواز
الفضاء بالهتافات العالية المدوية : نريد محبوب ثابت خطيباً ! نريد بطل السودان خطيباً !
فلم يسع الخطيب المصقع إلا أن ينزل على إرادة الشعب ، فنهض من مكانه إلى الشرفة ،
ووقف حيث كان يقف سعد ، واتخذ من الشرفة منبراً للخطابة كما كان يصنع سعد ، وأخذ
يفيض ويهدر مثل صاحبه ، إذ كان محبوب ثابت من المداره المقاويل أمثال سعد زغلول .

وقف موقف الخطيب عالي الجبهة ، أشم العينين ، فاذا الأسد الحادر ، أسد نائر ،
وإذا هو ليس بخطيب فحسب ، وإنما هو قوة من قوى الطبيعة ، يحمل على السياسة الاستعمارية
ومطامعها في السودان ، فكأنه البركان المتفجر الذي يقذف بالحلم ، أو البحر المصطخب
الذى تضطرب أمواجه ، أو جلبة العاصفة ، أو هزيم الرعد .

لبث ساعة وبعض ساعة يبرق ويرعد ، ويرغى ويزبد ، ويهدد ويتوعد ، فما تلبثم ،
أو تلجلج ، ولا ترزعزع له أمام الاستعاريين ، ولا تخلخل له بأزاء القوة العاشمة إيمان .

ظل يهدر ساعة أو يزيد ، فما أعوزه المعنى ، ولا عزت عليه العبارة . بل لقد كانت المعاني
والمعلومات والأفكار تنداعى ، والعبارات تندفق كأنها السيل المنهمر ، فأمنت بأنى إزاء
خطيب مفوه في عداد كبار خطباء التاريخ .

وكان يستوحى البديهة الحاضرة ، ويستلهم الخاطر الخافل بالمعلومات والذكريات ،
فأمنت بأنه الخطيب المرتجل الذى لا يشق له غبار ، ولا يصطلى له بنار .

والارتجال الذى لا تسبقه معلومات مكدسة ، وتمده علوم مخزنة ، ويسعفه خيال خصب ،
وثمينه دراسة عميقة دقيقة ، وتسندة ثروة لغوية وأدبية يكون أقرب إلى الثروة منه إلى
الخطابة الارتجالية .

ولكن بطل السودان حقاً وصدقاً ، كان من أعظم بنى مصر توفراً على دراسة قضية
وحدة الوادى . كان يؤمن بالوحدة ، لا لأنه ولد في دنقلا ، فدرج فوق أرض
السودان ، وعاش تحت سماء السودان . بل لأنه كان يؤمن أن مصر والسودان كل لا يقبل
التجزئة ، بذلك تنادى الطبيعة والتاريخ واتحاد الجنس والدين واللغة والعادات .

ولعله لم يكن مصري مثل محجوب ملاماً إلمامه بتاريخ السياسة الاستعمارية ومساعدتها
لتزييق وحدة النيل ، والسيطرة على منابعه للتحكم في مصير مصر .

ولست مسرفاً إن قلت إنه كان أكثر المصريين إدراكاً للروابط التاريخية التي تربط
بين القطرين الشقيقين . ولست مغالياً إن جهرت بأن صوت محجوب كان أول وأقوى صوت
ارتفع بوجوب الوحدة لحياة شعب النيل واستقلاله .

وإذ سمعت محجوباً خطيباً لأول مرة شعرت أن قلبه يصفح قلوب سامعيه ، وروحه
تعانق أرواحهم ، فسلمت بأنه الخطيب الشعبي الذي لا يبارى ولا يجارى .

كان يتسع صدره للدعابة في كل شيء إلا أن يصيب وحدة وادى النيل رشاش منها ،
حينذاك تفجر براكين غضبه ، وتللى مراحل غيظه ، فيلوح بعصاه في وجه العاثر
اللاعب ، ويصب اللعنات على رأس المستهتر المداعب ، فلا تنكسر حدته إلا أن يرفع
المداعب راية التسليم ، ويعلن إيمانه بوحدة وادى النيل ، كان محجوب من الأفاضل القلائل
الذين يجمعون بين ملكة الخطابة ، وموهبة الكتابة . فالطبيعة ضئيلة في الجمع بين الملكتين ،
والتوفيق بين الموهبتين . لذلك كان صوته يجلجل في دار النيابة دفاعاً عن السودان .
ومنطقه يدوى في المجتمعات العامة والخاصة ذيادة عن وحدة وادى النيل وتحقيقاً لها ، ووضعاً
لدعائمه ، وتشيداً لأصروحه . وعلى صفحات الصحف كان قلمه يرسل ناراً ونوراً ، بل كان
يبعث بشواظ من نار تشوي وجوه خصوم الوحدة من المستعمرين ، وتوقظ النائم ، وتنبه
الغافل من بنى وطنه . وكذلك كان محجوب ثابت : المواطن العظيم أينما سار مبشراً ونذيراً .

كأنما كان يشعر في أعماق قلبه الكبير الفياض أنه صاحب دعوة وجب عليه أن يؤديها
لبنى قومه ، وفرض عليه أن ييشأ في كل مكان ، وكافة الهيئات والبيئات ، ودين في عتقه
أن يبشر بالدين الجديد : دين الوطنية الحقة ، والوحدة الصادقة . ينادى بدعوته في البيت
والشارع ، والمقهى والعربة ، والمنتدى الخاص والعام ، ودار الندوة ودور الأصدقاء ،
فاذا جلس إلى الشيوخ والكمول حاضريهم ، وإذا اجتمع بالشبان أفاض عليهم من بحر
علمه ، وإذا التقي بالفتيات ثر على رؤوسهن الدروس الغالية في واجبات الزوج . والأم
نحو وطنها وبيتها ، حتى لكان إذا أهل على حدائق الحيوان ، أخذ يتهاذى في مشيته ،
فيتلطف بالشبان أو يتلقفونه ليلقهن دروس الوطنية عالية ، ويتخطف الشابات أو يتخطفنه
ليعلمن واجباتهن القومية ، فيقطع المرحلة بين باب الحديقة وهدفه في جزيرة الشاي ،

في فترة لدى منتصف النهار ، فإذا أقبل على أحبابه في الجزيرة تنازعت المجالس لأنه كان تاجها ومحدثها ، يمزج بين الجد والفكاهة ، يزخر بالمعلومات التي تشرّبها النفوس .

وكأنما كان يحس في أطواء نفسه الكبيرة أنه صاحب رسالة ، رسالة الحرية والاصلاح فلا يهدأ له بال ، أو يطمئن له ضمير ، حتى يؤدي رسالته على خير وجه وأكمل صورة ، فلا التهديد يخلع قلبه ، ولا مضض السجن ، وذل الاعتقال ، يصرفه عن أداء رسالته ، لذلك كان خطيب الثورة غير منازع ، وبطل الحركة الوطنية غير مدافع ، ينتقل من سجن إلى سجن ، ويخرج من معتقل ، ليطلق باب معتقل آخر ، ويتخلص من غمرة ليفشي غمرة أخرى ، وهو هو محبوب ثابت ، ثابت الجنان ، قوى الايمان .

كان يدين بالقوة المادية تنذيرها القوة الخلقية ، أو بعبارة أخرى كان ينشد شعباً يجمع بين قوة الجسم وقوة الروح معاً ، حتى يشق طريقه في معترك الحياة ، ويصمد لخصومه في معترك النضال السياسي . ضمنا مجلس وكنت أتلو على أصحابي فصلا عن « الدموع » من كتاب لسيدة مصرية تجلس معنا . فثار الفقيد في وجه السيدة ثورة صاخبة إذ كان سمعه يمج لغة الضعف والتخاذل ، ولأنه ما كان يؤمن بأن الرجال كتب عليهم القتل والقتال ، وعلى الغايات جر الذبول ، ثم أهاب بالسيدة أن تربي قومها على القوة والكفاح ، فقد كان النساء المسلمات ، في صدر الاسلام ، يخرجن مع الرجال ليحرضنهم على القتال .

ولم يكن يحز في نفسه من الألم كأن يرى شباب الجامعة ضعفاء مهازيل ، لا يصلح للجندية منهم إلا نسبة ضئيلة لا تكاد تتجاوز العشرة في المائة . وما كان يتبعى بالتدريب العسكري في الجامعة إلا خلق جيل جديد يجمع بين قوة الجسم وقوة الخلق . وتزعم الحركة العمالية حيناً من الدهر ، وتصدر لاصلاح حال العمال زماناً ، ذلك بأنه كان يؤمن بينه وبين نفسه ، أن اصلاح العامل أساس لنشر راية السلام الاجتماعي ، إذ فيه قضاء على حرب الطبقات ، ومبعث نهضة الأمة ، إذ أن التقدم الاجتماعي ينبعث من قاعدة الهرم ولا يهبط من قمته . وكل حركة لاصلاح السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الخلفي كانت تشهد الشهيد في طليعتها ، وفي الصف الأول من المجاهدين فيها ، يساهم في كل نهضة ، وفي كل إصلاح ، بأوفر نصيب بلسانه وقلمه .

شهدت بعضهم يعابته مرة فيمنه بأنهم سينشئون وزارة للصحة يكون طيب النفوس ، طيب الأجسام ، على رأسها ، فعبث بقولهم هازئاً ساخر أو أنشد قول الشاعر :

وكم في العرس أبهى من عروس ولكن للعروس الدهر ساعد

فلم يكن محجوب من صرعى المناصب ، ولكنه كان يرجو خدمة وطنه من كل سبيل . وكانت حياته حياة عاصفة ، شهد حرب طرابلس ، وحرب البلقان ، ووقف في وجه عاصفة السياسة البريطانية حين شاعت أن تنحى عن كرسي التدريس في مدرسة الطب . وعاصر ثورة سنة ١٩١٩ فكان ثورة في رجل ورجلا في ثورة . وكتب لنفسه في تاريخ الجهاد المصرى ، وكتاب القومية والوطنية ، أجل الصفحات وأبهاها في السكفاح والنضال ، والنضحية والايثار وانكار الذات والجهد والعمل والاجتهاد .

ولم يكن محجوب يعرف الترامى على العطاء ، والتهافت على الكبراء ، لأن نفسه كانت مملوءة عزة وإباء وكبرياء . ولم يكن ثابت يعرف التعلق بأذيال هذا ، والتشبث بأهداب ذلك ليقفز إلى المراكز أو يثب إلى المناصب ، إذ كان يؤمن بينه وبين نفسه أن المراكز والمناصب وسائل لاغايات لخدمة أسمى المبادئ وتحقيق أشرف الأهداف .

وما كان الفقيد يعرف تقويسة الظهر ، وبسط اليد ، والابتسامة العريضة المصطنعة ، والملق الرخيص المتسكف ، ذلك بأنه ما كان يتغنى أن يشتري المجد الكاذب ، والعظمة الفارغة بأثمان فادحة من اوراق ماء الوجه ، وتمذيب الضمير ، وابتذال الكرامة ، والنضحية بكل ما اصطلاح الناس عليه أنه شرف وغيره .

فلم يكن عجيباً أن لا يبلغ الفقيد أسمى مناصب الدولة ، إذ كان غريباً في الدولة ، ولم يكن غريباً أن يعيش محجوب شبه مقبور أو مطمور ، فقد كان يعيش في بيئة غير بيئته ، وبحيا في زمان غير زمانه ، بل لعله كان سابقاً لعصره .

على أنه إن لم يبلغ أرقى المناصب ، فقد كان يحتل في نفس الشعب أعلى مكان ، ولئن جهله عصره ، فإن التاريخ يذكره ، والصورة لا تعرف قيمتها إلا إذا وقف الرائي بعيداً عنها . لم ينتفع قومه بمجهوده وجهاده وعلمه وأدبه وفضله وكفائته وإخلاصه ونشاطه وجهه لبلاده ، وهم اليوم ينتفعون به ميتاً بعد إذ لم ينتفعوا به حياً .

والآن ماذا أقول في محجوب ثابت ؟ أقول إنه نضحي ، وقد كان النضحية تمثلت إنساناً . أم أقول إنه كان شجاعاً ، وقد كانت الشجاعة مجسمة . ينبغي لى أن أجزىء فأقول إن محجوب كان رجلاً . أجل ، لقد عاش رجلاً ، ومات بطلاً .

نعم ، لقد كان أكثر من رجل ، أعظم من بطل ، لقد كان شهيداً ، وما أحسب إلا أن موته سيكون بعثاً لأمة .

الكنز المحجوب ثابت والعروبة

للكاتب الشرقي الأستاذ سامي السراج

في بداية نشوء الحركة العربية الحديثة ، لم يكن لأحد منا ، نحن الذين قضى الله لنا أن نرافق مناشيء هذه الحركة ، وتمدج في أدوارها دوراً دوراً ، وطوراً طوراً ، لم يكن لأحدنا أن يلتقي بالآخرين من الذين يؤلفون الأذهان على « دين الوحدة العربية » عقيدة أن هذه الأمة الكثيرة الملايين ، والتي تشغل مواطن من خير ما حبها الطبيعة من المزايا ، وقدمت للبشرية أفضل حضارات ومدنيات ، هي خليفة بأن تتقدم ثابتة للمساهمة في الحضارة العصرية ، لا على أسس « المادية » التي هي لب هذه الحضارة الحديثة ، وستكون سبب دمار الانسانية ، بل على أساس تطعيمها بالروحانية ، التي هي طابع الشرق ، ومستنبت الوحى ، ومستطع أضواء التعاليم السامية . ومعلوم أن أية حضارة تنشأ في أي دور من أدوار الزمن ، لا يقدر لها أن تمر طويلاً ، ما لم تكن الروحانية ظئرها الحاضنة لها بما تحمل من مودة ورحمة ، ورفق وإيثار ، أما المادية فغلبة وفتح ، وبسطة واستئثار ، ومطامع وشرافات ، ولا دوام لها ، وإن هادنها الزمن بعض حين ، وصدق شاعرنا شوقي القائل :

ما لبناء على السيوف دوام

إذن كان هنالك سائق فطرى إنساني يدفع بالعرب إلى تحقيق أغراض جمّة تتضمنها الرسالة الآتية :

١ — إحياء مجد لهم شائع متداول على الزمن .

٢ — الخروج من وضع ملء بالآسى والفواجع ، في حاضر لا يبشر بآت سعيد . إذ كانت ثلاثة أفواه تغفر لاتهم المقاطعات العربية ، واحدة إثر أخرى ، وقد بدأت إيطاليا بالانقضاء على طرابلس وبرقة ، وأنشأت فرنسا وإنجلترا تحوكان نسيج مطاعمهما حول سورية والبصرة ، بينما رجال الدولة العلية ، ونفخ بها تركيا القديمة ، لاهون بفرض الطورانية على عناصر الدولة غير الأتراك من جهة ، وسادرون في المناعم والمباهج ، ونشدان المنافع ، واحتجان الأموال لذواتهم ، لا يلقون بالا إلى ما يحيق بأقاليم الدولة من أخطار .

٣ — الاعتقاد الجازم بأن عزة هذا الشرق لا تستوى على عودها ، إلا بعزة تتوفر لهذه الأمة العربية ، التي ترث أبجد ماض ، وتتطوى على أنبل خصائص وغرائز ، وتملك أصقاعا ، على ملتقى ثلاثة بحور من أعظم بحور الدنيا ، حركة ، ونشاطاً ، وبركة ، وإنتاجاً ، فإذا ما تألفت الأمة العربية على دين الوحدة ، وملكت زمام العزة ، أمكنها أن تكون نواة وحدة الشعوب الإسلامية جميعاً ، وتمضى قدماً في رسالة لا يستطيع الغرب في ماديته أن يؤديها ، وهي رسالة الانسانية ، التي تكفل للبشرية حضارة غير مدمرة ، حضارة التكافل والتراحم ، بين الانسان والانسان ، والجماعة والجماعة ، والأمة والأمة ، دون دموع وآلام وأحزان .

على هدى هذه الضرورات ، نشأت الفكرة العربية في أوائل القرن الحالى ، وعلى ضيائها تألفت مواكب المجاهدين لتحقيقها . ولم يكن ثمة تعارف أو اتصال بين كنانين هؤلاء المجاهدين ، بل كان هنالك تلاق عند كوثر الغرض الأسمى ، وإن بعدت بهم الدار ، وشط المزار . ولقد كانت « سرية » العمل هي الحطة المقررة بين أعضاء الفكرة العربية ، فلا يتأتى لهم أن يتعارفوا إلا بواسطة « الدليل » وهو شخص مختار من الجماعة ، يوصل « الكلمة » إلى شخص معين ، ويمضى من حيث أتى ، دون أن يذكر أو يعرف أشخاص الآخرين .

بهذا « الاتصال » الضيق فى حدوده ، الكثر فى حيزه ، مضت الفكرة العربية فى مسراها ومجراها ، وكنا معشر الذين قضى الله لنا أن نشهد هذه الأدوار ونشترك فيها . نعلم أن الدكتور محبوب بين رجال الطليعة الأفذاذ من المبشرين بتعاليم الوحدة العربية ، والعاملين على بثها فى طبقات المفكرين قولاً وعملاً وجهاداً بما يملك من بيان متماز وطلاقة معدومة النظير ، وجراءة لا حدود لها ، ولقد كان يتمتع وهو بمصر الناجية من جبروت الاتحاديين بما لم تكن تتمتع به من سعة رفق وحرية قول ورجابة تصرف ، على أنه طيب الله نراه لم يسلم من اضطهاد يلقاه وعنت يواجهه فى كل مراحل جهاده للعروبة ، وهل يسلم من العنت والاضطهاد مجاهد لفكرة نيرة ، ومضاوول لسياسة مرسومة ، لبأها إخضاع هذا الشرق وإذلاله خصوصاً إذا كان جريئاً كالـدكتور محبوب ، بين الحجة ، مشرق الحجة ، واضح الأسلوب ، مالمكا عنان الفصاحة والبلاغة والبيان ، قوى التأثير فى الجماهير ؟ .

وتعثر الحركة العربية ، ويكثر خصومها والشائتون ، وبسوء جماعات فى مصر ، فهم ما تطوى عليه من مقاصد واسعة ، إذ لم يرف فيها هؤلاء ، إلا أنها حركة تمرد على الدولة

العلية ، فلا يكون لها من أنصار إلا الدكتور محجوب ، وأنداد الدكتور محجوب ، لأنهم آمنوا بأغراضها العالية إيماناً كاملاً ، آمنوا بأنها حركة من شأنها أنها تملي مكانة الشرق لا أن تضعها ، وآمنوا قبل ذلك بأن العروبة رباط مقدس بين شعوب الضاد ثم بين شعوب القرآن ، وآمنوا بأنهم بأشخاصهم سلائل أجداد أجداد شرعوا للانسانية نظاماً وأنشأوا للعدل والانصاف وهنأة البشرية منهجاً قواماً ، فلا يحمل بهم والحالة هذه أن يرتضوا لأمتهم خضوعاً وذلاً ، وأن يتخلفوا مع الحوالم ممن يؤثرون القناعة بمطعم وملبس ، وبحياة وادعة تفقصها العزة والكرامة .

على هذا النمط توالى حياة الدكتور محجوب ، نضالاً في نضال ، وحيالاً يتلوه حيال ، وارتقاء في كل معترك ومجال ، لا ينتصب للعروبة ميزان ، إلا ويكون قابضاً على إبرته ، ولا يفسح للعروبة ميدان إلا وتشهد الدكتور محجوب في مقدمة رجاله وأبطاله بكل هامة بشيره والغبار ، قرماً مشاحناً ، وبطلاً مقارعاً ، لا يعرف الهزيمة .

حياة الدكتور محجوب مباركة طويلة ، تكرر الطرف وتبد الشرف . عرفه العراق في كفاحه ، وعرفته بلاد الشام في نضالها الطويل ، وعرفته فلسطين الشهيدة في أساها وفواجبها ، ورأته طرابلس من قبل مجاهداً عتيداً ، يذكي الحماسة في صفوف مجاهديها والمقاتلين ، ويمدحهم بفداء الاجساد والأرواح ودواء الجروح ، وعرفه السودان كما عرفته مصر ، لا يألو جهداً في شد الروابط وتمتين الأواصر الواشجة بين أمة إن تناءت أقطارها وأمصارها فقد تواءمت آمالها وأهدافها وتدانت رغائبها ومقاصدها ، تظلمن جميعاً راية العروبة التي كان الدكتور محجوب من أصلب رجالها عوداً وأربطهم قلباً وأبنتهم طائراً وأصفاهم إيماناً .

قلله والعروبة ما عمل في حياته ، وله من رجال « الرعيل الأول » أوفى تقدير واجلال ، جزاء جهاده المديد ، واخلاصه العميق ، وعلى الأجيال القادمة ألا تنسى نبأ ريس الهدى من أمثال محجوب المخلصين ، فانهم مجد الأمة ، ومفاخر التاريخ ، بل هم القدوة والأسوة للخالفين .

السياسي الذي لم يغير مبدأه

للاستاذ الدكتور جورج صبحي بك

أطلعني صديق في عهد التأمدة ، على خطاب وصله من صديق آخر ، كان توقعه في ذيله هكذا : « محب عنكم محجوب ، ولكنه على المودة ثابت » .

وبقيت هذه الامضاء عالقة بذهني ، ومضى وقت طويل ولم أنسها ، حتى أسعدني الحظ بقاء صاحبها والتعرف عليه .

وكنّا بمدرسة الطب في ذلك العهد ، وكان أول عهد المصريين بإسناد وظيفة أستاذ مساعد إلى مصري منهم ، فظهرت كفاءة الدكتور محجوب حينذاك في طريقة تدريسه التي اقتبسها من فرنسا ، وظهرت مواهبه بذاكرة مدهشة للمؤلفين والمخترعين ، وكبار رجال الطب في العالم .

ودار الزمن دورته ، وترك الدكتور محجوب مدرسة الطب ، ولعبت السياسة برؤوس كثيرين من شبائنا ، وكان الفقيد في طليعهم ، ولكنه اختلف عن غيره طوال حياته ، بأنه لم يغير مبدأه قط ، ولم يتلون كالخرباء حسب الوسط الذي وجد فيه بأن راضي أصحاب السلطة والأمر .

كانت له نزعة خاصة ، تبين أنه كان أديباً وطيباً في آن واحد ، وطفح به الاهتمام بوادي النيل ، من منبعه لمصبه ، كما يقولون . وكم نال جور من تلك النزعة ، فشرد ، ونق ، ولكنه بقي على مودة السودان والسودانيين ، أبداً ثابت العهد .

وافترقنا بالجسد ، ولكننا لم نفترق بالروح ، وتماثلنا كثيراً في محبتنا لمصر ، وتاريخ مصر ، وعز مصر ، ولو أنني لم أشتغل قط بسياسة مصر .

تلاقينا مراراً ، فوجدته على عهده مخلصاً لأصدقائه ، لم يتزحزح عن مبدئه وعقيدته ، وصار لي طوال حياته الصديق المخلص محجوب ، ولكن على المودة ثابت .

محبوب الصديق المحبوب

للاستاذ محمود العزب موسى

السماء حزينة مكتئبة ، يجللها سواد ، وكأنها لم تعرف الصفاء منذ حين ، والقمر مخنوق
بلفافات السحاب المتكاثف ، كأنه يشق طريقه إلى الحياة لبشع النور ويبعث في النفوس
الأمّن والدعة والاطمئنان ، والرذاذ الخفيف يتساقط على الأرض ، كأنه دقات القلب
الذى أضنته الحياة ، ومل عيش الكفاح . كنت أضرب في شوارع « باريس » وطرقاتها
وإلى جانبي الصديق الحبيب « محبوب » ، كنت أخشى حزن السما وقطال ، وأخشى
القمر أن يمل الاختناق فيموت ويختفي ، وأخشى الرذاذ أن يتفجر انتظاره وأن تفتح
أبواب السما ، وكنت أحت « محبوبا » على الانصراف وأن يأوى ليلة واحدة في باريس
قبل أن تصيح الديكة ، وتقرع نواقيس الكنائس ، وكان « محبوب » يمشط ذقنه يديه ،
ويبكي على شباب العهود الماضية ، حيث القوة والجرأة والاقدام ، شباب العهود الماضية
الذى لم يعرف يوما الخوف من المطر ولم يهن أمام العاصفة ، وإنما كان يمضى فى مذاهب
الدين على خير ما يكون الشباب .

قلت : يا « محبوب » أيشيخ القلب ، وهل لقلبك ذقن تمشطه الأعضاء .

قال : لم أعرف الشيخوخة يوما ، ولم تتسرب إلى القلب غير النضرة والفتوة
ومعاني الصبا .

قلت : أليس لك فى باريس خل وفى ، وصديق يحنو ويعطف ؟

قال : كيف تقول ذلك ، ولى فى باريس حياة . ألا ترى شعر رأسى ، أستطيع أن تعده ،
وتعرف عدده ، إن كل شعرة مضروبة فى أربع ، تلك على عدد من تقصد ،
ولكل تاريخ .. تاريخ مسطور بالدم والدمع وال عاطفة والوجدان .

قلت : كم سمعت ذلك من محبوب ، فأين الدليل ، وأين البرهان ؟

في الصباح ، كنت والصديق في طريقنا إلى شارع المدارس ، ووقفنا أمام إحدى العمارات الشاهقات ، ومثلنا أمام « البواب » وهي سيدة نصف ، تحيد القول ، وتدير ألوان الحديث في رقة ودلال .

قال محبوب : أين تسكن مدام . . .

قالت « البوابة » : ليس هذا الاسم هنا .

قال : وكيف هذا .

قالت : إنه كذلك ، وأنا أقوم في عملي هنا منذ عشرين عاماً ، ولا أعرف سيدة بهذا الاسم ، ويقتني أن جميع السكان لا يعرفون شيئاً عن صاحبة اسم كالذي تنادي به الآن .

صمت محبوب ثم قال : « إنها صديقتي منذ عام ١٩٠٧ » فابتسمت المرأة وقالت : لقد كان أيام الجمهورية الأولى .

قال : لك الله أيها الجاحدة القلب .

انصرفنا وأخذت دموع محبوب تهمر في مآقيه ، ثم تبلل وجهه إلى أن وصلت إلى شعر ذقنه ، وأخذ يتمتم بمبارات الوفاء ، وجميل الصداقة البعيدة وأيام الصبا والشباب .

قلت : لقد مضى كل شيء ، ومن ذهب لا يعود ، ولا رجعة للأيام .

هاج الصديق ، ووقف في الطريق وبدأ يتحدث عن الذكريات وهو يقول : « إن الذكريات لأثبت في القلوب ، وكلما مضى بها الزمن زادت مع المعادن الأصلية لمعاناً ، وأنا رجل لا يميني في الدنيا سوى الوفاء ، فهو غذائي ، وأخشي على هذه السيدة أن تكون قد ماتت ، وأقضى شيء على نفسي وقلبي أن أسير في جنازة صاحب ، أو أقف على قبر حبيب » .

هذه صورة حية من صور الطبيعة التي عاشرت محبوباً وزاملته أثناء حياته ، وارتفعت عنواناً عليه بعد مماته .

كان رقيق القلب والحاشية ، وكان يتفاعل مع أسباب الدنيا في براءة وطهر ، كأنه ملاك في ثوب إنسان . غير أنه كان ضعيفاً أمام المظلومين ، ولا يقف عند الذين ظلمتهم

الحياة ، بل أولئك الذين ظلمهم العلم والتقى والقلب والسياسة والأخلاق ، فكان يشور ،
وتضطرب في نفسه ألوان الدفاع عن المظلومين .

وكان جريئاً في قوله ، في حديثه ، في إشاراته ، في إيماءاته ، وكان قوياً دفاعاً كأنه
خضم يخرج ما فيه ، لا يعبأ بشيء ، ولا يخاف شيئاً ، ذلك أنه عاش وحياته على راحة كفيه
لا يفريه المال ، ولا يأخذه بريق جاه . فمن من الناس لا يعرف محجوباً ، ولم تجر على لسانه
عبارة من عباراته ، أو انطوت ذاكرته على تدراته .

كان جيلاً وحده . عاش مظلوماً من الناس جميعاً ، وإن كان أحد منهم لم يبعد
عن محجوب وعلمه وأدبه وقته ، وكان بين الحين والحين يشكو هذا الظلم الذي ابتلى به .
وأخيراً وقف الذين ظلموه في الحياة على حافة قبره إلى جانب أولئك الذين أحبوه ،
وتساقط من عيونهم دموع الوداع .

وكأنني بمحجوب يطل عليهم في هدوء الرمس ، وتشق أعماق الوجود نقمة من نقمات
محجوب ، وكأنه يتغنى في وحدته بقول الشاعر :

لا أعرفك بعد الموت تدبني وفي حياتي ما زودتني زادي

محب الموت ضوء محبوب عنا

للاستاذ الشاعر عبد الغنى سلامة

أى صرح من النهوض تداعى
شمس مجد هوت إلى حيث تهوى
حجب الموت ضوء «محبوب» عنا
رب ذكر يضىء بعد احتجاب
ورجاء يشع بعد افتقاد
ذاك «محبوب ثابت» رائع الذكر
كان ملء الوجود حبا، ووداً
شعلة من توقد ووثوب
يا لها غاها المنون فأجت
بين قرع الخطوب لج بها اليه
إيه يأنيل كيف نمت على الرو
أين ولى الحبيب أنس الليالى

لست أدري وخالقي أى سؤال
عزمة هزت الحمى ، وفناء
كل درس وعته مصر وعاه
وطنى من قبل إشراق «سعد»
وغيور أثار مشكلة «السو»
كل صعب يراه سهلاً يسيراً
سل حياة الجهاد عنه وسل من
كيف شق الصفوف فى حومة الحر
كيف كان الطبيب يخنق على الفقة

ورجاء على الكنانة ضاع !!
أعجز الشيب والشباب ابتدعا
فكر تلميذها فكان صناعا
ومرب قضى الحياة مطاعا
دان « برأ به فلاقى استماعا
وهو قد أورد الفحول انقطاعا
جابهوا الزوع كيف كان شجاعا
ب وكيف اعتلى التروس صراعاً
ر ولا يرهق المراض الحياة

ظل إنسان دهره الفرد يرثى
ليس في مصر وحدها بل شعوب الـ
يعرف الغرب منذ شبت وغاه
كيف داوي الجراح فيها فحيت
للمصايين جاهدًا ما استطاعا
أرض طرأ سعى لها نقاعا
كيف أبلى بها البلاء وراعا
أرض مصر وأكبرتها بقاعا

لا أعالى في مدحه — يعلم الله
صاح بي هاتف الوفاء فليد
كم سرى روحه الرياضى في الأر
زار « برلين » في صفوف شباب
صاغه عزمه الفتى ورباً
رف من فوقه لواء المعالى
ه — ولكن دعوته فتداعى
ت فقال استمع كرم ت طباعا
ض وطابت لحونه إيقاعا
من بنى النيل لايهاب القراعا
ه على وثبة تفول السباعا
فراى الغرب واهما خداعا

قال لى الشعر : أى مجد سترنى ؟
قلت : جهد المقل أفضى به الديـ
عز إنصاف « ثابت » عن خيالى
إنه ملهم القصيد ؛ وشوقى
بعض آثار « ثابت » معجزات
تخذ الجامعين أبناء الأبر
وتجلى على الوفين روحاً
لست تدري الإبداع والامناعا !
ن فليس المقال فيه اختراعا
وهو قد أنصف الشباب اصطناعا
قال فيه الأشعار والأسجاعا
كاد يعي بها الشباب اضطلاعا
ار روحا سما به إشعاعا
يحسم الخلف بينهم والتزاعا

أجمع القوم أنه السمع حقاً
حمل الناس أكتعين منيلا
لم يقدر لجامعى المال وزناً
نهج البذل والسخاء ، ونادى
ورأى العلم أمه ؛ وأباه
هل رأيتم على امرئ اجما
عظاء من كفه ورعا
حين باتوا على الثراء صراعا
بحياة توحى الخلود اجتماعا
وبنيه ؛ وزوجه ؛ والمتاعا

لم يكن دون باعثي المجد نوراً
حين أوصى بوهب مكتبة العبد
وأب الطالبين يهدي دواء
ثروة أهديت إلى مصر حقاً

ك « على مبارك » . أو « رفاها »
م لطلابيه ، خشيئنا الوداعا
وكتاباً لشعبه وبراها
ضن من بعد موته أن تباعا

هكذا تبلغ الفجعة فيه . . .
فانظروا للذي قضى . . . لم تسعه
عطر الله قبره وسقاه

مبلغاً يصدع القلوب انصداها
أرضه يسكن التراب ذراعا
رحمة تملأ الربا والفاها

رجل اتخذ أعماله وآثاره لأستاذ محمد سليم رشدان بالقدس

ما يزال ديدن الأمم الراقية، إحياء ذكر عظمائها، وتدوين ما أثر من تاريخهم، وتخليد أقوالهم وأعمالهم. وإن مصر — ومصر قدوة الأقطار العربية كافة — حين تنتهج هذا السبيل وتشأى نحو غايته، إنما هي تدون في تاريخ نهضتها، صفحة لامعة مشرقة، تسلكها في عداد أولئك الذين طرّفوا إلى الحضارة كل سبيل.

وإن بلاد العربية أجمع — ومصر فيها واسطة العقد — ما تزال منذ فجر الإنسانية البعيد مهد العظماء، وموطن الأفاض النابهين.

وهذا فقيدنا الراحل، الذي نحتفل بذكراه، ونخلد مآثره، إنما درج في وطن تعود أن ينبت العظماء، فأنبته، وآلف أن ينبج أفاض الرجال من مثله، فأنبجه، فكان نسيج وحده. وإن للعظيم رسالة، هي السر الذي يستكمل به نواحي العظمة في نفسه، وأنه لا يبلغ الهدف ويدرك الغاية، ما لم يؤديها على آتم الوجوه وأحسنها وأكملها، ولقد أدى (فقيدنا) رسالته، وأحسن أدائها، فأحسن الله إليه، كما أحسن.

لقد كان الدكتور محبوب طيباً ناهياً، أسبغ على الإنسانية من أياديه، ما خفف آلامها، وآسى جراحاتها، وكفكف من عبراتها، وجعلها مدينة له بحجميل يذكر فلا يكفر. ولكنه لم يقف عند ذلك المدى، بل تخطاه إلى ماعداه. إذ أن الإنسانية في مذهبه متصلة الأسباب، متقاربة النسب. فكل حامل يهدف إلى خير، ويرمي إلى إصلاح، سواء عمل في حقل الأدب، أو عمل في حقل السياسة، أو عمل فيما سوى ذلك، إنما هو يطب للإنسانية، ويلتمس لها السعادة. لذا فهو وكل واحد من أولئك فرسا رهان، وزميلان إخوان.

ولقد كانت تربطه بكثير من هؤلاء، صداقة وثيقة العرى، متينة الأواصر، ترتقى إلى مراتب الأخوة الصادقة، التي تتمازج فيها الأرواح، وتتحد القلوب. ويحضرني شاهد من ذلك، صداقته لأمير الشعراء (أحمد شوقي بك) تفعمده الله بالرحمة. فقد كان واحداً من أصدقائه، الذين أخلصوا له الوفاء، وألقوا إليه بالمودعة. وإنك لتستشف بعضاً من ذلك،

في قصيدة لشوقي ، زوده بها ، وهو يسير في ركابه مشبعاً ، حين خرج حاجباً إلى بيت الله الحرام . فيقول في بعض أبياتها :

ز وفي جوانحك الهوى له	(محجوب) إن جئت الحجا
ل وآله أزكي سلاله	شوقاً وجباً بالرسو
وشممت كالريحان ضاله	فلمحت نضرة بانه
ظر فيه دمك وانهماله	وعلى (العتيق) مشيت قد
ن الروح يسرى والرساله	ومضى السرى بك حيث كا
ز يبارك الباري حياله	وبلغت يتسأ بالحجا
م خلقه وجلاله	الله فيه جلا الحرا
العالمين من الجهالة	فهناك طب الروح طب
حة والبلاغة والتبالة	وهناك أطلال الفصا
أزكي البرية قد مشى له	وهناك أزكي مسجد . . .

وإنك لتلح من هذه الصداقة ، صوراً وانحة القسبات ، في مواطن كثيرة من ديوان (شوقي) ، ومن ذلك مثلاً ، باب بأكمه ، أفرده لهذا الصديق في الجزء الرابع من (شوقياته) أسماء (محجوبيات) . وفي هذا الباب يطالعك الشاعر بدعابات حجة ، تفيض رقة وعذوبة ، كان قد وجهها لصديقه الدكتور ، واليك طرفاً منها ، يظهر فيها وجه الود بينهما ضاحكاً مشرقاً ، كدعابته في سيارة الدكتور التي ابتاعها ، بعد أن لبث عمراً طويلاً يمتطي حصاناً أسماه أصدقاؤه تظرفاً « مكسويني » وهو اسم بطل ارلندي اتحر جوعاً ، يكونون بذلك عن هزاله وجوعه ، وعدم العناية به . فيقول :

لكنكم في الخط سياره	حديث الجار والجاره
إذا حركتها مالت	على الجنبين منهاره
فلا تشبها عين	من البنزين فواره
وقد تمشي متى شئت	وقد ترجع مختاره
قضى الله على السواق	أن يجعلها داره

أدنيا الخيل يا « مكسى »	كدنيا الناس غداره
لقد بذلك الدهر	من الاقبال ادباره

فصبراً يافى الحيل فففس الحر صباره
ولا والله ما كلف ت محجوباً ولا باره
فلا البرسيم تدريه ولا تعرف نواره

وهذه أبيات من قصيدة ثانية ، عنوانها « براغيت محجوب » . وفيها يبلغ الغاية من خفة
الظل ، وطلاوة الأملوحة . فيقول :

براغيت محجوب لم أنسها ولم أنس ما طعمت من دمي
تشق خراطيمها جوربي وتنفذ في اللحم والأعظم
ترحب بالضيف فوق الطر ق قباب العيادة فالسلم
قد انتشرت جوفة جوفة كما رشت الأرض بالسمسم
بواكير تطلع قبل الشتاء وترفع ألوية الموسم

هذا ، وإن الطب في عرف الناس ، علاج أولى السم ، ومؤاسة ذوى البرحاء ، وإسعاف
ضحايا الآلام والأوجاع . ولكنه في عرف أولئك الذين صفت نفوسهم ورق إحساسهم ،
لا ينحصر ضمن هذه القيود ، بل يحطم حدودها ، ويتخطى الجسم إلى الروح ،
فينكشف بين يديه ما انبهم من أسرارها ، وخفي من أغوارها ، فإذا هو يتحسس آلامها ،
ويتلمس أسقامها .

ولله أنت يا « محجوب » حين تتغلغل في النفوس ، فتصف ما تعانيه من أوجاع ،
وتعرب عما في القلوب من أسى . ثم إذا أنت تشاطرها ذلك ، حين يعجزك أن تناولها
الدواء ، وهو منك قريب . . .

لقد كان الدكتور محجوب طيب أجسام حقاً . ولكنه كان إلى جانب ذلك طيب
أرواح ونفوس . ولقد وهبه الله قلباً يتفجر في قرارته ينبوح من الرحمة ، ويشع في جنباته
نور من الإيمان ، فإذا هو يسع من حوله بعطفه وإشفاقه ، وإذا هو ثابت المبدأ ، راسخ
العقيدة ، تحول الحيال قبل أن يحول أو يزول . ولقد أحس — رحمه الله — بشعوره
المرهف ، وأدرك بذكائه الوقاد ، أن الناس في مصر وسودان مصر ، يفتقدون عافية
الأرواح ، وإن لم يفتقدوا عافية الأبدان . وأنهم إذا لم يلمس لهم العلاج ، صأرون
إلى قناء ليس كمثل قنائه . . . وليت شعري ، هل يعتبر المرء في عديد الأحياء إذا لم يكن
حرراً في وطنه ، عزيزاً في قومه ؟ !

إذن ! فليشمر عن ساعد الجدد ، وليلتبس موضع الداء ليستأصل شأفته ، ويبحث اعراقه . .
ومضى في سبيله صعداً ، لم يخذله ، أن وجده بعيد الغور ، متشعب الفروع . ولم يقل من عزمه ،
أن ألقى خصمه عنيداً ، شديد الأسر ، لا يقوى على مصارعة فريد أعزل . ولكنه ثبت
له ثبات الراسيات ، لأنه كان أمة في نفسه ، يصفه قول الشاعر :

همة في رجل من أمة جعلته أمة في رجل

وهنا بدأ النضال شديداً ، واحتدم عنيفاً ، وإذا بالدكتور محبوب يدعو إلى وحدة
وادي النيل ، كاملة غير منقوصة ، من مصره وسودانه . ثم يلتبس المناصرين والاعوان ،
فاذا هم كثر ، يتحلقون من حوله ، يهتفون بهتافه ، ويدعون بدعوته ، وينبى في عداد
أولئك . « أمير الشعراء قائلًا : »

فمصر الرياض وسودانها	عيون الرياض وغدرانها
وما هو ماء ولكنه	وريد الحياة وشريانها
تتم مصر ينابيعه	كما تتم العين إنسانها
وأهلوه منذ جرى عذبه	عشيرة مصر وجيرانها

أجل ؛ لقد رأى « الدكتور » ذلك في مصر ، ولم يفته أن يلتفت إليه في جارات
مصر ، ولكنه محال على المرء أن يتطلع بنظره إلى الأفق البعيد ليتبين ما فيه ، ما دامت
النار تضرم من حوله ، فتلتهم الأخضر والفناء .

وكأني بالقدرة قد أعدت هذا المجاهد الكريم ، ليكون حيث كان ، فزودته بما يفقر
إليه من هم من أمثاله . فلسانه ذرب ، وإبائه محلق ، وأفته في الذروة ، وإيمانه ليس
بعده إيمان .

ولعمري إن هذا هو غاية سلاح المجاهد ، وإن الرجل العظيم ، حين يمتلك زمام ذلك
كله ، لا يبالى بعدها أن يقارع الدهر ، ويصاول الأيام ، إذ يجد من نفسه جيشاً لهاماً
وجحشاً لجياً . وحسبك من ذلك ما يقوله الشريف الرضي :

ما مقامى على الهوان وعندى	مقول صارم وأقف حمى !
وإباء محلق بى عن الضية	م كما زاغ طائر وحشى !

أرأيت ما هنالك ؟ إنه عظم عليه أن يقيم على الهوان ، وعنده مثل هذا السلاح القاطع ،
الذي غفلت عنه أعين الجبناء ، ولم يفتقد بعد ذلك عديداً ، بل لم يفتقد سلاحاً يكافح به
وينافح !! إنها النفوس الكبار ولا صغار .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لكم كان الدكتور (محبوب) يعتز بعريته وإسلامه ، وإنك لو سمعته يتحدث ،
لسمعت رجلاً بلغ من حبه لتلك العربية أن أجاد لسانها ، إجادة مكنت له من امتلاك
ناصيته ، بل سمعت رجلاً توهمته يعرف من خضم لا ينضب معينه ، ولا ينقطع مدده . ثم الفيتك
إلى جانب ذلك في غمرة من نشوة الروح ، تخلق مع الخيال إلى عالم غير منظور . فكأنما
يقرع أذنيك رقي وتعاويذ من السحر الحلال ، أو كأنما تستقبل شعاعاً من النور ، يتسرب
إلى قلبك فيملؤه إيماناً ، ويفغره خشية ، ويفعمه يقيناً .

وإذا بك تعود مع الذكريات ، إلى دنيا العزة والمنعة ، إلى دنيا البطولة والفتح ،
إلى دنيا الحضارة والعمران ، إلى دنيا الملوك الصيد والأبطال الصناديد ، إلى دنيا
العروبة والإسلام .

وإذا أنت تردد مع الدكتور (محبوب ثابت) حين يهتف بلسان حاله مع ابن قيس
الرقيات ، فيقول :

حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق نفوسها الأهواء
مثل وقع القدم حل بنا فأنه ساس مما أصابنا أخلاء
لو بكت هذه السماء على قوم كرام بكت علينا السماء

هذا هو الدكتور «محبوب ثابت بك» كما يمكن أن تعرفه من كلمة موجزة وتعريف
خاطف . وإن رجلاً حدثت عنه أعماله ، وخلدته ما أثره ، فأبقت على الأيام ذكره ، لنفي
عن الوصف والتعريف .

ولعلني أردت من هذه الكلمة ، أن تكون دمة صامته ، أسفحها بين يدي ذكرى
هذا المجاهد الكريم . (وذلك غاية جهد المقل) .

فرحم الله الدكتور محبوب ، وأسبغ عليه رضوانه ، وجزاءه عن العروبة والإسلام
خير الجزاء .

صفحة من حياة الفقيه

للكاتب المجيد الأستاذ سامي الكيال صاحب مجلة الحديث

من الشخصيات المصرية التي عرفتها البلاد العربية ، وأنزلتها من نفسها منزلة مرموقة — شخصية الفقيه الدكتور محبوب ثابت ، فقد كان رحمه الله ، إلى وداعته وأنسه وعذب روحه وإلى فضله ووطنيته وتجرده من المصريين الأفحاح ، وكان إلى مصريته البارزة عربي الهوى والميول ، وأنساءل بهذه المناسبة : هل ثمة فرق بين المصرية والعروبة ؟ لقد كانت هذه الفروق عند البعض ملموسة بالأمس ، أما اليوم فهما ، في اعتقادي شيء واحد . وقد كان محبوب ثابت ، رحمه الله ، من الذين آمنوا بالوحدة العربية منذ ربيع قرن أو أكثر . ولو كان من شهود هذه الحفلة لاحتج على قولي ورفع عصاه مهدداً وقال : بل قل يا ولدي منذ نصف قرن !

ففي سنة ١٩٢٤ على ما أذكر ، قام برحلة إلى سوريا مع شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا وكانت الثورة السورية لما تنشب بعد ، بل كانت على وشك الانفجار ، واحتقلت البلاد بمقدمهما لمكاتبهما وفضلهما ومصريتهما .. وأخيراً لروح العروبة التي كان ينطوي عليها قلباهما الطهوران . وكان المعروف عن محبوب ثابت أنه مصري قح لانشغاله بالدفاع عن السودان وأنه بعيد عن العمل الواسع في حقل العروبة ، فما كان منه ، في جلسة من الجلسات ، إلا أن صرخ من الأعماق : وهل دفاعي عن السودان يجردني عن عروبيتي ؟ والسودان .. هل هو قطر غير عربي ؟ وكانت مناسبة للتنادر بين الحاضرين ، وقال أحدهم : إن الدكتور محبوب ثابت يزاحم أحمد زكي باشا على مشيخة العروبة في قلب بلاد العروبة ، وليؤكد الفقيه هذه النزعة كتب في اليوم الثاني مقالة طويلة في جريدة « سوريا الشمالية » أوضح فيها أن البلاد العربية من أقصى نيلها إلى أقصى فرائها ودجلتها ، ذات وحدة طبيعية في جميع مظاهرها ، ولو أن الجريدة في متناول يدي لنقلت بعض فقرات من قوله . وأضحت خطبه وأحاديثه لا تخلو من تأكيد الروابط الوثيقة بين جميع أقطار العرب ، وقد ضاق الافرنسيون من زيارة هذين الضيفين لاسيما وقد كان اتصالهما المباشر مع جميع المشتغلين بالقضية العربية ، وكان العمل للعروبة لوناً من الأنم في نظر المسيطرين .

وعاد المرحوم أحمد زكي باشا إلى مصر ، وبقي محجوب ثابت لمرض ألمّ به ، وقرر أن يلحقه بعد أسبوع ، ولكنه ظل ، وقد أبل من المرض ، قرابة عام أو أكثر ينتقل بين دمشق وحلب ، فكان وجوده في بلاد الشام ، والثورة مضطربة ، من الأمور التي أفلقت بال الفاصيين .. ما مقامه هنا ؟ وعلام يكثر الاتصال بالوطنيين الأحرار ؟ وهل ثمة مؤامرات تدبر ؟ وهل تمد مصر الثوار بواسطة هذين الزائرين ؟ .. إلى غير ذلك من تلك الوسواس التي خالجت أذهانهم وضائرتهم ، وفرضت على محجوب ثابت الإقامة الجبرية في حلب ، وكان لا بد من أن يثبت وجوده كل يوم في دائرة الأمن العام الفرنسية ليطمثوا على أنه بعيد عن الحركات الثورية . وفي يوم من الأيام ، وكان كثير الاتصال بإخوانه في حلب ، دُعي لمناظرة مدير الأمن العام ، وما كاد يسأله عن روحاته وغدواته وعن مدى اتصاله بالثورة حتى ضاق بهذه المعاملة التي تحمد من حريته وهو ضيف البلاد .

قال : ويلكم .. وما علاقتي بالثورة .. وقد جئت أروح عن نفسي ..

وأرهقوه بالأسئلة ، ثم أرادوا أن يفرضوا عليه حياة هي السجن بعينها ، فما كان منه إلا أن اتصب خطيباً ، واستند إلى عصاه وأخذ يشرح لموظفي الأمن الفرنسيين عقوقهم لمبادئ الثورة الفرنسية وتكرهم لنزعات فولتير وجان جاك روسو وغيرهم من الأحرار الذين كتبوا المجلدات في شرح المبادئ التي تقوم على حرية الفرد ، وحرية الامم ، فكان صوته يجلجل عالياً في ضائرتهم المريضة ، وراوا فيه رجلاً غير مألوف ..

قال الدكتور محجوب يحدث إخوانه عن هذه الحادثة : لقد كان مدير الأمن العام — وهو شاب وسم الطلعة — رقيقاً معي . وقال : إنا لا نريد إزعاجك يا دكتور ، بل نريد أن نطمئن على أنك بعيد عن الاتصال برجال الثورة .. ثم هدأ من ثورتي وأضافني القهوة بعد أن قدم لي سيجارة ، وسألني كيف أقضي وقتي في حلب ، وهو على علم بأمري ، لأن عيونه كانت تلاحتني آتني ذهبت ..

قلت له : إنني أشرب « الشيشة » صباحاً في قهوة « طبخ فطح » مع صفوة من صحفيي البلد ، ثم أزور بعض الأصدقاء ، وفي المساء أذهب إلى حديقة « الشهبندر » لأستمع غناء عربياً من فيروز — وهي إسرائيلية من شهرات مطربات حلب — فما كاد يسمع مدير الأمن العام حتى انتفض وقال : هذه أيضاً وطنية ، وكان يريدني أن أقضي ليلي في الكاباريهات الأجنبية ..

فما كان مني إلا أن قلت له : أتريدون أن تجعلوا سوريا مستعمرة ، وسوريا بجميع أفرادها وطبقاتها ومختلف مللها ونحلها ضدكم ، إنك يا ولدي — وقبض على ذقنه ليؤكد قسمه — إنك وقومك في ضلال !

وظل نحو سنة في سوريا ، وهو يلاحق من السلطة الفرنسية ، وما زال إلى أن عاد إلى مصر ، وهو يحمل في نفسه مختلف الأفكار ، عن سوريا ورجالها الأحرار ..

ثم تكررت عودته إلى سوريا ، فجاءها مشتركا في المؤتمرات الطبية ، وعلى رأس الفرق الرياضية . فكان هذا الرجل المحبوب الذي ينزل وطنه ويلاقي أهله ، وكان الجميع يأمنون بروحه العذبة ، ونكاته الطريفة وأحاديثه المستلحة التي تمثل الشخصية المصرية الحبيبة إلى كل نفس .

وكان ، رحمه الله ، يهش بلقاء إخوانه الشرقيين الذين يزورون مصر ، ويتفانى بخدمتهم وكان له من سماحة نفسه ما يجعله أن يتوفر على خدمة الكبير والصغير ، وما زرت القاهرة يوماً إلا وسألني عن مختلف الشخصيات التي عرفها في سوريا ، ولا أنسى ليلة من الليالي ، وقد لقيناه في منتصف الليل ، فأكدت أسلم عليه وأسأله عن صحته حتى استوقفتني نحو ساعتين وهو يستعيد ذكرياته الحلوة في سوريا .

لقد قضي حياته في جهاد متواصل .. وكان لا يشكو إلا عقوق بني وطنه نحوه . وسمعه أكثر من مرة يردد بيتي أبي فراس الحمداني وهو يقطع شوارع حلب :

دع الوطن المألوف دأبك أهله وعدّ عن الأهل الذين تكاثروا
فأهلك من أصفى ، وودك من صفا وإن نزلت دار وقلت عشائر

نعم ، كان يردد هذين البيتين بحرقة ويتساءل : كيف ارتقى دست الوزارات من هم أقل منه كفاءة ووطنية وتضحية ؟ وأصبح هو لاشيء في هذه الدنيا . كانت همومه مركزة عند هذا العقوق الذي لاقاه في أخريات حياته . هي مطامع الانسان لا تزال في هذه السخافات حتى يطويه الموت . رحمه الله ، فقد كان من الشخصيات التي تميزت بالكثير من الخصاص النبيلة . وقد انطوى بموته تاريخ حافل بالمكرمات ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنانه .

الدكتور محبوب في المرأة

لفقيه الأدب العربي الأستاذ عبد العزيز البشري

لا شك في أن الدكتور محبوب ثابت يعد بحق في ميراثنا القومي ولو — لا أذن الله — جرى عليه القدر، لكان لابد للامة من (دكتور محبوب ثابت) بأى طريقة من الطرق. نعم هو في ميراثنا القومي، لا يقل عن آتارسقارة، وجامع السلطان حسن، ومقابر الخلفاء، أصبح على الزمان جزءاً من تقاليدنا الأهلية، كحفلة المحمل، ووفاء النيل، وركبة الرؤية، وشم النسيم. ولما فكر المرحوم محمود بك رشاد، في جعل العلم المصري محلى بصور بعض الآثار القديمة، فرعونية وإسلامية، لم ير المصور بداً من أن يرسم بجانب الهرم، وأبى الهول، وجامع برقوق، وحضرة سيدى أبى السعود، صورة الدكتور محبوب ثابت.

والدكتور محبوب في المصريين، كأنجلترا في الأمم، كل منهما يرى عليه للآخرين تبعات لا تنقضى على وجه الأيام!

فاذا كان السلام في النيل، وما عسى أن يجتازه عن مصر خزان مكوار، تولى «الدكتور» السلام وملسكه على جبهة المهندسين! واذا كانت الثورة، تصدر الدكتور لجنة الوفد المركزية، وكلما انتشرت في البلد مظاهرة، كان ناظرتها الدكتور، وكلما ساروا «بضحية حرية» كان الدكتور أول المشيعين، فاذا كان اجتماع في الأزهر، كان الدكتور فارسه المعلم، وعذيقه المرجب، فاذا تمانق الهلال والصليب، استأثر الدكتور من عناق الأب سرجيوس بأكبر نصيب. فاذا وجد دهماء المصريين على الأرمن، وهم بعضهم بايقاع الأذى بهم، طاف الدكتور بعربته «ومكسوينيه» على دورهم فقللهم وعيالهم ومتاعهم وأثاث بيوتهم إلى مأمنهم. فاذا غضب الأروام من أن بعض الرطاع أصابوا منهم، على وهم أنهم أرمن، شخص الدكتور في الركب الحافل الى دار فصلهم، فخطب جمعهم باسم مصر، ومادهم حبال المودة، وعقد معهم باسم الأمة والحكومة أيضاً، فنون المعاهدات. واذا كان جمع الأموال للوفد أغلق الدكتور عيادته «بالضبة» وهاجر إلى قنا، فلبث الأشهر الطوال يجمع ما تحتاج اليه القضية من جليل الأموال.

فاذا كانت مشاكل العمل ، أبى الدكتور إلا أن يتفرد بها من دون الناس جميعاً ، فانتفض نقيماً لعمل العنابر ، ولفافي السجائر ، وسواقي الأوتوميلات ، وشيالى المحطات ، وندل الفنادق والقهوات ، وجميع طائفة المعمار ، وأصحاب الحوانيت من كل بدال وبقال وجزار ، وعمال المطابع ، وكناسى الشوارع ، وصناع الخيم ، ومساحى الجزم ، ولو فكرت طوائف الجرزان ، والسنانير ، وجماعات الجمالان ، والصراصير ، فى أن تتخذ لها نقابات لتمثل الدكتور ثابت فيها خطيئاً ، ثم استوى لها بفضل الله نقيماً .

وفى الحق أن الدكتور يرى نفسه مسئولاً عن كل مافى البلد من هابط وصاعد وقائم وقاعد وغاد ورائع وسائح وبارح ودارج على متن الغبراء ، وسائح فى جوف الماء ، وطائر فى جو السماء . فاذا كانت هناك منطقة خارجة عن اختصاص الدكتور محبوب فبهي عيادته فقط ! ذلك بأنه ليس برجل أثره ، بل هو رجل إثارة ، يعنى من أمر قومه بكل دقيق وجليل ، أما خاصة شأنه ، فلا يعنيه منها كثير ولا قليل .

ولا أحسب رجلاً فى مصر ، ولا فى أنجلترا ، مشغولاً بالسودان شغل الدكتور ثابت (وكان هذا قبل أن ينتخب عضواً فى مجلس النواب) فحديث السوادن يجرى منه مجرى النفس ولو هيء له ، أو لو هيء لك أنت ، على الأصح ، أن تستمع له لحدثك فى شأن السودان ثلاثين عاماً متصلة لا ينقطع ولا يتحبس ولا يتلجلج ولا يتلغم ولا يمل ولا يكل ولا يبطىء ولا يزل .

وللدكتور فى مشكلة السودان نظرية طريفة جداً ، فانه يرى أن كل العقدة فيها إنما هى فى اقناع المصريين وخدمهم بقبوله ، وادخالهم بلا قيد ولا شرط فى ملكهم الخالص ، فهو كلما رأى رجلاً أو امرأة أو صبياً أو وليداً أقبل عليه « يقنعه » فى قوة وحماة بقبول السودان ، وتدفق ماشاء الله أن يتدفق بألوان الحبيج ، لحق مصر فى السودان ، وحاجة مصر إلى السودان ، وما أنفق مصر على فتوح السودان ، ومن أبلى من أبناء مصر فى حروب السودان . ولو أن رجلاً مسح السودان شبراً شبراً ، وذرحه فتراً فتراً ، ما كان أعلم به من الدكتور ثابت . على أنه لم يره ، ولم يزره طول حياته مرة واحدة . وقال له بعضهم يوماً : لقد جعلت السودان شتلك يادكتور ، حتى أصبحت رمزاً فى هذه البلاد ، فهلا زرتة وتفقدت أهله ؟ فقتل عتونه وقال : لا حاجة بنا إلى هذا ، فقد عرفناه وخبرناه ، ولا أدرى أكان هذا من الدكتور ورعاً أم كسلاً !

ويظهر أن الدكتور ظن بعد لأى أن المصريين غير مقتنعين بضرورة « أخذ » السودان فشحخص إلى سوريا ليقنع أهلها بضرورة « أخذ » المصريين للسودان ! فقد بلغنى أن ذلك كان حديث الدكتور هناك فى مساءه وصباحه وغدوه ورواحه ، وموضوع مفاهاته وأسمااره فى مقامه وتسياره .

ورأى الدكتور فى « أخذ » السودان أبداع من رأى ذلك الفلاح المسكارى ، إذ قال لآخوانه يوما : كيف لآتهئوننى ؟ فقالوا : بماذا ؟ فقال : بأننى سأزوج بنت السلطان ! فقالوا له : وهل قضى الأمر ! قال : بل نصفه ، فأنى وأبى قد رضينا ، ولم يبق إلآهى وأبوها ! أما الدكتور — أعزه الله — فإنه لا يرى بين المصريين ، وبين أخذ السودان ، كمالا بلا قيد ولا شرط ، ومن فوقه ملحقاته ، وملحقات ملحقاته ، إلآ أن يرضوا هم ! وقد قلت له يوما : ألا جعلت بعض همك إقناع الانجليز أيضا بترك السودان لآصحابه المصريين ؟ فأجابنى بكل قوة وثقة لا ! مايقولوش حاجة ! !

حقاً إن هذا الرجل أمة وحده ، وإنه لعبرى لا يتدلى إلى منطق الناس وأسباب تصورهم ، فإن له قياسه وتقديره ، وله منطقته وتفكيره ، وله أسلوبه ونديره ، وأظهر صفاته فى هذا الباب أنه لا يحفل بما يسمونه الواقع كثيراً ولا قليلا ، فحسبه أن يشتهى الأمر فيقدره واقعا ، أمكن ذلك الأمر أو استحال ، ومثله من تخيل ثم خال . ولقد كان فى سنة ١٩٢١ يسعى جاهداً فى أن ينتظم عضواً فى الوفد المصرى ، وقد وسوس له شيطان من الإنس بأن عدلى باشا فكر فى تعيينه مستشاراً فى الوفد الرسمى ، لولا أن انتهى إليه أن سعد باشا سيلحقه بالوفد المصرى ، فكان جوابه على الفور : ما فيش مانع ياسيدى ! وهكذا طمع الدكتور فى أن يكون عضواً معاً فى الوفدین المتقاتلين سنة ١٩٢١ !

وأذن الله ودخل الدكتور فى الوفد المصرى ، طبعة ثالثة ، أورابعة ، بعدما عصفت القوة بحجة رجاله سنة ١٩٢٢ ثم بدا له لأمر ما أن « يشلحه » فكانت تخرج النداءات والمنشورات مبهورة بتوقعات رجال الوفد ، وليس اسم الدكتور فيها ، إذ الدكتور مصمم على أنه ما برح عضواً فى الوفد يلتمس « لعضويته » المعاذير بأنه ربما دعى للتوقيع فغاب أو أرسل إليه فلم يبلغه الكتاب على حد قول الشاعر :

نحن قوم إذا دعينا أجينا وإذا ننس يدعنا التظ...
ونقل علناً دعينا فغبنا وآنانا فلم يجبدنا الرسول

وظل الدكتور برغم طول المدى وذبوع الأخبار « بشلحه » مصمما على أنه ما زال عضواً في الوفد . وقد جادله بمحضري في ذلك قوم ، فكانت كل حجته أن محمد اقدى كذا قابله يوماً ، خياه وقال له : « يعني ما حدث يشوفك يادكتور؟! » ومحمد اقدى هذا يزور السيد حسين القصبي أحياناً ، فلا بد أن يكون سمع هذا من الوفد ، فكيف تزعمون بعدها أنني لم أبق عضواً في الوفد :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

ومن أظرف نوادره ، أنه في غيبة الرئيس الجليل ، حدثت بينه وبين بعض رجال الوفد جفوة ، فانقطع عن زيارة بيت الأمة ، ف قيل له : إن السيدة أنيسه الرشيدى نازلة بدارك ، وهى تستقل كل يوم مركبتك إلى بيت الأمة ، والناس كلهم يعرفون « مكسوينى » وإنهم ليرونه هناك ، فلا يشكون فى أنك الزائر ، فقال : لقد نهبنا على الأوسطى « على » إذا نزلت السيدة أن يقف على الرصيف الثانى احتجاجاً .

وكانوا يرشحون لمناصب المفوضين والمناصل ، لتمثيل مصر فى البلاد الاجنبية ، فتقدم الدكتور ، ف قيل له : ولكنك حذقت الطب ، أما التمثيل السياسى فثىء آخر ، فقال : ومن أخبر به منا يا ولدى ! ولقد عجناء وخبزناه ، فقد كنا فى (جنيف) وكان يجلس معنا أحياناً على بعض قهواتها سكرتير قنصل انجلترا ، وتناول الشاى معنا مراراً .

والدكتور محجوب ثابت ، عريض الألواح ، بعيد مدى العظام ، لولأن فى جسمه رهولة أميل إلى الطول ، فأذا مشى خلته أحذب ومابه حدب ، ولكنه انحناء الظهر من ثقل التبعات ، لا من ثقل السنين ، عريض الجبهة ، إلا أن أسفل وجهه أعرض من أعلاه ، يرسل سبلته وعشونه وشعر عارضيه فى هيئة لطيفة مقبولة ، وله عينان رقيقتان ترتسم ، فى يياض كل منهما دائرة تحيط بدائرة ، حتى تنتهى إلى إنسانها ، وهما دائماً الحركة والاختلاج ، وهو بعد طيب القلب ، مكفوف الأذى ، عذب الروح ، حلو الحديث ، ضحوك السن ، يتحري فى قوله غريب اللغة ، ويلتمس الشاهد من مآثور شعر العرب ، وقد يحجى به أحياناً مكسوراً غير مترن ، أما قافاته فحدث عنها ولا حرج . جزت بداره مرة ، فرأيت بنتين صغيرتين تتلاعبان ، فقالت إحداها للآخرى : هذا بيت الدكتور . فسألتهما : ومن الدكتور ؟ فقالت لها : ألا تعرفين الدكتور الذى يقول يابنت هاتى القبرة ! (الابرة) .

وفيه ذكاء حاد ، يديم القراءة والنظر في الكتب ، وكأنه يحفظ بظهر الغيب كل ما يقرأ .
تعرف هذا من علمه الواسع ، الذي يكاد يستغرق كل مافي الدنيا وكل أسبابها ، إلا أن علمه
مع الأسف يختلط ببعضه ببعض ، حتى ليخيل إليه أن رأسه « كتيخانة مدشوتة »
ولوقد ملكت أمره ، وكانت لي بسطة في المال والسلطان ، لدعوت بمشترق ألماني فني ،
لينظم هذه المكتبة العظيمة ، فيضم كل شكل إلى شكله ، ويجمع كل جنس إلى جنسه ، ويرد
كل معنى إلى بابيه ، ويصف كل فن في « دولابه » .

ومن أخص صفات الدكتور ثابت ، أنه لا يكاد يشعر بمرور الزمن . وإذا كان من آية
يوشع ، أن الشمس رجعت له مرة ، فإن من آية دكتورنا عند نفسه ، أن الشمس تثبت له موضعها
على طول الزمان ، فأنت إذا دعوته ليتناول الغداء معك أقبل عليك الساعة ٥ بعد الظهر
حتمًا في غير ودع ولا اعتذار . ولقد دعاه صديق لي وله ، لتناول الإفطار في رمضان ، ولبتنا
نتنظره برهة ، فلما أيسنا منه أفطرنّا ، وفي نحو الساعة الحادية عشرة أقبل الدكتور مشمرًا
للغطور ، وما كان أشد دهشته « يقينًا » إذ علم أننا أفطرنّا من أربع ساعات ، فانطلق يزجر
و « يزوم » ويعتب ويلوم !

ومما يذكرك للدكتور في هذا الباب أنه ما أدرك قط القطار ، الذي يعتزم السفر فيه ، حتى
تقرر عند جميع أصدقائه أنه إذا آذنهم بالسفر إلى بور سعيد في قطار الساعة ٧ صباحا
شخصوا إلى المحطة لتوديعه في قطار الساعة ١١ وإذا آذنهم بالسفر إلى الاسكندرية في قطار
المفتخر ، كانوا في وداعه بقطار الساعة ٧ مساء .

وسافر مرة إلى الاسكندرية لوداع الأنسة ستياموير الصحفية الأمريكية ، وأخذ
تذكرة للذهاب والاياب ، على أن يعود من يومه ، فلبث هنالك قرابة شهرين ونصف شهر .

ولو قد ذهبنا نعدد لطائف الدكتور محجوب وبدائعه ، لما اتسع للحديث مثل
هذا المقال ، وإنه ليجميل بنا في موضع الانصاف ، أن نقرر أن الرجل شريف النفس ، غفيف
الحبيب ، جمع للنهضة المصرية من مديرتي جرجا وقنا ، قرابة خمسة عشر الف جنيه ، أبلغها
كلها محلها ، لم يقطع منها درهما واحدا ، حتى ولا لأجرة القطار ، وسائر نفقات السفر ،
وهي غير قليلة ، فضلا عما احتسب عند الله من خراب الأجزخانة ، ودمار العيادة ، وفرار
الزبان ، وسرقة شبايك الدار .

وهو لا يعمل الدرهم ، ولا يجري وراعه ، أما إذا سقط الدرهم إلى جيبه ، فلا إلى رجبي ، فنتله في ذلك مثل المصيدة ، لا تجرى وراء الفار ، فإذا سقط إليها الفار ، فهيهات ليس له منها فرار ، وله في هذا الباب أحاديث مذكورة ، وأفاكيه منشورة .

وبعد ، فالدكتور محبوب ثابت ، أمة وحده ، بما اجتمع له من الصفات ، وما احتشد لديه من فنون المعلومات ، وما تكسده عليه من ألوان التبعات ، وهو إذا اعتبر لنفسه حق التحدث عن كل شيء ، والدخول في كل دقيق وجليل من شئون البلاد ، فقد وجب بازاء هذا ، أن يكون لسكل مصرى فيه نصيب ، وإنى لأقترح على الحكومة أن تصدر قراراً بنزع ملكيته ، وإضافته إلى المنافع العامة ، ولعلها بعد العبر الطويل تجمله من نصيب دار الآثار ، حتى يظل رمزاً لتلك العبقرية الفريدة على طول الأعصار .

الدكتور محبوب أيضاً

« مقتبس مما نشر بجريدة السياسة اليومية »

« في احدى ليالى رمضان ، بمناسبة حملة الكشكول »

« على الدكتور محبوب »

وإن الحديث ليحلو دائماً في الدكتور محبوب ، راسباً في الانتخاب ، وعضواً في مجلس النواب ، كما يحلو فيه ملحاً في طلب السودان ، ومشغولاً عنه بالكلام في السباط والخوان ، وأنى لأوفر هذا الحديث ، على عتاب صديقي صاحب الكشكول ، على قسوته هذه الأيام على الدكتور ، وإغلاظه القول فيه في بعض الأحيان . والأستاذ فوزى يداين صاحبه بقسط كبير من نجاحه في الانتخاب ، فلقد طالما أيده بشديد القول في جريدته القوية ، كما آزره بشخصه في الاسكندرية ، إذ حزبه الأمر ، وأعوزه النصير .

والأستاذ إنما ينقم من الدكتور ، انه حين استوى على كرسي في مجلس النواب ، تكرر لسانه في شدقه وتقبض ، فلم يعد يهتف بالسودان ، ولا بملحقات السودان ، ولا بشيء مما كان يبنى به ناخيه ، ويصدع به رموس المختلفين إلى « صولت » وقهوة الشيشة ، ونقابة العمال ، ومطعم « الكوارع » وحلوانى محطة الرمل ، والمترددين على عيادته من كل أرمذ العين ، ومضروب بالفالج ، ومقروح الكبد ، ومن خرج به جرب أو برص ، وشاك مرض القلب وخفقانه ، أو وجع الضرس وضربانه ، ومصدورة تدارك بالعلقة زفيرها ، وما خض

علا صياحها وزجيرها ، وحين أظفده ناخبوه بمقام النيابة ، نسي وعوده المعالجة ، بالسمن والعسل ، وخفر عهوده لأهل مينا البصل ، وترك حديث السودان في مجلس النواب ، وأقبل على حديث الكنافة والكباب ، وترديد ذكر الفطائر المدخوة ، والقطائف المحشوة ، والدجاج والسكايبج ، والدراج والطهايبج ، واللحمان المحمرة (والطواجن المعمرة) وكل ما يعالج بالسمن أو بالزيت ، وما يصنع في السوق وما يطهى في البيت .

وما خفر الدكتور بالذمة ، ولا خاس بهمد الأمة ، فأنما كل هم الدكتور ، كان من أمر السودان أنه يقنع المصريين بضرورة أخذه ، وقد سعي الرجل في هذا ودعا ، ولبت في دعوته تيك سنين طوالا ، لا يكمل ولا يمل ولا ينقطع ولا يحتبس ولا يتعق ولا يعثر ولا يسكن ولا يفتر ، حتى إذا آتت دعوته أكلها ، واقتنع المصريون كلهم « تقرياً » بأن السودان ضرورى لهم ، وبأنهم لا غنى لهم عن ماء النيل ، شمر ذيله وطار إلى سوريا وظل دهرأ يخشى فيها دعوته ، حتى إذا آمن السوريون كذلك بأن السودان ضرورى للمصريين عاد فأمسك عن القول في السودان ، وملحنات السودان ، وما له يقول فيه بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ولو كنت لعمري مكانه ، لطلبت إلى الامة إحالتي على المعاش وأثبت في بطاقة زيارتي :

الدكتور محبوب ثابت

مطالب بالسودان سابقا ، وعضو مجلس النواب حالا

وحسب الرجل خدمة للأوطان ، أن أقنع المصريين بحاجتهم إلى النيل ، وحاجتهم إلى السودان و « الوطنية » كما تعلمون فنون ، ولله في خلقه شئون .

الدكتور محبوب كما عرفت

لصاحب العزة الدكتور محمد مصطفى الفلكي بك

سبق أن طلبت لجنة الاحتفال بتخليد ذكرى الفقيه كلة من حضرة صاحب العزة الدكتور محمد مصطفى الفلكي بك عميد كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ليتوج بها هذا الكتاب لما بينه وبين الفقيه من روابط وثيقة . ونظراً لانهماك عزته وكثرة مشاغله المتعددة في امتحان طلبة الكلية ، فقد وردت الى اللجنة هذه الكلمة القيمة بعد فوات الوقت وقد وضعت في هذا المكان ، ونحن نكرر الشكر لعزته على ما تفضل به .

عرفت الدكتور محبوب بك أول ماعرفته بالجامعة الأهلية ، وكان ذلك في سنة ١٩٢١ . ذهبت ذات يوم ، وأنا طالب بمدرسة الحقوق إلى هناك ، لأستمع إلى محاضرة كان يلقيها في الطب الشرعي ، وكان يمد لموضوعه بمقدمة في وظائف أعضاء جسم الانسان . وكان درسه في ذلك اليوم يدور حول الدورة الدموية ووظيفة القلب . فأخذت أستمع إليه وهو يترسل في سرد المعلومات الطبية في عبارة طليقة جذابة وبهوت من صلابة الدرس ، بفيض من الأدب الرائق ، والفكاهة الحلوة ، يوشى به درسه فيجذب إليه أستماع الحاضرين وأبصارهم . وسمعت يقف حيال ذلك القلب ويعجب من أمره ويقول : أليس من العجيب أن ذلك العضو الذي يغذى سائر أعضاء الجسم بالدم فيبقى فيها جذوة الحياة متقدة يأتي إليه الدم من الخارج !

كالعيس في اليباء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

استمعت ذلك اليوم إلى ذلك الدرس ، فأعجبت بالدكتور محبوب بك كالم واسع العلم ، وأديب مرهف الحس ، دقيق الشعور ، يمزج بين العلم والأدب ، في دقة الخير ، ومهولة الثبت المتمكن .

ثم دارت الأيام وعينت مدرساً بكلية الحقوق للقانون الجنائي . واختلطت بالدكتور محبوب ، وتحدثنا في مناسبات عدة في موضوعات شتى حول الاجرام والمجرمين ، فلمست

اطلاعه الواسع ، وإلمامه الغزير بفروع علم الاجرام ، وعلم النفس الجنائي ، وطبائع الجناة .
ومن يرجع إلى مقالاته التي نشرها بمجلة القانون والاقتصاد في هذه الموضوعات لا يسعه
إلا الإعجاب بهذا العالم الجليل .

ولست أنسى يوم أن حضر إلى القاهرة في سنة ١٩٣٧ العلامة الكبير الأستاذ دنديه
دى فابر أستاذ القانون الجنائي بكلية الحقوق بجامعة باريس وقدمت اليه الدكتور محبوب بك
ثم زرنا إصلاحيّة الأحداث بالحيزة سوياً ، وأخذ الدكتور محبوب بك يفحص بعض أبناء
الإصلاحيّة ، ويبين النوع الانثروبولوجي الذي يدخل فيه كل منهم ، ويبين لنا العلامات
المعيّنة بهم ، والتي تدل على نوعهم وبالتالي على ميولهم ، ويفيض في هذا الصدد في إسهاب
جعل الأستاذ دنديه يشد على يديه في حرارة وبهتة وبهتة مصر باتّاج مثل هذا العالم
الجليل النابغة .

ولست أنسى يوم أن دعاني لحضور درس له بمعهد العلوم الجنائية بكلية الحقوق ،
وكان الدرس يدور حول أثر الشذوذ الجنسي عند بعض المجرمين . لقد تجلّى أمامي في ذلك
اليوم دائرة معارف من علوم الطب والتاريخ والأدب ، وأصول اللغات ، وعلم النفس والقانون
وغير ذلك .

رحمه الله رحمة واسعة . لقد عاش بعلمه ولم يحفل بسفاسف الدنيا وماديّاتها ، التي يتكالب
الناس عليها ، فحسرت مصر بفقدته عالماً فذاً ، وشخصية منقطعة النظير .

محبوب ثابت كما عرفت

للاستاذ عبد الوهاب على^(١)

تظهر على مسرح الحياة شخصيات تؤثر فيك حينما تطلعك عند النظرة الأولى تأثيراً قوياً ، فتظل ذكرياتهم عالقة بك ، كأنهم يطالعونك بأشخاصهم وكلماتهم ونظراتهم من ورائها معها طال أمد البعاد بينك وبين أصحابها .

ومن هذه الشخصيات ، المغفور له الدكتور محبوب ثابت بك ، رأيت أول ما رأيته بمقهي نلسن ، وكان هذا المقهى مثابة للأدباء والفضلاء وأهل الرأي يومئذ . وقد جاء الرجل إلى الاسكندرية مرشحاً نفسه للنيابة العامة عن إحدى دوائرها أمام مرشح الوفد ، والوفد في عنفوان سطوته ونفوذه وقوته ، ولعل ذلك كان عام ١٩٢٧ على ما أذكر ، فتوثقت بيننا عرى المحبة والصداقة ، وناصرته في دعايته الانتخابية ، كما ناصرته الاسكندرية كلها ، فناز على منافسه فوزاً ساحقاً ، على الرغم من أن هذا المنافس كان متسلحاً بأسلحة النفوذ والجاه والمال والوفد . فكان هذا الفوز العجيب ، من أغرب ما عرف في تاريخ الاسكندرية الانتخابي في هذا العصر ، وهي التي كانت تعد من أقوى حصون الوفد الانتخابية وأمنعها ، حتى انصرفت إليها لما أطلقت كلمة المرحوم الشيخ مصطفى القاياتي وقد جاءها داعياً لأحد رجال الوفد : « لو رشح سعد حجراً لا نتخبناه » .

ومن الذكريات التي لا أزال أذكرها للفقيد الراحل ، أننا كنا في طريقنا إلى حفلة انتخابية كبرى ، عشية يوم الانتخاب الأخير ، فاعترضنا شاب أديب ناعياً على الفقيد إصرافه في استعمال (القاف) ، فقال لي الدكتور غاضباً « اقمعد فإن القوم يحاولون أن يقبضوا على أعناقنا ويأخذونا من مآمتنا . . » ، ثم جلس ساعة يجادل الشاب ويحاجه في هذا الشأن . وكان مما قاله ، وقد هدرت شقاشق ارتجاله : إن رجلاً لاحظ على المتنبي هذه الملاحظة ذاتها وقبض عليه متلبساً بهذا البيت :

أرق على أرق ومثلي يارق
وجوى يطول وعبرة تترقق

(١) مكاتب المطعم الاسكندري .

فجلس إليه المتنبي وكان يهم بالرحيل الى امر جلال ، كما جلست إليك أنا (يعني الدكتور نفسه) وقرأ عليه قوله تعالى « وائل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك . قال إنما يتقبل الله من المتقين » . فهل ذهبت هذه القافيات المترادفة بجلال كلام الله وروعته ؟

أما أنا فقد رأيت — وقد طال الجدل بين الدكتور وبين الشاب — أن أحسم الحديث مخافة أن يتفرق شمل الناهخين ، وتصدع أركان الحفلة ، فقلت حسبك يا سيدي ، فهذا حديث غر لا يدري شيئاً من أسرار الحياة وتجاريها ، وإلا فأين هو وأين أنت وأين المتنبي من قول مغنينا العصري ، وقد التزم حرف القاف في كل كلمة من كلمات هذا الموالي ومقاطعته !

قالوا القنا قد قدك قلت فاق بقراط ورحيق ريقك عقيقه طب فاق بقراط
يا قاتلي رق انا قلبي شقيق قطقاط قوته الأرق والقلق لم يرقد الليل قط
والعشق قاسى كلقط الذقن بالملقاط

فصفق الدكتور طويلاً ، ثم مضينا إلى الحفلة الاجتماعية فخطب خطبة لم تخل كلمة منها من القاف ، وأثار عاصفة من الضحك والمرح ، لعلها كانت من أسباب فوزه .

عزمِصراً

للعلامة الأستاذ الشيخ سليمان طاهر
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

عزمِصراً - لا روع الله مصراً -
حجب الرب منه عن ناظرها
كم تحت في ضيائه ليل هم
فقدت منه ماجداً أليماً
فقدت منه يوم تستفحل الأد
والمؤاسى ما عنه يعجز آس
وهو لم يلقه على كل حال
علماً إنما الحياة طريق
فمن الجهل أن يشاك بهم
يكشف السر بالبداهة إن حا
مله برديه فطنة وذكاء
صحب الدهر وهو خفة روح
حجة الكينس الذي لم يغير
يتلقى عبوسه بابتسام
ويداوى شأن الحكيم قضايا
لم يفارقهما رزاياه جات
ما استلانت مصاعب الدهر والأ
ما اشتكى قط من تلون دهر
ما يصيب الكئيب من فرص العم —
بالأغر ابن ثابت محبوب
طلعة البدر جانحاً للغروب
وجلت فيه غمة المكروب
نافذ الرأي في صميم الغيوب
واء والمعضلات أى طيب
حاذق للزمان كل ندوب
قد تبدى به بوجه قطوب
للمعالى والفوز بالمرغوب
وتمى منه الصوى بالكروب
ر بادرا كه أخو التجريب
ومضاء يقل غرب الخطوب
الدهر في ظرفه وفي التهذيب
منه خلقاً تلون المصحوب
وتصاريفه بصدر رحب
ه إذا أشكلت بحزم الليب
مرح العيش واحتمال الأرب
يام إلا للأريحي الطروب
بينه بكل لون غريب
ر إذا لم يدع شعار الكئيب

لم يكن قط بالغا ذو هموم داهن العزم من مدى مطلوب
 لا تلين الصعاب إلا لمن لم يتجهم لهول يوم عصيب
 بين محجوب الحكيم وبين الروح سر ما كان بالمحجوب
 كم لها من حديثه نشوة الرا ح لحاس ورقة التشبيب
 ولرجع من صوته نعمة العو د وتلقى الغنا عن العندليب
 يتحلى بمنطق وبحلم وبفكر للغائبات مصيب
 إن تحلى سواء في متع الع يش ومالات من رداء قشيب
 ايه محجوب ما حدث زماناً لم يكن ملتقاك فيه نصيب
 لم يمكن لي من لقائك حياً مذ قضى لي به بصدر المغيب
 وشجاني أني أناجيك ميتاً برثائي لا من مكان قريب
 ذاكراً بالجميل رهطاً بمصر زينوا مصر بالوفاء العجيب
 بلد العلم والذكاء وفارو ق المفدى المعظم المحجوب
 قد رعى العرب والعروبة منهم فيك والعهد كل حر حبيب
 وبذكراك قد أعادوا عكاظاً عامراً سوقها بكل أديب
 ينظمون الأسي عليك قريضاً صنع من أحر أضلع وقلوب
 مثلما ينثرون در دموع من جفون مهلة الشؤبوب
 قدس الله أعظماً دفينوها منك محجوب ثابت في الكتيب
 ما أنا طالب له بعد سقيا الن ل سعي من بنت مزن سكوب
 البطية — جبل عامل لبنان

مات الصديق الوفى

لأستاذ صاحح البهمنساوى

فوجىء المصريون بوفاة المرحوم الدكتور محبوب ثابت . المجاهد القديم والوطنى الشجاع ، ذلك المجاهد الذى بدأ كفاحه فى حرب طرابلس ضد الايطاليين ، فلما قامت الثورة المصرية انضم اليها وهى فى فجر شبابها ، وسافر إلى الصعيد عام ١٩١٩ فجمع للوفد المصرى ١٨ ألف جنيه وأودعها فى بنك حسن سعيد باشا .

وكان محبوب — فى أثناء الثورة — يتولى نقل الجرحى فى عربته المشهورة ، يقودها جواده « مكسوينى » الذى خلده شوقى بقوله :

أدنيا الخيل يا « مكسى » كديننا الناس غدارة ؟
ثم شرد محبوب ونفى إلى « المحاريق » مع بعض أقطاب الوفد ، واعتقل بعد ذلك فى قصر النيل ، فلما انتهت هذه الفترة تولى زعامة العمال مع المرحوم محمد كامل حسين الحامى . وكان الزعيم سعد يقربه إليه ويداعبه ، ولا يهدأ له بال إلا إذا كان بجانبه بيت الأمة ، ولما انتظمت الأحوال اتخذ محبوب مستقره فى « صولت » القديم فى شارع فؤاد الأول . ويجادل دولة النقراشى باشا ، والمرحوم شوقى ، والمرحوم داود بركات ، وكثيراً ما قامت بينه وبين أصدقائه خصومة عنيفة شديدة من جانبه ، ولكنها موفورة الرعاية والمرح ، من جميع نواحيها ، وكان إذا ماترك صولت إلى قهوة الشيثة ، يذهب الجميع إليه لاسترضائه ، فيعود معهم ويمشى على قدميه مع دولة النقراشى باشا إلى بولاق ، حيث كان يقيم دولته ، ومن هناك يعود إلى « الأهرام » ليقضى بقية سهرته .

ودارت الأيام ومات « مكسوينى » فحزن عليه الدكتور محبوب حزناً شديداً ، ثم اشترى سيارة أوفرلند « نصف عمر » فحياها شوقى قائلاً :

لكم فى الخط سيارة حديث الجار والجاره

ولم يفقه أن يعزیه فی مکسوینی بقوله :

عزاء یا أبی مکسی وإن لم تبثس نفسی

وكانت سيارة محجوب فريدة في السيارات ، فهي ليس لها فقير ولا (جلاكس) ،
ولذلك كان يأمر سائقه بأن يصفق بيديه عند مفترق الطرق لينبه المارة ؟ !

وفي أواخر عام ١٩٢٦ كان سعد رئيساً لمجلس النواب ، وخلت دائرة مينا البصل
في الاسكندرية ، وانقسم الوفد فريقين ، فريق يرى ترشيح الدكتور محجوب ثابت ،
وآخر يرى ترشيح الأستاذ عبد الله عمار ، وكان السيد مرسي بك لا يناصر ترشيح محجوب
ونشر نداءات ضده ، فهاج الدكتور وماج ، وقابل سعداً ، وهو على هذا الحال من الغضب
والهياج ، وقد هدأه سعد رحمه الله ، وصرح بأن هذا لا يرضيه ، وأن محجوباً وفدى
صميم ، ولا يشك إنسان في وطنيته .

ونجح محجوب ، وكانت له في مجلس النواب صولات وجولات ، فلما انتهت نيابته أراد
أن يرشح نفسه مرة أخرى لمجلس النواب فأخفق ، وواساه شوقي قائلاً :

ومن النواب أن تكو ن يمثل هذا الجمع نائب

وفي السنوات العشر الأخيرة اهتم محجوب بناية الخدمة العامة ، وإدخال التدريب
العسكري في المعاهد والمدارس ، فوفق لذلك توفيقاً كبيراً ، وكانت الحكومات المتعاقبة
لا تصفه ، حتى ولى النقراشي باشا رئاسة الوزارة ، فكافأه وعوض عليه الخسارة التي لحقت ،
ولكن لم تمض أسابيع حتى جاء أجله .

ولعل واجب الانصاف يقتضي أن نذكر أن صاحب الدولة محمود
فهو النقراشي باشا ضرب المثل الأعلى في الوفاء ، ذلك لأنه لم يكذب بطلع على نعي صديقه
المغفور له الدكتور محجوب ثابت ، حتى بكاه ، واتصل بصاحب العزة محمود غزالى بك مدير
الأمن العام ، وقال له :

« لقد مات محجوب ، وليس له أحد سوانا ، فيجب أن نعى بجنازته ، وأن تكون
لائقة بقدره ومكاته ، فنكرمه في مماته ، كما كان مكرماً في حياته » .

وعلى أثر ذلك ذهب غزالى بك إلى دار الفقيد ، حيث قابل السيدة الجليلة شقيقته ، وأبلغها أن دولة النقراشى باشا هو الذى سيتولى كل شيء ، وليس لكم أن تفعلوا شيئاً ، فقد أمر دولته بأن يقام سرادق للمشيعين فى ميدان الاسماعيلية وسرادق آخر أمام عيادة الفقيد فى السيدة زينب .

ليس هذا فحسب ، بل ان أحد كبار الموظفين استقهم من دواته عمن ينييه عنه فى تشييع الجنازة فادره بقوله :

هل يصح أن تقول هذا ، وأنت تعرف علاقتى بمحجوب . فكان دولته فى مقدمة المشيعين ، وكان يتقبل العزاء بنفسه عند الجامع ، ثم استقل سيارته إلى المدفن ، حيث قام بتوديع صديقه فى مقره الأخير ، وكان مما لاحظته حيدر باشا صديق الفقيد أن المقبرة من غير « تركيبة » فتعهد باقامتها .

وبذلك كان النقراشى باشا مثال الوفاء والنبيل ، وكان نعم الرجل الذى لا ينسى أصدقاءه ، بل يضم إلى حق الصداقة ، واجب التقدير لجهود محجوب فى الحركة الوطنية ، وما أداه لبلاده من جلائل الأعمال .

موت الأحيبة غربة

لأستاذ حسين البابلي بك

كان محجوب روحاً حلوة شعشاعة . وهل يملك قلم أن يصور نوراً ..

كان محجوب قسماً من نور الوطنية .. وكان إنساناً يمثل الإنسانية في أتم معانيها ..
فسكن من الناس تم الشفاء على يديه .. وكمن من البيوتات الفقيرة كان عائلاً محجوباً .. وكمل له
من صيحات في البرلمان وفي خارج البرلمان .. صيحات الحق أو هي جلبة الحق ..
صيحات المطالب أو قل هي دوي المطالب .. من أجل مصر .. وفي سبيل مصر .

وكان — رحمة الله عليه — فيلسوفاً . وكان أدبياً . وكان خطيباً . وكان حكيماً ..
وفي الطب إماماً .. وفي البيان من الأعلام .

كذلك كان محباً « للكتبة » محبب الذاكرة .. حاضرالذهن .. وكان معظم الكبراء
من المصريين ينظرون إلى محجوب نظرة المحبون .. وبالكثير من ملاحظاته يستهزون .
بينما كانت لمحاته في صميم الحق ، فما عرف غير الصدق في القول والاخلاص في العمل .
كان — رحمة الله عليه — يسكن بيتاً قريباً من بيتي . وطالما شرفني بزيارته . وقيل
وفاته بأسابيع كنت أزوره يومياً بسبب مرضه .

وأذكر في يوم ما أتى حملت إليه بشرى تسوية معاشه . فإذا أجابني ؟ حدثتني دموعه
من عينيه الضريرتين .. نعم الضريرتين فإن محجوب فقد بصره إلا قليلاً قبل أن يرحل
إلى الدار الباقية .

حدثني قال : « أنا شاكر للنقراشي باشا ماصنع من جميل لي .. ولكن أين أنا
من بصرى .. أين أنا من عافيتي وقد عفت . إني أشعر بأستاذ بابلي أتى راحل عما قريب » .
وقد رحل فعلاً بعدئذ بأيام . وكان أن اهتم النقراشي باشا اهتماماً شخصياً بتشجيع جنازة
المغفور له محجوب .. جزاه الله خير الجزاء .

وطالما استمعت إلى رأيه عن شباب الجامعة ، قال :

عاصرت جيلين . جيل الجامعة المصرية ، وجيلها الحديث . وستان بين الاثنين .. جيل التريث . والتحفز . والتطلع . جيل احتضنه سعد زغلول . وخصه برعايته وعنايته وإعجابه ونزل عند رأى الرجل العظيم . جيل خضع للشورى . جيل كان يتعلم في كل مكان ، ويقبل على العلم إقبال الجوعان ، فكان طلاب مدرسة الحقوق ينزحون عنها في المساء إلى الجامعة المصرية القديمة فيكملون نقصهم منتسبين للعلم فحسب .. أما جيل اليوم ، فجيل كل طالب فيه سياسى كبير ، ورأيه في المسائل العامة أبرز الآراء . انظر إليه تجده مغروراً إلى حد الافتخار . جيل يبرز مع كل ناعق ، يتناول المسائل دون تفكير أو تمحيص ، مدعياً العلم وليس له بالعلم قرابة ولا نسب . لا يحترم أستاذه ، لأن العلم عنده شىء ثانوى ، لذلك فقد الأساندة احترامهم ، وانقصت العروة الوثقى بين الطالب وأستاذه .. بالسوء طالع جيل لا يحس نفسه ولا يعرف قدره .. ستان بين الجيلين ، والحق على ما أقول شهيد .

محجوب ثابت ...

هذا الامام فى الطب والبيان ، فقدته مصر والسودان ، وفقده الأهل والاخوان .
هذا الحكيم الذى كانت تشع منه العظة ، والذى طالما فاض قولاً حقيقاً ، وكأنه أسد يزأر .
هو المؤرخ . هو الراوية . هو الوطنى . هو العالم العلامة . هو منكر الذات . هو محجوب ثابت فى كلمات .. والله ليس كمثلته إلا القليل .. والرجال فى الدنيا « قليل » .

قال سيدنا على : « موت الأجابة غربة »

وكم مات من أجبائنا ، ومنهم العزيز محجوب ، فكم نحس بالغربة من بعده !
ولكنها فى القلوب دائماً ذكراه ، والجنة باذن الله مثواه .

الدكتور محبوب البرلمانى

للدكتور محمود دياب

فاز الفقيه العزيز على منافسه الأستاذ عبد الله عمار بك المحامى فى انتخابات سنة ١٩٢٧
بثمانية أصوات ، وكتبت الصحف تقول إنه سيكون فى المجلس من خيرة النواب العاملين ،
واستقبله الأستاذ فكرى بك أباطه بتحية حارة قال له فيها : « علمت أن اللورد لويد قدم
طعناً فى انتخابك وأنه سيضم مسألتك إلى تصريح ٢٨ فبراير — وإلى اللقاء فى صولت —
وتعال نسمع صوتك عن السودان فى البرلمان ، فقد شعبنا من بذرة الفطن وفتح مكتب
صحبة ... الخ »

جهاده فى البرلمان

وفى يوم ١٧ فبراير بدأ الفقيه كلامه عن الطب العسكرى .
وفى ٩ يونيه تكلم عن المستشفيات المتنقلة وغير المتنقلة ، ومراعاة الطفل ، وقد عطف
على العمال الفقراء ووجوب العناية بصحة أطفالهم ، واستطاع أن يصور قضيتهم تصويراً بديعاً .
وفى ٣٠ يونيه سأل مدير الجامعة :

« أريد أن أسأل عن السبب الذى من أجله ألغيت وظيفة مدرس الآثار المصرى .
لأنهم مطلقاً أن يتقدم أمريكى ، ويعنى بدراسة آثارنا ، ونحن فى نفس البلد ، ولا نبذل كل عناية
للبحث عن آثارنا ، ويدنا لا يد عمرو . وأن يكون مع دراسة اللغة السريانية مقارنة باللغة
السامية واللغة الحبشية . فاللغة الحبشية تربطنا بها روابط وثيقة من أقدم عصور التاريخ ، فريس
الكنيسة القبطية هو الرئيس الكلى عند امبراطور الحبشة ، وبيننا وبينها علاقة جوار
فى السودان وعندها منابع النيل الأزرق ومع ذلك كله حرمانا من مدرس للغة الحبشية
وهذه لغة سامية أجدر بنا أن تعلمها من أن ندرس لغة بادت وانقرضت . ونحن إذا ذهبنا
إلى روما أو إلى مدرسة اللغات الشرقية فى باريس أو لندن أو برلين ، نجد العناية الفائقة باللغة
الحبشية ، فأى علاقة بين فرنسا وألمانيا وبين الحبشة ، وهى تربطها بها علاقات تجارية ،
أما علاقاتنا بها فروحانية فضلاً عن اشتراكنا فى المنافع .

وفي يوم ٧ يولييه ١٩٢٧ رأى مجلس النواب إرجاء بحث تقرير لجنة الطعون في صحة انتخابه ففاه بما يلي :

لا يصح أن أبقى كما بقي المجوسى الذى دعى إلى الطعام فدمدم وهمهم كعادته . فقال له الخليفة : أنت تدمدم جرياً على دينك . فقال المجوسى : كرهت أن أبيت على غير دينى ، وأنا لا أحب أن أبقى معلماً مشكوكاً فى صحة انتخابى ، وأطلب نظر التقرير الآن لاعطاء الرأى فى نتيجة المعركة الانتخابية ، التى خضتها ناجحاً ، وكنت ولا أزال موالياً لدولة الرئيس الجليل .

وقال له الرئيس : هذا التأجيل شفقة عليك .

فقال الدكتور محجوب : إني لا أستحق النيابة إذا كنت أستحق الشفقة .

ثم قرر المجلس صحة انتخابه .

وكانت الحكومة البريطانية قد أرسلت إلى الحكومة المصرية إنذاراً فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ لأخذ السودان . وإنذاراً فى ٥ مايو سنة ١٩٢٧ للاستيلاء على الجيش . وإنذاراً فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٨ لحماية الأجانب .

ووقعت اضطرابات فى السودان سنة ١٩٢٨ وبين كل هذه العوامل طلبت لجنة المالية البرلمانية الموافقة على مصروفات الجيش فى السودان وقدرها ٧٥٠.٠٠٠ جنيه ، ورفضت لجنة الحرية هذا المبلغ فقام الدكتور محجوب يدافع عن السودان قائلاً :

أوافق على رأى لجنة المالية فى صرف هذا المبلغ ، وأرى أن هذا القرار مبنى على حكمة بالغة ورأى شديد ، إذ أن هذا المبلغ سيستمر صرفه إلى أن تنتهى المحادثات السياسية ، وأرجو أن تكون خيراً من سابقتها .

يا حضرات النواب : إن صرف هذا المبلغ يؤيد حقنا فى السودان ، ويضمن لنا ما أفتقناه من ملايين الجنيهات ، وما قدمنا من مهج الرجال وكبار القواد ، منذ استرجاع السودان .

لقد كلفتنا السكة الحديدية هناك ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه ، وكلفنا ميناء بور سودان مليون جنيه ، لذلك لا أرى معنى لرفض هذا الاعتماد (ضجة) دعونى أبدى رأى .

الرئيس : إن كلام حضرتك يكون إذا تقدم اعتراض على اعتماد هذا المبلغ .

الدكتور محبوب : لقد رفضت لجنة الحرية التي أنا عضو فيها صرف هذا المبلغ .

ودارت مناقشة في هذا الموضوع اشترك فيها نواب الحزب الوطني (عبد الحميد سعيد ،
وعبد العزيز الصوفاني ، وحافظ رمضان) مؤيدين رفض المبلغ مبينين الأسباب .

فرد الدكتور محبوب بما يلي :

سمعت هذه الخطب الجلية ، ولا يمكنني أن أقول إلا أنها صادرة عن شعور وطني ، إنما
الموضوع من الوجهة السياسية وكما قال حضرة النائب المحترم حافظ رمضان بك : هل نعتمد
المبلغ أم نرفضه ؟ وإني أجيب على ذلك بأن الواجب اعتماد المبلغ للأسباب الآتية :

لقد أقرضت الحكومة الانجليزية شركات القطن خمسة عشر مليوناً من الجنيهات وبني
خزان مكواري ، وضمت الحكومة الانجليزية كل هذه القروض ، وسيأتي اليوم الذي يتبين
فيه أن مصر دفعت لا خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فقط ، بل مائة وخمسين مليوناً
على الأقل .

ولو راجعتم حضراتكم النشرة التجارية الدولية الصادرة في فبراير سنة ١٩١٣ لوجدتم
أن مصاريف مصر على السودان بلغت ١٨ مليوناً ، فإذا ما وافقنا هذا العام على صرف مبلغ
٧٥٠.٠٠٠ جنيه بالشروط التي ذكرتها اللجنة المالية ، فأنما تصرف على جزء من مصر لا يتجزأ
لحفظ النظام والأمن في ربوعه : ولقد قال اللورد كرومر (إنه لا يجوز أن جزءاً من وادي
النيل يكون في احتياج لاصلاح أموره ، والجزء الآخر يرض عليه بالمال ، وفي إمكانه مساعدته)
وقد أصدر وقتئذ « مجلس شورى القوانين » قراراً حكماً باعتمادات السودان ، وكان نائب
الاسكندرية في المجلس المرحوم أحمد يحيى باشا ، وكان من أعضائه المرحوم عبد اللطيف بك
الصوفاني والد النائب المحترم الأستاذ عبد العزيز الصوفاني ووافق على ذلك .

فقال الأستاذ عبد العزيز الصوفاني : إن المرحوم والدني لم يوافق .

الدكتور محبوب : إنني أفهم ما أقول ، وقد درست المسألة دراسة وافية ، لذلك أطلب
من حضراتكم وأنتم خير من يعرف تمحك المتحمكين في السياسة ألا تضنوا بهذا المبلغ
على السودان لصرفه على الذين يحافظون على الأمن في ربوعه ، خصوصاً أن فيه مائتي نقطة
للأرصاد الجوية في أعالي النيل ، فكيف نحافظ عليها إذا لم يبدل هذا المال للمحافظة عليها .

يتساءل حضرة النائب المحترم حافظ رمضان بك عما إذا كان السودان جزءاً متمماً لمصر؟ وأنا أقول نعم أن السودان جزء متمم لمصر لا ينفصل ، وسوف تمسح هذه السحابة ويصفو الجو ، وتعرف الحكومة الانجليزية والأمة البريطانية أن من حسن السياسة إذا أرادت أن تجعل لها صديقة في الشرق الأدنى ألا تفصل مصر عن السودان .

وسوف يأتي اليوم الذي يصبح فيه السودان مهجراً للمصري ، عندما يكون القطر قد اكتظ بسكانه ، وهذا اليوم ليس بعيد .

لهذه الاعتبارات أطلب من المجلس الموقر ، أن يوافق على الاعتماد المطلوب ، وأن يعتبر أن هذا المبلغ سيصرف على قوة هي منا ونحن منها (تصفيق) .

وفي ٢٤ مايو سنة ١٩٢٨ طلب انشاء عشرة مستوصفات للأطفال وانشاء مراکز للمرضات وأبحاث خاصة بالبلهارزيا في ادفو ومستوصفاً في الاسكندرية .

يتبين من كل ما تقدم أن محجوباً البرلماني قام بواجبه خير قيام ، فأرضى ربه ودينه ووطنه . أثابه الله في الآخرة خيراً ، جزاء ما قدمت يداه .

بين الفقير الكريم والشعراء

لأستاذ كامل المهندس

كان المرحوم آية في الذكاء والصفاء ، كما كان آية في الوفاء ، إذا أحب منح قلبه وروحه ووجدانه إلى أقصى حدود المنح ، وكانت فيه إلى هذا روح تسيل رقة وعذوبة ، وتفيض دعابة ومرحاً ، تزينها سرعة البديهة ، ووفرة المحفوظ ، ولطف النادرة ، كل هذا جمع القلوب حوله ، وجذب الأهواء إليه ، فكثير محبوبه ، ولا سيما كبار الشعراء والأدباء ، ورجال الصحافة والفنون ، فبادلهم وداً بود ، وطارحهم إعجاباً بإعجاب ، فكانت لهم مجالس تسكاد تطير من الرقة ، وتنشئ من الصفاء ، تطرزها دعابات مرحة ، وفكاهات لبقة ، ونوادر مستلحة ، وكانت طبيعة الفقير ، وخفة روحه ، وطريقته في معيشته ، وزيه وإشاراته وكلما كانت كلها مدداً لا ينضب للشعراء والأدباء . أضافه المرحوم سعد زغلول يوماً مع حافظ إبراهيم ، وكان الدكتور ينطق القاف مفخمة ، فتنتطق من فيه قوة رنانة ، فأنهزها الشاعر فرصة للمعائبة والمنادرة ، فقال فيه ، وفي قافاته من أبيات :

يرغى ويزبد بالقافات تحسبها	قصف المدافع في أفق البساتين
من كل قاف كأن الله صورها	من مارج النار تصوير الشياطين
قد خصه الله بالقافات يملكها	واختص سبحانه بالكاف والنون
يغيب عنه الحجا حينا ويحضره	حينا فيخاط مختلاً بموزون
ولم يكن ذاك عن طيش ولا خبل	لكنها عبقریات الأساطين

وكان للفقير رحمه الله حصان يرتاد به أحياء القاهرة في أيام الثورة ، أبلى فيها عليه أحسن البلاء ، سماه أصحابه مكسويني ، فقال فيه المرحوم شوقي من قصيدة :

نقدك يا مكسى الجياد الصلادم	ونقدى الأساة النطس من أنت خادم
كأنك إن حاربت فوقك عنز	وتحت ابن سينا أنت حين تسالم

ستجزي التماثيل التي ليس مثلها إذا جاء يوم فيه تجزي البهائم
فأنك شمس والحياد كواكب وإنك دينار وهن الدراهم
ولما أبدله بسيارة قال فيهما من قصيدة :

لکم فی الخط سیارة	حدث الجار والجاره
إذا حركتها مالت	على الجنين منهاره
وقد تحزن أحياناً	وتمشي وحدها تاره
ولا تشبعها عين	من البزین فواره
فقد تمشي متى شاءت	وقد ترجع مختاره
قضى الله على السواق	أن يجعلها داره

أدنیا الخیل یا مکی	كدنيا الناس غداره
أحق أن محجوباً	سلا عنك بفخاره
قد اختار لك الشلح	وما كنت لتختاره
ولا والله ما كلفت محجو	با ولا بـاره
فلا البرسم تدربه	ولا تعرف نواره

هذا إلى آيات حسين شفيق ، والهرأوى ، ودعابات البشرى والبابلي ، مما كان مادة
لا تنفذ للسمير والتفتح للحياة ، وكان الفقيد رحمه الله محورها وقطب الرحى فيها ، ونختم
هذه اللوحة الخاطفة بما صور به البشرى في مرآته حيث يقول :

« أظهر صفاته أنه لا يحفل بما يسمونه الواقع كثيراً ولا قليلاً ، فحسبه أن يشتهي
الأمر فيقدره واقعاً ، أمكن ذلك الأمر أو استحال ، ومثله من يخيل ثم خال . وفي الحق
أنه يرى نفسه مسئولاً عن كل ما في البلد من هابط وصاعد ، وقائم وقاعد ، وغاد ورائع ،
وسانح وبارح ، ودارج على متن الغبراء ، وسابح في جوف الماء ، وطائر في جو السماء » .
رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وألهمنا فيه أصدق العزاء .

علم من أعلام الكفاح

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد فهد السيد

طوى القدر ، وما أقساه ، علماً من أعلام الكفاح ، وعالم من العلماء البارزين
في الإصلاح ، وهدم ركناً من أركان الوطنية ، وأطفأ سراجاً وهاجاً ، كان دائماً ينير
للقيادة والمصلحين .

أما وقد اعتاد مقدرو العالمين ، أن يقيموا حفلة الذكرى احياء لذكرى الراحلين .
ويسموا ذلك تأييداً ، وقيموا حفلات التكريم للأحياء النشطين فيسمونها تكريماً . لكن
حفلتنا هذه ، أجدر بها أن تكون تكريماً ، لأن محبوب لم يمت ، فهو حي بذكراه وبآثاره
حتى باخلاصه وعقيدته . معذرة أيها السادة ، فاني لا أدري من أي النواحي أتكلم عن
الطيب الأول في التشريع بين مختلف التعاليم الدينية والاجتماعية والفنية والعسكرية ، وقد
كان قاموساً للغة القرآن الكريم . فهو كمرکز « قرص الشمس » في سميت السماء ، يرسل
أشعته الحارة الوضاعة إلى كل النواحي ، فلا تدرى عدادها ، ولكل منها خاصة ، ولها
في مجموعها خاصة الاضاءة والانارة . خاصة التقوية والادعام . خاصة الشفاء من الأمراض
والأسقام . ثم خاصة الازالة والابادة . لكل ما هو غير صالح للبقاء ، فهو منذ نشأته كان
يسير دائماً وبين يديه صفحات الحق يدفعها إلى الأمام ، غير هباب ولا وجل ، فلا خوف
من مخلوق ، ولا خشية إلا من الله والوطن ، باذلا كل نفسه في إسعاد أبناء مصر وسودانها ،
ناهضاً بأمته إلى العلا ، تقرأ على جبهته الوضاعة وبين عينيه البراقين ، ومن بين ثيابه
الضاحكة ، بأنه رجل خلق ليشقى ويسعد الناس ، ملبياً إهابة كل مظلوم .

ولعلني أذكر للراحل في هذا موقفاً مشرفاً مشهوداً يوم أن صاحبنى إلى وزير
من الوزراء منذ أعوام مضت ويده طلب لأحد الشبان المثقفين ، وكان تربيته قد تأخر
عن غيره في التعيين . دخل الراحل الكريم وصرخ صرخته المشهودة أمام الوزير قائلاً :
جئت إلى هذا المكتب ، أطلب حقاً خلقت للدفاع عنه ، وأبغى مستقبلاً خفت من ضياعه ،

وأريد عدلاً خشيت عليه من طغيان الباطل ، وإننى والله لن أخرج من هذا المكتب حتى يصلنى الحق كاملاً منصوراً ، فقام الوزير يهده من روع الفقيه ليجلسه ، فأقسم أن لا يجلس إلا إذا صدر القرار بتعيين صاحب المطلب ، وما هى إلا دقائق معدودات حتى تحقق الرجاء . خرجنا من الوزارة مغتبطين ونفس الدكتور فرحة هائلة يرتل قول الله تعالى : « قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

وعندئذ أدهشنى هذا الموقف الذليل ، فسألت صاحبي عن علاقته بالدكتور فأخبرنى بأن ليس هناك علاقة ، سوى أنه علم ما علم بحالته ، وما يعانى من مسغبة ، أرسل فى طلبه ليحقق له مطلبه . ومن تاريخ هذه الحادثة ، أصبحت مؤمناً بعظمة الدكتور على يقين بأن هذه المروءة غريزة كائنة فى نفسه ، لا ترضى إلا بسعادة المجتمع ، فكانت تدفعه دائماً إلى أن يزج بنفسه فى ميادين التضحية والعمل . لم يكن صاحبها كمرکز قرص الشمس فحسب ، بل كان النعمة الكبرى على مصر ، كالتيل الفياض فى غدوه ورواحه .

لقد كان الفقيه شبيه النيل فى تياره ، يكتسح العوائق بقلبه ، ويذيب الموانع برأيه ، فان صد هذا التيار ، لف ماؤه المبارك حول ما أقيم فى سبيله من عقبات ، وتمر ما أقيم تحتها من جدار ، إلى أن تخور عزمتها وتهار ، فينفسح الطريق ليأخذ سبيله فى واديه عجبا ، لم يكن الفقيه الراحل ، والراحل العظيم كمرکز قرص الشمس فحسب . ولا كالبحر الخضم ، ولا كالتيل فقط ، بل كان كالهرم فى مكان عقيدته ورسوخ مبدئه ومشاهق عظمته ، وعلو مجده . وهكذا أبطال نكران الذات والعمل والتضحية التى لا تمن لها سوى إرضاء الغريزة الكامنة فى النفس الطاهرة ، التى يختارها الله من بين عباده الأصفاء . لتأدية رسالة الحق والرضاء . . . (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) .

سادنى : إننى لا أستطيع وأيم الحق أن أتقرب من أين أبداً الكلام عن الراحل العزيز ، وأخشى إن أنا ولجت باب التحدث عن سيرة الفقيه . أن لا أتمكن من الخروج منها . فهى تيه من المفاز المشبكية المتلاحقة طويلاً وعرضاً ، سلاسلها متوازية ، متقاطعة متداخلة ، تتطلب الوقت الذى يفوق فى أمده طول حياة الفقيه العظيم .

لكن محجوباً من شجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين
بإذن ربها . إن روحك يا ابن أحمد لتناجينا . ولنا فيك أسوة حسنة ، فسلام عليك يوم
ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا ، و سلام عليك في الصديقين والشهداء ، و سلام عليك
في الناصحين الأئمة ، و سلام عليك في الصابرين على البأساء والضراء ، و سلام عليك في طليعة
المجاهدين الأوفياء .

وأحسن الله إليك ، قدر ما أحسنت لأمتك . لأنك من الذين (تواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر) وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الطيب والكاتب والنخيب لأستاذ الخط العربي سيد إبراهيم

مضى محبوب ثابت — رحمة الله عليه — حيث يمضي كل من على هذه الأرض، مذكوراً بما جنت يده من صالح العمل، والعمل الصالح، في خدمة وطنه، وأهله، وعشيرته، مخلفاً سجلاً حافلاً، لحيله الحاضر، الذي عرف قدره، وللأجيال المقبلة التي لم يسعدها حظ معاصرتة.

مضى هذا الطيب ولم يعقب، وكان قبلاً ملء السمع، وملء البصر، في الأندية العامة والخاصة، وفي الدوائر السياسية والعلمية، وفي الأوساط الأهلية وال رسمية، بل وفي الدور والمتاجر، في مصر، وفي غير مصر من البلدان الشرقية والعربية، وقد خلق فيها كلها جواً أفاة عليه من علمه وأدبه، بقلعه ولسانه، أو بما كان يذاع حول شخصه، أو عن روحه المرحية، وأحاديثه الممتعة، ومغامراته المتعددة.

فهذه نقابات العمال التي كمل عودها، واستوى سوقها، وارتفع شأنها، تعرف له فضلها عليها، في إعدادها، وتقديمها، ونجاحها، بما ضحى في سبيل خيرها وخير أعضائها من جهد وصحة وعافية، إلى جانب ما عرف عنه من نصرة الضعيف من أبنائها.

وهذه الأمم الشقيقة، سورية وفلسطين، ولبنان وشرق الأردن، وطرابلس والجزائر، كل هذه وسواها قد تولى الدفاع عن كيائها واستقلالها وحريتها، بلسانه وقلعه، في الصحف والمجلات وفي الأندية والمجتمعات.

وهذا السودان، وهب له الفقيد العزيز، جل جهده، وعصارة فكره، وأخلص له الدفاع والذود عن كيانه وأهله، ووحدته وادى النيل من منبعه إلى مصبه — يشهد له بذلك: مذكراته المتعددة، وخطبه الرنانة، في المجتمعات الرسمية وغير الرسمية، التي لا يزال يرن صداها، دالة على حبه الأكيد لمصر.

وهذه البعثات الطيبة التي ساهم فيها بطبه وعلمه ، في أثناء حرب طرابلس وغيرها من الحروب التي نشبت في البلدان المجاورة وفي بعض بلدان أوروبا ، تشير إلى طيب غرضه ، ونبيل عاطفته ، ومواساته لآلام الجرحى والمنكوبين .

وهذه مصر — وطنه العزيز — قد أدت له واجباً عليها نحوه ، كما أدى واجبه نحوها ، اعترافاً بما بذل .

وإن من حق أبناء هذا الوادي ، أن يستبقوا إلى إحياء ذكراه كما كان سباقاً إلى الفناء في سبيل إعلاء شأنهم .

أحسن الله في الرفيق مثواه ، وبرد ثراه ، وحزاه عن الانسانية خير ما يحزى به المجاهدون الصابرون .

من وصي الرثاء

للاستاذ فايز فريد

نعم . . . لقد مات الرجل والرجال قليل .

نعم . . . لقد مات محبوب ، فاحتجب وكان بين ظهرا نينا رجلا جاد به الدهر ، كما يجود الصخر بالماء الفرات .

أى والله . . . لقد وهبه الزمان وهو البخيل بالرجال فى أى مكان .

إنى لأعجب كل العجب — وبين جنبى أحزان وآلام — فأتساءل : كيف أن محجوباً احتجب عن أعيننا ، وكان بالأمس شمساً ساطعة فى سماء مصر ، وكيف أن أستاذاً أسدلت على حياة بطل من أبطال النيل ، وكان لواء تحفّق له القلوب ، وكيف أن الدهر استطاع أن يمسك بين كفيه سهام القدر ، فرمى قلوباً انفطرت ، وأفئدة تأجج فيها نيران الشجون ، بازاء موت محجوب .

حقاً . . . يا محجوب . . . لقد مرت أيام حياتك ، كخطوة الطيف ، أو إغمضة الطرف ، فعرفت فيها أن الحياة لها وجهان ، مظلم ومنير ، فمن ينظر إلى المنير دائماً فهو شغوف بحب الحق ، ولهذا كنت يا محجوب تتطلع إلى نور الحياة الجميل ، فتعمل بجد واجتهاد من أجل الحق . حق الوطن ، الذى لا يعلوه حق فى الوجود . فجاهدت أجل جهاد ، وناضلت أسمى نضال ، فاستوى عنده فى الحياة سهلها وصعبها ، لينها وصلبها ، حلوها ومرها .

وهذا ليس بالاعجب الذى يملأ النفس عجباً أو بالمرعب الذى يفعم الفؤاد غرابة ، لأنه كانت لديك نفس عزيزة عالية ، ترى أن لكل داء دواء .

يا محجوب . . . إن الأحياء الذين يتطلعون إلى المستقبل بحكمة ، يضعون تاريخ حياتك نصب عيونهم فيلتهمسون منها حكمة سامية ، ويشاهدون فيها شعاع الضحى يتألق للحياة ضياءً ، فيكشف عن خلود آثارك وبقاء ذكراك ، التى نشاهدها اليوم بعد رحيلك من دار الدنيا مشرقة زاهية .

أجل ... إن نفسك الكبيرة ، كانت لاثنتين قناتها أمام الأرزاء ، مهما كبر شأنها ،
ولا تخضع للخطوب ، مهما كان من أمرها ، بل كانت تزيد ارتقاها ، وتعلو مقامها ، وتسمو علاها .
كنت تناضل الحادثات في معترك الحياة ، وإذا كانت هناك عوائق وعقبات ، فهي لا تقف
أن تصبح مذلة بقوة نفسك السامية ، مصهورة بحرارة همتك العالية .

فن منا لم يسمع أنك كنت تحارب الأيام بسلاح هو شرط الطيب في حديثه ومضائه
فشاهدنا فيك أن الطب والسياسة يجتمعان في قلب عمر بقوة اليقين والایمان .

أعجوب ... إن الوطن ليشيد بما قمت به في الحركة الوطنية من جهاد كتبت به
أروع صفحة في تاريخ الكفانة ، فسجلت هذا الجهاد الحلي ، الذي أصبح خالداً يرافق
الأجيال ، ويتابع سير القافلة المصرية إلى الأمام ، ويحمل سراج المثل الأعلى عالياً ،
لينير الطريق ، فيدوجلياً أمام كل مصري يحب وطنه ، ويذلل النفس والنفيس من أجله ،
ويسعى لاسعاده وعزته كما فعلت يا معجوب وكنت خير الفاعلين .

... إنني اليوم أنظر إلى صورتك ، فأبذل قصارى جهدي في جمع تلك الصور الجميلة
الجليلة ، صور الفضيلة والتضحية والوطنية ، التي تجمعت في صورة واحدة هي نفس عالية .

أجل ... إن حياتك لآيات بينات ، وعظمت بالغات ، فمن المهد إلى اللحد ، رأينا عظمتك
التي رددتها الألسنة في كل مكان ، وشاهدنا اضطلاعك الكبير بأمور السودان ، ذلك البلد
الذي لا يستطيع أحد أن يبعده عن أرض الكفانة ، أو يجزئه من وحدة النيل .

ما أعظم رسائلك القويمة عن السودان ، التي ظهرت فيها نظرات رجل عظيم ، يحتاج معها
الباحث الاجتماعي إلى بيان للاعراب عن معانيها الدقيقة ، فيعرف أن تلك النظرات قد صدرت
من ثورة اشتد ضرامها ، وحمى وطيمها في النفس العظيمة ، التي تبغى مجد الوطن كل حين ،
تري أن عزتها في عزته ، وأن امتنانها في امتنانها .

أعجوب ... كأنني بك ، وقد سرت إلى الخلود بخطى سريعة ، ماكدت تصل إلى دار
البقاء ، حتى استقبلك أبناء النيل الذين رحلوا قبلك بالبشر والترحاب ، وحيوك تحية النيل الهادئة
الوديعة ، وكان أول ما طالعوك به السؤال عن السودان ، وعن مصر ، وعن أسرة النيل
التي يرجع أصلها إلى منبت واحد ، والتي تجمعها تقاليد وأخلاق وأمان واحدة ،

فاشتركت ماديا ومعنويا في عواطف النيل الخالدة . . . كأني بك حينما سألوكم هذا ، ظهرت
أمامهم ضاحك الوجه ، باسم النهر ، مشرق الحيين ، فأجبتهم قائلا : هذه رسائلي أحملها إليكم ،
بعد أن حملت بين جنبي حباً للسودان والنيل .

هذه نظراتك العميقة عن السودان يا محجوب ، وأما نظرتك إلى الجامعة المصرية ،
فإن مصر لن تنساها على مر السنين والأيام ، والشهور والأعوام ، لأنك زرعت بالجامعة
فكرة الضباط الاحتياطيين فتمت وترعرعت ، فترعرعت صفات الطاعة والولاء والاخلاص
والتضحية والافدام والوطنية في نفوس الجامعيين ، شباب اليوم ورجال الغد ، وذخر
المستقبل ، وقبلة هذا الوادي الأمين .

حقاً . . . لقد كنت يا محجوب رجلاً فريداً في كل شيء ، حتى في موتك الذي نزل
علينا نحن المصريين نزول الصاعقة ، فأثرنا الزفرات ، وجمعنا الشجون والآهات .

حقاً . . . لقد كنت فريداً في طبك ، الذي فتك بالداء فتك الداء بالجئان ! . . . لقد
كنت فريداً في جهادك الذي به صرعت خطوب الأزمان . . . لقد كنت فريداً في نظراتك ،
التي بها حفظت لمصر دعائم البنيان .

أعجوب . . . إن القلوب التي تعرفك حق المعرفة ، قد أقامت بعد رحيلك من ذكراك
تمثالا ، تجلت فيه صفات الرجولة ، وخصال البطولة ، فتم في ثراك عطر الذكرى ،
لأن الذكرى للإنسان عمر ثان .

بكت فيك مصر هاديا مرجها للأستاذ الشاعر علي عبد العظيم

رحلت ولم يبرح خيالك دانيا وينقل للأبناء عنك مآثرا إذا ما طوى الموت المفرق أنفسا تسطر آيات الخلود روائعا اتخذناك رمزاً للمآثر خالداً إذا ما سمونا للعلا كنت مرشداً	يخط على الأجيال مجدك عاليا مخلدة تبقى وتقنى اللياليا رأيناك حيا في الخواطر باقيا وترسم تمثالا من الطهر ساميا يبدد عنا في الخطوب الغواشيا تقرب منا في الحياة المعاليا
--	---

بكت فيك مصر هاديا من هدايتها ونجبت ذرى لبنان بالحزن والأسى قضيت ولم تقض العلا منك حظها سلا عن كثير من بنيتهم رحلوا بكاك بدمع سائل من فؤاده	نجاوبها السودان بالحزن باكيا وطارحها نجد عليك المأسيا ففاضت عيون النيل فيك مرثيا ولم يك يوما عن جلالك ساليا وقد كان دمع النيل قبلك غاليا
---	---

أفي الحق يا محبوب أنك راحل فأين صفاء فيك يبتعث الهدى وأين جلال فيك مرتفع الذرى وأين دعايات برق نسيمها وأين وفاء للكنانة خالص يزلزل أقدام الطفاة ويتثنى ويلمع في جو الخطوب كبارق مضى كل هذا غير ذكرى أليمة	وتارك وادى النيل يبيك شاكيا ويحكي نقاء الهاميات الغواشيا يخلق جبارا فيعلو الذراريا فينفخ مثل الزهر ريان ذا كيا يصب على المحتل بأسك عاتيا عواصف بركان تصد الأعاديا يطالعا من جانب الغيب هاديا يفيض بها قلب الكنانة واهيا
--	--

فيأيها الفسذ الذى رف ضوءه	على جنبات النيل كالنجم هاديا
تطلع من الفردوس وانظر إلى الحمى	تر الشعب ركاضا إلى المجد ساعيا
تنبه للحق السليب فشاءه	رثا كأعصار العواصف طاغيا
يطالب تحقيق الجلاء بقوة	مدوية تطوى الجبال الرواسيا
وينشد للوادی الممزق وحدة	تضم أدانيه وتدنى الأفاصيا
وما هي إلا غضبة وطنية	تترب للأوطان ما كان نائيا

ترحلت يا محبوب عنا ، وطالما	رجوناك من طعن الحوادث شافيا
إذا طافت الذكرى علينا ملحة	بكينا فأبكينا عليك القوافيا
وجدنا بأفلاذ النفوس مدامعا	وضعا القلوب الخافقات مرأيا
لقد كنت تأسو الجسيم والقلب والنهى	فما بالنا لم نلق بعدك آسيا
عليك سلام الله فانعم بقربه	وطالع لديه الصالحات البواقيا

يا أبا الجامعة العظمى

للاستاذ الشاعر محمد رجب البيومي

سائل الحداية تخبرك اليقين أين سار الموت بالكفر الثمين
كوكب عال هوى عن أفقه تاركاً هول السرى للمدحمين
جدول قد جف في الترب سدى تاركاً حر الصدى للظالمين
قد ذهبنا نرتوى من مائه فرجنا في اكتاب يائسين
كلما قلت متى نخطى به ؟ قيل لا تأمل رجوع الذاهين

يا حبيب الطب كم أسقيته عللاً من خمرة الحب المسكين
كيف لا يجديك نقما حينما ضقت يا محجوب بالداء الدفين
خانك الطب فما صان الهوى لا رعى الله عهد الحائنين !
لا تقولوا غدر الطب فقد بذل الجهد كخير الباذلين
قدر يأتي فيسطو بقتة كيف يغنى عنه ود المخلصين

كنت في الثورة عضواً بارزاً راسخ الايمان كالطود المسكين
قد سمعناك خطيباً بارعاً ساحر الفكرة طنان الرنين
وإذا مارمت فوزاً عاجلاً فاضع السيف من القول الرصين
همت في مصر غراماً ففدا قلبك الواله مشبوب الحنين
ذاب في النيل هوى لكنه كان في البأساء صخراً لا يلين
ترسل الصيحة رعداً قاصفاً كزثير الليث في جوف العرين
كم ، حشدت الجمع كاللوج طغى فهوى في لجه من بالسفين
جارفاً يجتاح ما يصدمه هل يعوق الموج حصن أو كمين ؟
ياله من جفيل مستبسل لا يبالى برصاص المعتدين !
هكذا أبناء مصر في الوغى من رأى الا ساد يوماً تستكين ؟

قد بكى السودان ندباً ماجداً كان في الهول له نعم الحدين
 طالما دافع عن عزته براهين تصم الجاحدين
 منطق فذ ولفظ شائق لا يتاحن لغير النابيين
 فاعذر السودان إن ذاب جوى يوم أن أصبحت بعض الهامدين
 من حمى السودان معترأ به كيف لا يكيه بالدمع السخين؟

يا أبا الجامعة العظمى لقد فجعت فيك بخير الوالدين
 إن يكن نسلك مقطوعاً فقد صرت في طلابها رب البنين
 كم بذلت الوسع في تدريبهم ليكونوا عدة النصر المبين

سائل الحداة عن شمس الضحى أستبدو للورى أم لات حين؟
 في سبيل الله ركن ثابت نال من بنيانه طول السنين
 زهرة فاحت فلما ذبلت لقيت فردوس رب العالمين
 حسبها أن أصبحت رفاة في حمى ربحانها والياسمين

محبوب ذكرتك في المروءة ثابت لأستاذ الشاعر الدكتور أحمد عارف الوديني

أبكي بحاراً لو يُفقد بكائي	جف الممداد وما بدأت رثائي
أبكيه بعد الأربعين وقبلها	وتطول فيه على المدى أُرثائي
قد صار (محبوباً) ولم يك قبلها	بالفضل (محبوباً) عن الزملاء
قد كان ملء العين نوراً ساطعاً	من حكمة وثابة وذكاء
كان الطيب وإنما أخلاقه	كانت دواءً قبل كل دواء
كانت فكاهته ربيع مسرة	ونسيم أفراح وراح صفاء
قد كان سلفاً والحروب قيامه	ومودةً والناس في بفضاء
قد كان من كل القلوب محبباً	ومقرباً بخلاله الشفاء
قد كان «جداً» في المزاج ولفظه	يفني عن الصهباء والندماء

عاشرته بين الشبية والصبا	وحدث فيه مروءة العشراء
ورأيت (إكسير) ودّ صادق	و (خلاصة) من أكرم الخلاء

كان (اليقين) يزيد من (قافاته)	وحديثه كالعطر في الأفياء
-------------------------------	--------------------------

لو عاش (شوقي) كان أبلغ من رثا	بقريضه وسما على الشمرء
والآن يلتقيان في ببحوحة الـ	فردوس في روضاتها الغناء

قد كان مرآة الجماعة كلها في حالي السراء والضراء
وتراء في الطلاب حين تراء في الأصحاب حين تراء في الوزراء

تُلفيه محبوباً ومرغوباً ومو هوباً ومطلوباً لكل رجاء
جاز المشيب وما يزال شبابه غصاً يبشر وجهه بنماء

لكنها الأقدار يمضي حكمها ومصائر الأكوان رهن قضاء
(محبوب) ذكرك في المروعة (ثابت) ما بين حمد عاطر وثناء

وعساك ترسل في الجنان (دعابة) لتزيد ما فيها من النماء
خليت للأحزان فينا مأتماً قد كنت في الأحزان خير شفاء
فعليك تسليم الصحاب جميعهم في روض رضوان وعين بقاء

أنا إن عجزت عن الرثاء فأنما حسبي على طول الزمان وفائي

بكيك يا محبوب والدمع طيع

لأستاذ الشاعر محمد يوسف نخيل

بذلت دموعي حين لم يفد الصبر
تواري عظيم من فوارسنا شهم
أرى الموت يختار الرجال جيادهم
وماذا يفيد الدمع إذا قضى الأمر
وغاب عن الدنيا مجاهدنا الحر
ويأمن ريب الموت إمعة غمر

فقدتك أستاذي ومأمن وحشتي
صحبك أعواماً من العمر حلوة
وأنشأت من نفسي كياناً مدعماً
وقد كان مني أن هجرتك مرة
(وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)
فكنت معي كلاء خالطه الحر
وكنت عزائي إن تسكر لي الدهر
فكنت سخي الصفح طابعك البشر

بقلي من وجد عليك صباية
بكيك يا محبوب والدمع طيع
بكيك يا محبوب والمر مشربي
فلست براج بعد ينك حجة
من الهم تضنني بجدها الهجر
ودون عصي الصبر مرتخص مرآة
وإن كان القلب ملتهب جمر
لأن وفاء الناس منحرف نزر

حملت إلى الحيل الجديد رسالة
رجوت لو أدي النيل مجداً ووحدة
وقلت بأن النيل لا بد واحد
مطالعتها بمن ، خواتمها نخر
مدعمة التوثيق ليس لها شطر
فسودانه جسم ، وهامته مصر

وقد كنت للعالم في مطلب العلا
ولم تبدل في ساعة الروع حقهم
زعم رجال شاب عيشهم العسر
تريد به جاهاً يرد به الفقر

فكان لهم من عطفك الخير يرتجى وكان لهم في سعيك الأمل النضر
وما كنت تخشى حين تدعو لفكرة مقالة حساد يضيق بها الصدر

تحملت من غبن الحياة مكارهاً فكنت قوى العزم رائدك الصبر
سيدكرك التاريخ في زمرة الألى تنادوا إلى مجد ما أثره غر

بكنت عيون شقها الوجد والأسى عيون صحاب قد تقاسمهم ضر
« فأحمد » يبكى صاحباً ذا مودة و« حيدر » يا محبوب أدمعه مهر^(١)
وباتت خلاه ندوة العلم بلقماً ومجلسك المأهول مبثس قفر

ملأت ربوع الشرق في كل محفل مفاخر يمشى في ركنها الدهر
أرى ساحة التاريخ للمجد دولة لك اليوم فيها من روائعه سفر
فان لم تل منا جزاء مجاهد ففي حيرة الرحمن قد عظم الأجر

عزاء عميد الطب^(٢) في خير صاحب وفيت له ، حقاً ، وأنت به بر

أبا هانيء^(٣) !! أجملت فيما جرت به سماحتك الفيحاء يدفعك الخير
أبا هانيء وفيت . . فلتجز وفرة من الحسنات البيض يعوزها الحصر
فأنت الذي أكرمت في الموت ركبته وداع وفاء في محامده اليسر
فان تك أجملت الصنيع لراحل قد عظمت منك الكرامة والبر

(١) المقصود في البيت أحمد بك النشوقاني، والفريق حيدر باشا، وهما من خاصة أصدقاء الفقيد. وقد تبرع
تا بهما بأقامة ضريح الفقيد.

(٢) عميد الطب، هو صاحب السعادة علي إبراهيم باشا، فقد وفي للفقيد في زمن قل فيه الوفاء.

(٣) أبو هانيء، هو حضرة صاحب الدولة الزعيم المف الطاهر السكف « النقراني باشا » فقد أكرم
الفقيد في رحلة الوداع وأجل في وفاته لصاحبه فستر مشهده وأدى واجبه من خالص ماله وكان في ركبته حتى
واراه التراب.

محبوبات لأمير الشعراء المغفور له أحمد شوقي بك

لقد دخل محبوب في حساب التاريخ . والتاريخ وإن أقبح في نكران عظمة الرجال ، فإنه لن يظلم محبوباً ، ولن يذوب في أحشائه ما قدم لأمته من عمل ، هو كل جهاده في الحياة . فإذا يقول التاريخ في « محبوب ثابت » صاحب هذا الثراء العريض من الوفاء والفداء ؟ سيقول التاريخ إن « محبوباً » جاء إلى دنياه سابقاً لعصره بجيل من الزمان ! ! فلا غرابة في أن يراه الناس نوعاً منفرداً بين الرجال .

وهنا تنهات علينا أطياف من الذكريات الدامعة الباكية الدامية ، ذكريات « محبوب » مع « شوقي » أمير الشعراء و « حافظ إبراهيم » شاعر النيل ، وقد كان شعرهما إحياء لموتى الرجال ، وإبقاء لمن استحققت ذكراهم الخلود .

كان « محبوب » عند المغفور له « سعد زغلول » في المنزلة الكريمة التي تصان فيها شخصية المقربين . وفي بسايتين بركات ، كانت لسعد — رحمه الله — ندوة أثر فيها من خاصته « محبوباً وحافظاً » في مجالس كانت تتناثر فيها درر الأدب والدعابات الفسحة المستملحة . وقد سأل حافظ إبراهيم صاحبه « محبوباً » عن السبب في عزوفه عن الزواج فأجاب على الفور : « حتى لا أنجب عبيداً للانجليز » .

ولنرجع إلى الصاحين — كما كنت أسميها — شوقي ومحبوب لنعطى صورة لما كان بينهما من وقار الحب وخالص الوفاء ، فنلصق ذلك في القصيدة الروحانية الطروب التي قالها أمير الشعراء في وداع صاحبه حين سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والتي يقول فيها :

« محبوب » إن جئت الحجا ز وفي جوانحك الهوى له
شوقاً وجباً بالرسو ل وآله أذكى سلاله
فلمحت نضرة (بانه) وشملت كالريحان (ضاله)
وعلى (العتيق)^(١) مشيت تمطر فيه دمعك وانهماله

(١) العتيق هو الحرم المكي أو البيت العتيق .

ومضى السرى بك حيث كان الروح يسرى والرساله
 وبلغت (بيتاً) بالحجا ز يبارك البارى حياله
 الله فيه جلا الحرا م خلقه وجلا حلاله
 فهناك طب الروح طب العالمين من الجهاله
 وهناك أطلال الفصا حة والبلاغة والنباله
 وهناك أزكى مسجد أزكى البرية قد مشى له
 وهناك عذرى الهوى وحديث (قيس) والغزاله
 وهناك مجرى الخيل يجرى فى أغتها خياله
 وهناك من جمع السباحة والرجاحة والبساله
 وهناك خيمت النهى والعلم قد أتى رحاله
 وهناك سرح حضارة الله فيأنا ظلاله
 إن الحسين ابن الحسين أمير مكة والاياله
 قر الحجيج إذا بدا دار الحجيج عليه هاله
 أنت العليل فلذ به مستشفياً واغنم نواله
 لا طب إلا جده شافى العقول من الضلاله
 قبل زاه وقل له عنى وبالغ فى مقاله
 أنا يا ابن احمد بعد مد حى فى أيك بغير حاله
 أنا فى حى الهادى أيبك أحبه وأجل آله
 شوقى إليك على النوى شوق الضرير إلى الغزاله^(١)
 يا ابن الملوك الراشدين الصالحين أولى العداله
 إن كان بالملك الجلاله فأنبى لكم جلاله
 أو ليس جدم الذى بلغ الوجود به كماله

وكان محبوب من أبرز خطباء الثورة . وكلما اشتد الفتك بالنفوس ، اشتدت بسالة
 محبوب وهانت عليه نفسه وحياته من أجل الوطن . . . وحصانه « مكسوينى » يساهم معه

(١) الغزاله : الشمس

في هذا الأداء الكريم يقضى يومه على الطوى متابعة وثيقة لصاحبه المجاهد الوطنى . . .
وهذه الفدائية بين أمثال « محجوب » وأضرابه ، نادرة في هذا الزمان .

كانت عربة « محجوب » تبدو في ساحة الجهاد يحرها « مكسوينى » تبعث الحماس الوطنى وتلهب الروح الفدائية فى الصدور . ومثل هذه المواقف الباسلة كانت جديرة بالتمجيد والتكريم لا ينفرد بها « محجوب المجاهد » وحده ، بل يشترك فيها حصانه « مكسوينى » . . .
ومن كان أعظم من « شوقى » أمير الشعراء ليجيد إبراز هذه الصورة الرائعة ! فيكرم محجوبا فى المجاهدين من الرجال ، ويخلد حصانه « مكسوينى » فى البهائم المغنورة المسخرة بقصيدته المعروفة المشهورة .

وإذا كان « مكسوينى » هو الرمز البارز فى جهاد الذكنور محجوب إبان الحركة الوطنية ، فقد أحدث مصرعه صدى قويا فى شاعرية شوقى أمير الشعراء ، فراح يرثيه مشيدا بمواقفه فى الجهاد الوطنى ، فيقول :

ونقدى الأساة النطس من أنت خادم	تفديك يا مكس الحيات الصلادم
ونحت (ابن سينا) أنت حين تسام	كأنك إن حاربت فوقك (عنتر)
إذا جاء يوم فيه تجزى البهائم	ستجزى التماثيل التى ليس مثلها
وإنك دينار وهن الدراهم	فأنك شمس والحياد كواكب
وآخر فى (بار اللوا) لك قام	مثال بساح البرلمان منصب
مزامير (داود ^(١)) عليه نواغم	ولا تظفر (الأهرام) إلا بثالث
وما أنت مسوداً ولا أنت قائم	وكم ترعى السودان يا مكس هازلا
ولكن مشيب عجنته العظام	وما بك مما تبصر العين شبهة
وشابت نواصيها وشاب القوام	كأنك خيل الترك شابت متونها
وقائعها مشهورة والملاحم	فيارب أيام شهدت عصيبة

ومن طرائف ما يذكر فيما كان بين صاحبين (شوقى ومحجوب) أنهما كانا يصرفان بعض ليل إلى الأسبوع فى عيادة (محجوب) بالسيدة زينب إلى ساعة متأخرة من الليل وكان يتخلل السهرة الجميلة بعض ترانيم طروب كان يغنيهاهم (محمد عبد الوهاب) ، ثم حدث أن انقطع

(١) يقصد المغنور له الكاتب الكبير الأستاذ داود بك بركات رئيس تحرير الأهرام سابقا .

(شوقي) على غير إنذار سابق ، فأتصل به الدكتور محبوب (تليفونياً) مستفسراً فسكان رد شوقي بأنه لا يعزم الرجعة إلى العيادة بعد الذي قاساه من تجريدة البراغيث التي لاحظ انتشارها بكثرة على غير المألوف .

وهنا كانت مشادة تليفونية بين صاحبين كل يحاول التخلص من تجريدة البراغيث إليه جهد طاقته ، فمحبوب يدعي بأن البراغيث إنما حملها معه شوقي من سيارته ، فلمستول عنها هو (السائق) . وشوقي يدعى بأنها من إنتاج العيادة وإنباتها وحصادها ، ثم انقطعت المحادثة على أن يحتكم الطرفان إلى صاحبهما (داود بركات) . ثم كان أن اجتمعا عنده في مساء تلك الليلة (بيار اللواء) وكانت مناظرة تخللها كثير من مرح وطرب وفكاهات عذبة حلوة ، وانتهى النزاع إلى إحالة (عينة) من البراغيث موضوع الخلاف إلى خبراء في علم الحشرات لفحصها فحضرها فحضرها مع دراسة تربة العيادة وجوها المنسوبة إليه البراغيث وتحديد نسبها بالدقة .

إلا أن المرحوم شوقي بك قد تعجل بمفاجأة دعاية طريفة ، حين طلع على الناس في اليوم التالي بقصيدته المشهورة التي يقول فيها :

براغيث محبوب لم أنسها ولم أنس ما طعمت من دمي
تشق خراطيمها جوربي وتقذ في اللحم والأعظم
وكنت إذا الصيف راح احتجج فجاء الخريف فلم أحجم
ترحب بالضيف فوق الطريق قفاب العيادة فالسلم
قد انتشرت جوقة جوقة كما رشت الأرض بالسسم
وترقص رقص المواسي الحداد على الجلد والعلق الأسحم
بواكير تطلع الشتاء فترفع ألوية الموسم
إذا (ما ابن سينا) رمى بلغما رأيت البراغيث في البلغم
وتبصرها حول (بيب) الرئيس وفي شاريه وحول الفم
وبين حفار أسنانه على السوس في طلب المظم

ولو عاش شوقي بعد صاحبه محبوب وتخلف عنه في وجود الدنيا أياما لثالت ذكرى محبوب من شعره ما يكفي لصيانة اسمه من عوادي النسيان ولأبقاء على الزمن خالداً في الراجلين غفر الله لنا وله .

أحمد ربيع المصري

شكر وتقدير وبيان

من سكرتيرية لجنة الاحتفال بإحياء ذكرى الفقيد

شاعت لجنة الاحتفال بتخليد ذكرى المغفور له ، فقيد الطب والعلم والوطن ، الدكتور محبوب ثابت بك . وقد تم لها الفوز بإحياء ذكره الخالدة ، بحضور عظماء مصر والشرق ، المشتغلين بالشئون العربية والإسلامية ، وكبار رجال الصحافة والطب والأدب ، في صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، في أول ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، بأن تسجل جميع القصائد ، والرسائل التي أذيعت في ذلك الاحتفال الكبير تسجيلاً ينوه بما للفقيد الكريم والراحل العظيم من مكانة في عالم الطب والعلم والأدب ، وخدمة الوطن العزيز ، حتى يكون هذا السجل نبراساً يهتدى به شباب هذا الجيل والأجيال المقبلة ، ويرسمون خطاه ويتبعون هديه .

وكذلك كان توجيهه حضرة صاحب السعادة الدكتور على باشا إبراهيم ، مدير جامعة فؤاد الأول ، ورئيس لجنة الاحتفال ، خير رائد لسكرتيرية اللجنة ، فأمدّها بثاقب رأيه ، وبعد نظره ، فحاف هذا الكتاب التاريخي التذكاري عن جهاد الفقيد العظيم تاريخاً مجيداً ، وعلماً خفياً على مر السنين .

وقد رأت لجنة الاحتفال — بهذه المناسبة — أن تضم إلى فصول ذلك السجل التذكاري القصائد والكتابات ، التي تفضل بها عظماء وأدباء مصر والشرق العربي بعد إقامة حفلة الذكرى ، ليتوج بها هذا السجل التذكاري ، كما ضمت إليها ما سبق أن قيل في كفاءة الفقيد وعظمته ورجولته ، وجهاده في سبيل نشر الطب والعلم والأدب ، وخدمة الوطن ، تمويهاً بفضل السادة المتفضلين ، وجهد السكاتيين .

فالى حضراتهم جميعاً ، من العظماء والكتّاب والأدباء والشعراء والأدباء في مصر والأقطار الشقيقة ، نرجو اللجنة شكرها الوافر ، وثناءها الجهم ، معربة عن أطيب تمنياتها لحضراتهم .

كما توه اللجنة باغباطها بما نال حضرة صاحب السعادة الكاتب الكبير أنطون الجميل باشا رئيس تحرير جريدة الأهرام الغراء من ثقة المليك المحبوب وعطفه السامى بالانعام عليه برتبة الباشوية خلال المدة التى كان يطبع فيها هذا الكتاب فلم يسعها الوقت لاعلان ذلك فى مكانه من الكتاب .

ويسرها كذلك أن تعلن شكرها وثناؤها لسعادة الأستاذ الجليل والكاتب الكبير الشيخ المحترم خليل ثابت بك ، عضو مجلس الشيوخ ، والمدير العام لجريدة المقطم ، الذى كان له كبير الفضل فى حسن توجيهه سكرتيرية اللجنة فى سبيل إعداد هذا السجل ، حتى بدا فى أكمل مظهره .

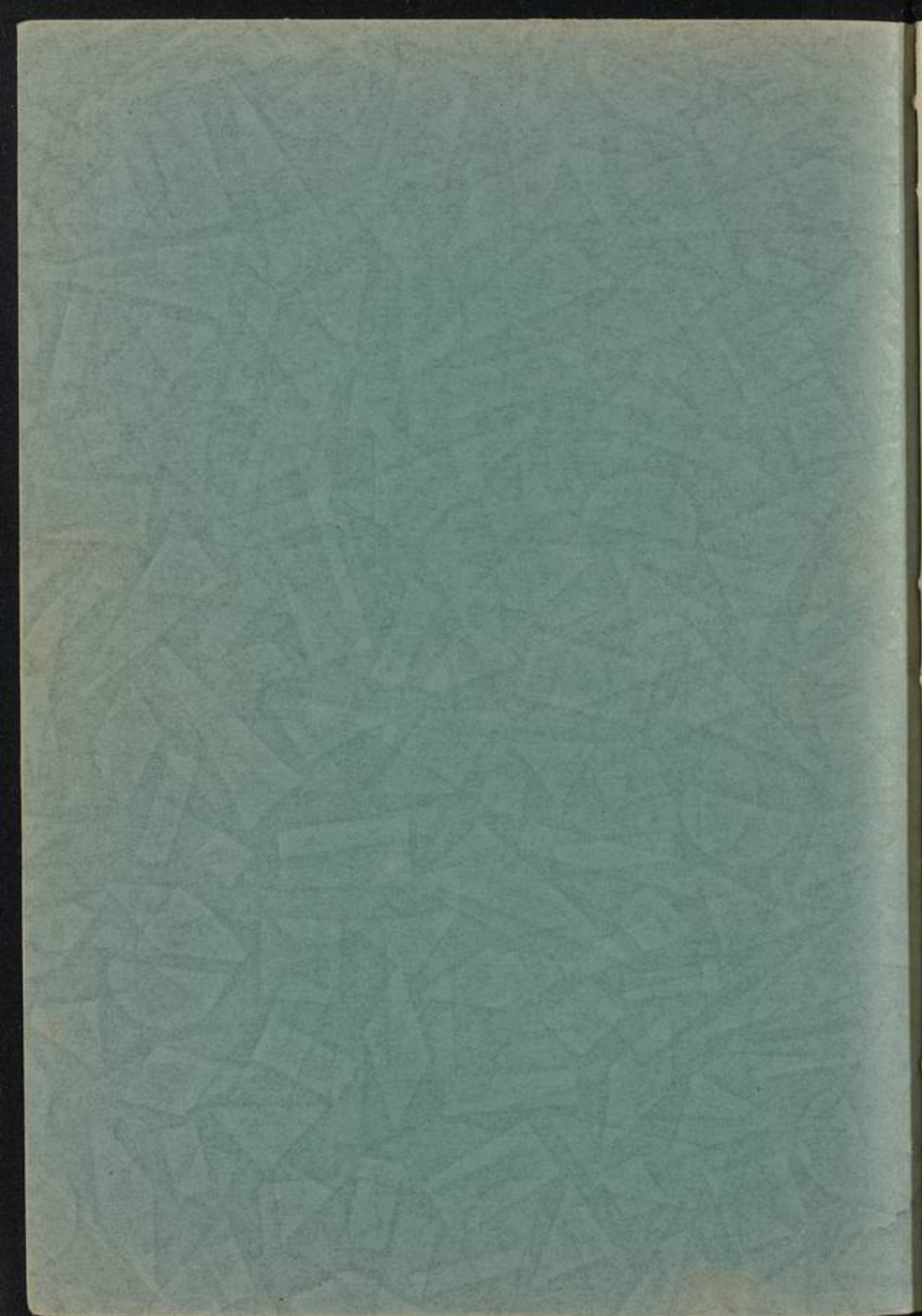
وتخص اللجنة بالشكر حضرة الكاتب الفاضل الأستاذ الشاعر محمد الحناوى المحرر بجريدة الاهرام وعضو اللجنة ، والأستاذ الفاضل سيد ابراهيم الخطاط المشهور وأستاذ الخط العربى بكلية دار العلوم ، والمقرئ المعروف الشيخ محمد قنديل ، وسائر حضرات الذين عاونوها ومدّوها بسديد آرائهم ، وحسن توجيههم ، سائلة الله أن يكتب لمصر والبلدان العربية والشرقية والاسلامية ولأهلها جميعاً السداد والتوفيق والهناء .

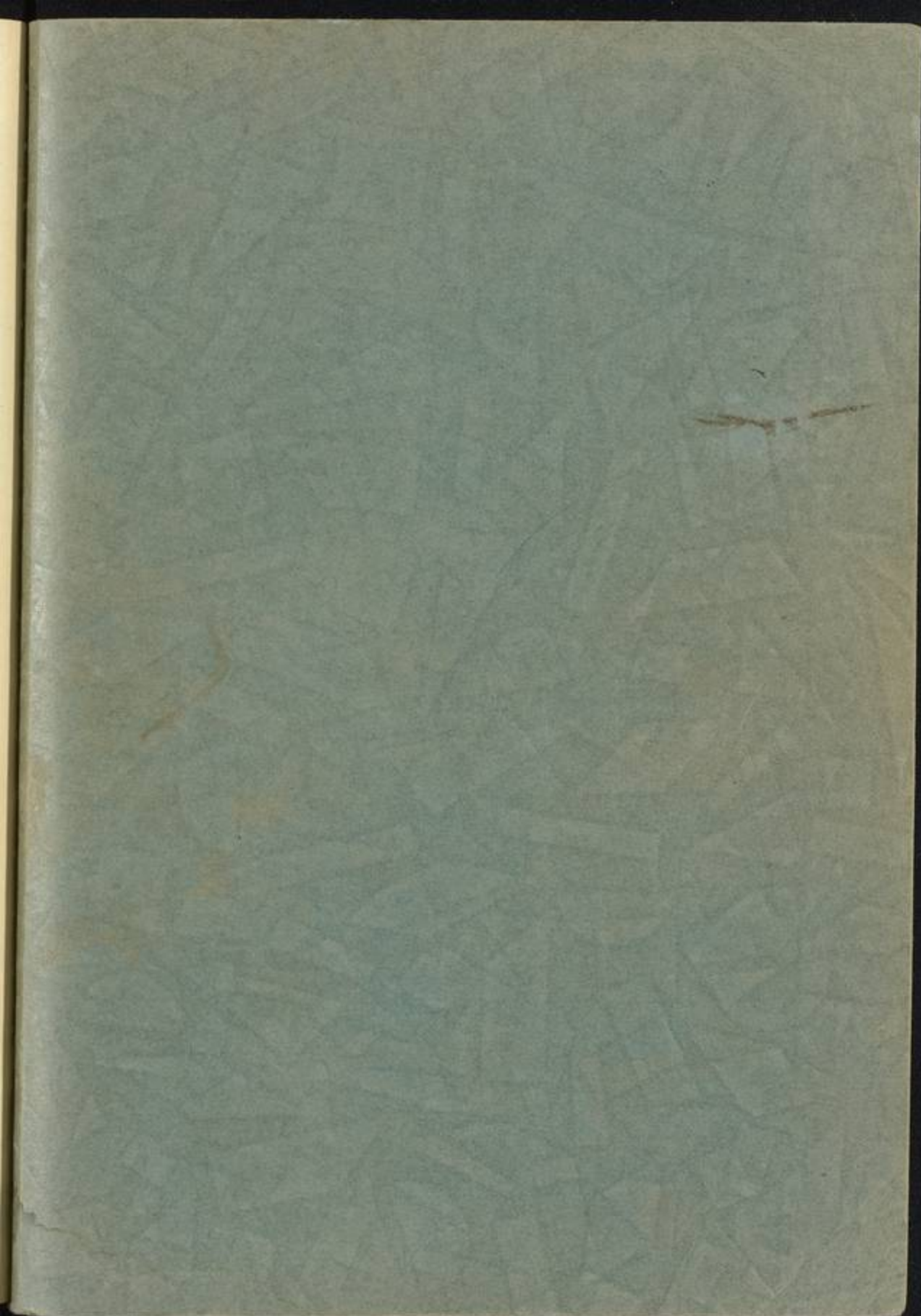
وللفقيد العزيز آراء نقيصة فى السياسة المصرية السودانية أعلنها فى جريدة الاهرام الغراء وفى رسائل شتى نشرت له فى الصحف والمجلات تعبر عن أمانيه ، بل أمانى المصريين جميعاً ، فى وحدة وادى النيل والدفاع عن السودان ، كانت ترى اللجنة استحالة لبحثها ، أن تضم كل هذه الرسائل إلى هذا السجل ، ولكنها رغبة منها فى إبراز تلك الرسائل ، قررت أن تقردها كتاباً خاصاً بها ، تصدره قريباً إن شاء الله ، خدمة للوطن العزيز ، الذى كرس الفقيد حياته لخدمته وتحقيقاً لبلوغ الغاية التى كان يرجوه الفقيد منها ، والله الهادى الى سواء السبيل

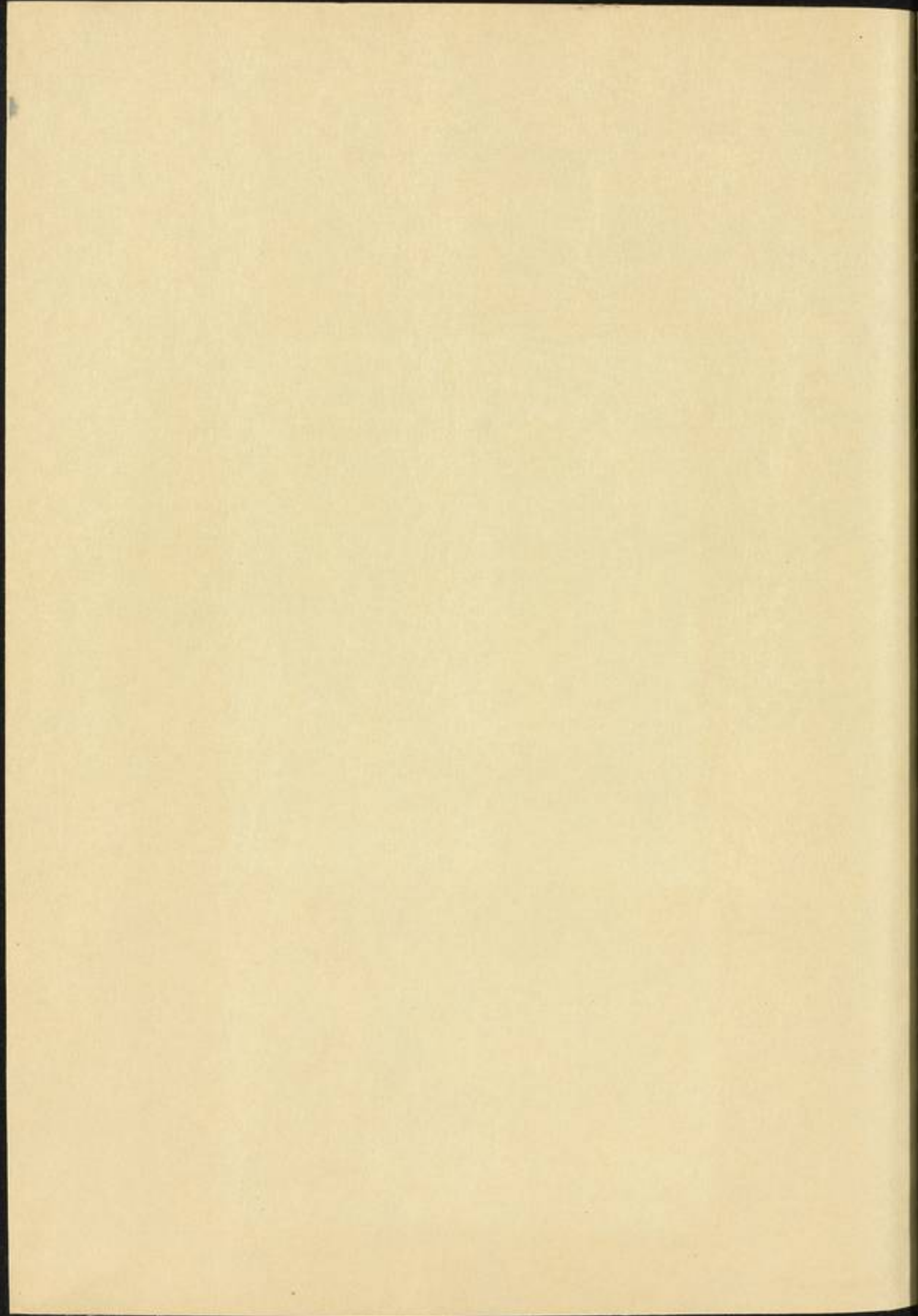
سكرتير لجنة الاحتفال

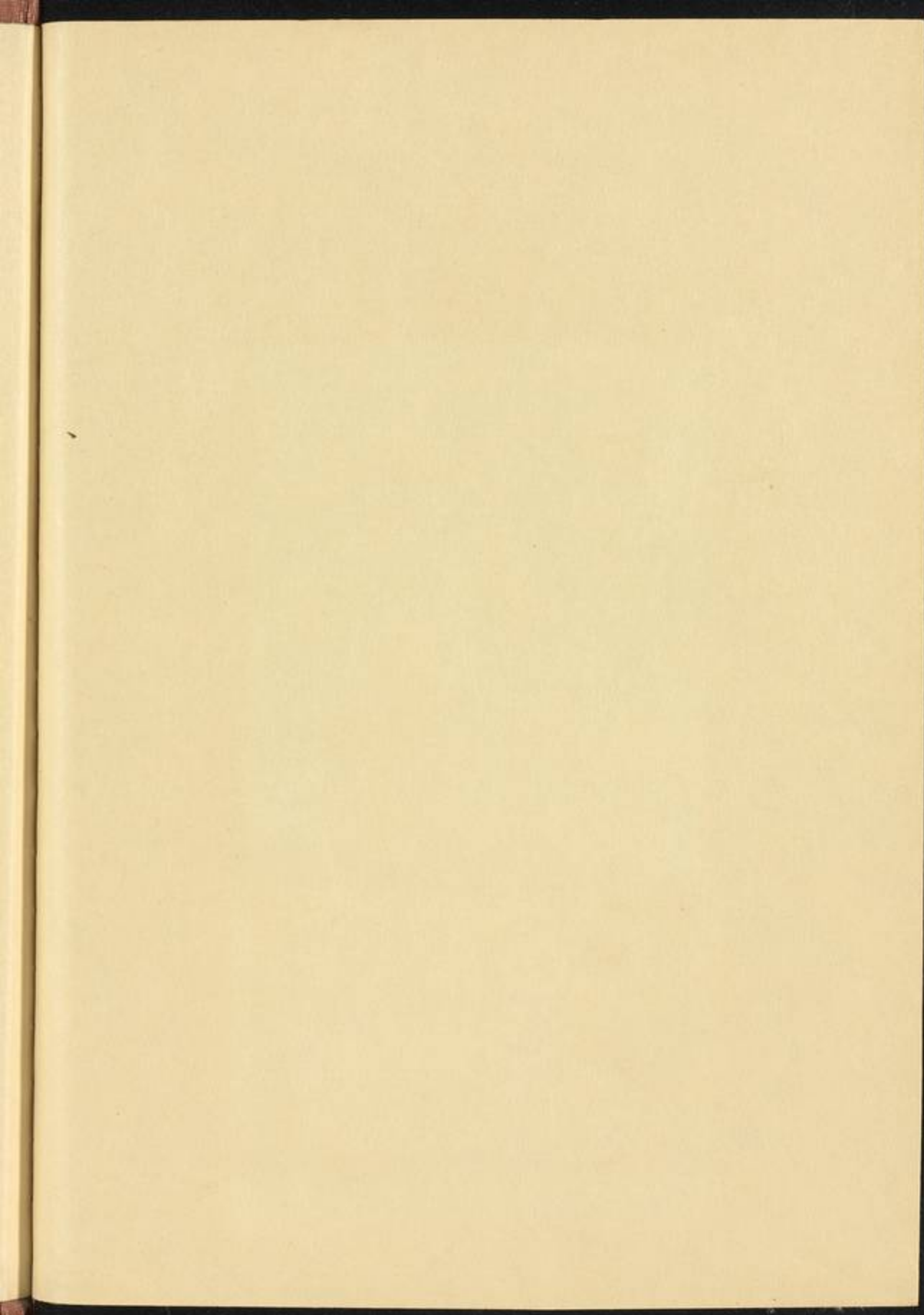
أحمد ربيع المصرى

شعبه کتابخانه نورالدین
۱۵۰۰/۱۹۴۶/۴۲









DT
107.2
.T4

02973685

DT 107.2
.T4

SEP 5 1969

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52879534

DT107.2 .T4

al-Kitab al-tarikhi